مجلة تدبر

مجلة دورية علمية محكمة تعنى بتحكيم ونشر البحوث والدراسات المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم، وتصدر مرتين في السنة

العدد العاشر - السنة الخامسة. رجب ١٤٤٢هـ / فبراير ٢٠٢١م

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]



موضوعات العدد:

مجلة تدبر

مجلة دورية علمية محكمة تعنى بتحكيم ونشر البحوث والدراسات المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم، وتصدر مرتين في السنة

العدد العاشر - السنة الخامسة. رجب ١٤٤٢هـ/فبراير ٢٠٢١م



مجلة تدبر
٤٠٠ ص ، ١٧×٢٤سم
رقم الإيداع: ٥٨٨٣/ ١٤٣٨
بتاريخ: ٢٤/ ٦/ ١٤٣٨
ردمد: ١٦٥٨-٧٦٤٢

مجلة تدبر

سعر المجلة (٢٥) ريالًا سعوديًا أو ما يعادلها

المجلة مصرحة من وزارة الإعلام بالمملكة العربية السعودية برقم ٣٧٥

للمراسلات والاشتراكات

جميع المراسلات وطلبات الاشتراك باسم:
رئيس هيئة التحرير
أ.د. محمد بن عبد العزيز العواجي
المملكة العربية السعودية
ص.ب ٧١١٩
المدينة المنورة ٤١٤٦٢
info@tadabburmag.sa
+966 50 30 72 333
@tadabburmag
http://www.tadabburmag.sa

المواد العلمية المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة تدبر

مجلة تدبر

مجلة دورية علمية محكَّمة، تعنى بتحكيم ونشر البحوث والدراسات العلمية المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم، وتصدر مرتين في السنة.

المرجعية:

- مصرحة من وزارة الإعلام بالمملكة العربية السعودية برقم ٣٧٥ .

الرؤية:

- أن تكون المجلة خيار الباحثين الأول لنشر بحوثهم في تدبر القرآن الكريم.

الرسالة:

- أن تكون وعاءً علميًّا محكَّمًا للباحثين لنشر أعمالهم العلمية في تدبر القرآن الكريم وما اتصل به وفق معايير مهنية عالمية للنشر.

الأهداف:

- تشجيع البحث العلمي المتصل بتدبر القرآن الكريم.
- نشر البحوث العلمية والدراسات المتصلة بتدبر القرآن الكريم.
- فتح آفاق جديدة للبحث العلمي المتخصص في مجالات تدبر القرآن.
- تحقيق التواصل العلمي بين المعنيين بالدراسات القرآنية من خلال تبادل الخبرات.

مجالات النشر في المجلة

◆ أولاً: البحوث والدراسات في مجالات تدبر القرآن الكريم وتشمل:

- التأصيل العلمي في تدبر القرآن الكريم.
- تعليم تدبر القرآن الكريم.
- الاستنباط من القرآن الكريم.
- المقاصد القرآنية.
- المناسبات القرآنية.
- الإعجاز القرآني.
- البلاغة القرآنية.
- الموضوعات القرآنية.

◆ ثانيًا: تقارير الملتقيات والمؤتمرات المتصلة بتدبر القرآن الكريم.

◆ ثالثًا: ملخصات الرسائل العلمية المتميزة في المجالات المتصلة بتدبر القرآن الكريم.

◆ رابعًا: ما تطرحه هيئة التحرير من قضايا تستكتب فيها المتخصصين في المجالات المتصلة بتدبر القرآن الكريم.

قواعد وشروط النشر

◆ أولًا: طبيعة المواد المنشورة:

تهدف المجلة إلىٰ إتاحة الفرصة للباحثين في جميع بُلدان العالم لنشر إنتاجهم العلمي في مجالات تدبر القرآن الكريم؛ علىٰ أن تتوافر فيه الأصالة والجدة، وأخلاقيات البحث العلمي، والمنهجية العلمية.

وتقوم المجلة بنشر المواد التي لم يسبق نشرها باللغة العربية، وتقبل المواد في أيٍّ مِن الفئات الآتية:

- البحوث الأصيلة.
- مُستخلصات المشاريع والرسائل العلمية المتميزة.
- تقارير المُلتقيات والمؤتمرات العلمية.

◆ ثانيًا: الإجراءات العلمية لتقديم البحث:

١- أن يكون في مجالات المجلة.

٢- كتابة مقدمة تحتوي علىٰ (موضوع البحث، وحدوده، وأهدافه، ومنهجه، وإجراءاته، وخطة البحث).

٣- تبيين الدراسات السابقة -إن وُجدت- وإضافته العلمية عليها.

٤- تقسيم البحث إلىٰ أقسام (مباحث) وفق (خطة البحث)؛ بحيث تكون مترابطة.

٥- يُكتب البحث بصياغة علمية مُتقنة، خالية من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع الأمانة العلمية والدقة في التوثيق.

٦- كتابة خاتمة بخلاصة شاملة للبحث؛ تتضمن أهم النتائج والتوصيات.

ثالثًا: الإجراءات الفنية لتقديم البحث:

- لا يتجاوز عدد صفحات البحث (٦٠) صفحة مقاس **(A4)** متضمنة الملخصين العربي والإنجليزي، والمراجع، ولا يقل عن (٢٠) صفحة.
- هوامش الصفحة تكون (٢ سم) من: أعلىٰ، وأسفل، ويمين، ويَسار، ويكون تباعد الأسطر مفردًا.
- يستخدم خط **(traditional arabic)** للغة العربية بحجم (١٦)، وبحجم (١٢) للحاشية والمُستخلص، وبحجم (١١) للجداول والأشكال.
- يستخدم خط **(Times New Roman)** للغة الإنجليزية بحجم (١٢)، وبحجم (١٠) للحاشية والمُستخلص والجداول والأشكال.
- تُكتب الآيات القرآنية وَفْقَ المصحف الإلكتروني لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بحجم (١٤) بلون عادي (غير مسوَّد).
- تُوضع حواشي كل صفحة أسفلها علىٰ حِدة، ويكون ترقيم حواشي كل صفحة مستقلًّا، وتُضبط الحواشي آليًّا لا يدويًّا.
- تكتب بيانات البحث باللُّغَتَيْنِ (العربية والإنجليزية)، وتحتوي علىٰ: (عنوان البحث، اسم الباحث والتعريف به، بيانات التواصل معه، عناوين رسائله العلمية وأشهر أبحاثه).
- لا يتجاوز عدد كلمات المستخلص (٢٥٠) كلمة، ويتضمن العناصر التالية: (موضوع البحث، وأهدافه، ومنهجه) مع العناية بتحريرها بشكل دقيق.
- يُتبع كل مستخلص (عربي/ إنجليزي) بالكلمات الدالة (المفتاحية) المُعَبِّرة بدقة عن موضوع البحث، والقضايا الرئيسة التي تناولها، بحيث لا يتجاوز عددها (٦) كلمات.

- سلامة البحث من الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية.
- كتابة الحاشية السفلية يكون بذكر (عنوان الكتاب، واسم المؤلف، والجزء/ الصفحة)؛ حسب المنهج العلمي المَعمول به في توثيق الدراسات الشرعية واللغة العربية.

مثال: لسان العرب، لابن منظور (٢/ ٢٣٣).

أما الآية القرآنية: فيُشار إليها في المتن فقط باسم السورة يتبعه نقطتان: ثم رقم الآية [النساء:٥٥].

رابعًا: كيفية توثيق المراجع:

يوثق الباحث المراجع في نهاية البحث حسب النظام التالي:

- إذا كان المرجع (كتابًا): («عنوان الكتاب». فالاسم الأخير للمؤلف (اسم الشهرة)، فالاسم الأول والأسماء الأخرىٰ). فاسم المحقق -إن وُجِد-. فبيان الطبعة، فمدينة النشر: فاسْمُ النَّاشر، فسَنَةُ النَّشر).

مثال: «الجامع الصحيح». الترمذي، أبو عيسىٰ؛ محمد بن عيسىٰ. تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين. ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٤م.

- إذا كان المرجع (رسالة علمية لم تُطبع): («عنوان الرسالة». فالاسم الأخير للباحث (اسم العائلة)، فالاسم الأول والأسماء الأخرىٰ. فنوع الرسالة (ماجستير/ دكتوراه)، فالمكان: فاسم الكلية، فاسم الجامعة، فالسَّنَة).

مثال: «يعقوب بن شيبة السدوسي: آثاره ومنهجه في الجرح والتعديل». المطيري، علي بن عبد الله. رسالة ماجستير، السعودية:

كلية التربية، جامعة الملك سعود، ١٤١٨هـ.

- إذا كان المرجع (مقالًا من دورية): («عنوان المقال». فالاسم الأخير للمؤلف (اسم العائلة)، فالاسم الأول والأسماء الأخرىٰ. فاسم الدَّوْرِيَّة، فالمكان، فرقم المجلد، (رقم العدد)، فسَنَةُ النَّشر، فالصفحة من ص...- إلىٰ ص...).

مثال: «الإمام عَفَّان بن مُسْلِم الصَّفَّار ومنهجه في التلقي والأداء والنقد». المطيري، علي بن عبد الله. مجلة جامعة القصيم: العلوم الشرعية، القصيم. م (٣)، (١)، ١٤٣١هـ، ٣٥- ٨٥.

هذا بالإضافة إلى ذكر بعض الاختصارات إن لم يُوجد لها أيُّ بيان في بيانات المَرجع، وهي:

- بدون اسم الناشر: د. ن
- بدون رقم الطبعة: د. ط
- بدون تاريخ النشر: د. ت

- ترتيب المراجع ترتيبًا ألفبائيًّا.

خامسًا: بيان مسار البحث المقدم للمجلة:

١- إرسال البحث لموقع أو بريد المجلة يُعَدُّ تعهدًا من الباحث بأن البحث لم يسبق نشره، وأنه غير مُقَدَّم للنَّشر، ولن يُقَدَّمَ للنَّشر في جهة أخرىٰ حتىٰ تنتهي إجراءات تحكيمه في المجلة.

٢- لهيئة تحرير المجلة حقُّ الفحص الأَوَّلِي للبحث، وتقرير أَهْلِيَّتِه للتحكيم، أو رفضه.

٣- إِطْلَاعُ الباحث علىٰ خلاصة تقارير المُحَكِّمين؛ ليُعَدِّل بحثه وَفْقَها، ويُبَيِّن رأيه فيما لا يَأخذ به من أقوالهم، وتَحسم الهيئةُ الخلافَ بينهما.

٤- في حال (قبول البحث للنَّشر) يتمُّ إرسال رسالة للباحث بـ(قبول البحث للنَّشر)، وعند رفض البحث للنشر يتمُّ إرسال رسالة (اعتذار للباحث).

٥- للباحث -بعد نشر عمله في المجلة- أن ينشره مرة أخرىٰ بعد مُضِيِّ ستة أشهر من صدورها.

٦- إرسال البحث عبر الموقع أو البريد الإلكتروني للمجلة يُعَدُّ قبولًا من الباحث بـ(شروط النَّشر في المجلة)، ولهيئة التحرير الحقُّ في تحديد أَوْلَوِيَّات نَشر البحوث.

٧- الآراء الواردة في البحوث المنشورة تُعَبِّر عن وجهة نَظر الباحثين فقط، ولا تُعَبِّر بالضرورة عن رأيِ المجلة.

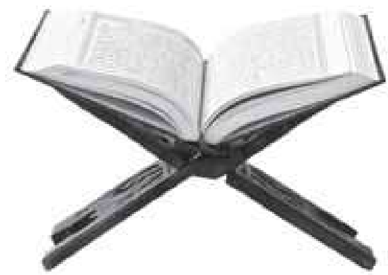
٨- يمنح الباحث خمس مستلات من بحثه ونسختين من العدد الذي نشر فيه بحثه.

المَوادّ العِلْمِيّة المنشورَة في المجلّة تُعَبِّر عَن آراءِ أصْحابِها

المحتويات

مجلة تدبر





افتتاحية العدد

مجلة تدبر

كلمة رئيس التحرير

افتتاحية العدد: (١٠)

الحمد لله واهب النِّعم، والصلاة والسلام علىٰ أشرف مبعوث للأمم، أما بعد:

فبين يديك أيها القارئ الكريم العدد العاشر من مجلة تدبر، الذي تُكمِل به عامها الخامس ولله الحمد والمِنَّة، وقد أسهمت المجلة خلال تلك الأعوام في النشر والانتشار العلمي الهادف والمتخصص.

وكانت المجلة خلالها تسير علىٰ مدارج التطور والتجويد في إدارة التحرير والتحكيم والنشر؛ مستفيدة من التجارب السابقة للمجلات العلمية المُحَكمة؛ المحلية والدولية، ومن خِبرات أعضاء الهيئتين التحريرية والاستشارية، ومن المُحكّمين الذين كانت هيئة التحرير تحرص علىٰ اختيارهم محليًّا ودوليًّا، بناءً علىٰ تخصُّصهم الدقيق واهتماماتهم البحثية العلمية، وعدالتهم في الحكم. مع الحرص التام علىٰ ضبط إجراءات التعامل مع البحوث من حين وصولها إلىٰ المجلة حتىٰ قبولها أو ردها، ثم طباعة المجلة ونشرها، وفق خطة إجرائية محددة، وقد بلغ ما وصل إلىٰ المجلة خلال تلك الأعوام (١٧٠) بحثًا، قُبل للتحكيم منها (٨٥) بحثًا، وأجاز المحكمون منها (٥٠) بحثًا. ووصل المجلة من التقارير ووصف البرامج (٣٣)، نشر منها (٣٠) تقريرًا.

وما كان للمجلة أن تصل لهذا إلا بفضل الله تعالىٰ، ثم بجهود أولئك الذين أسهموا في رُقيِّها؛ حتىٰ نالت مكانتها في عدد من التصنيفات الدولية ومعامل التأثير.

فجزاهم الله علىٰ ذلك خير الجزاء، وكتب أجرهم، ونفع بجهودهم، وجعل هذه المجلة مِفتاح خيرٍ وبركة في مجال الأبحاث العلمية المُحكَمة، والرسائل الأكاديمية المتخصصة، والبرامج المجتمعية النافعة، والمؤتمرات والملتقيات العلمية المؤثِّرة.

وفي هذا العدد تجدون خمسة بحوث تتناول: آثار تدبر القرآن، ومظاهر نعمة الطريق في ضوء سورة النحل، والجوانب البلاغية في سورة الفاتحة، وآيات الأخذ بالبأساء والضراء في سورة الأنعام تفسيرًا واهتداءً، والإشارات لما في مقدمة الشاطبية من الآداب والتوجيهات.

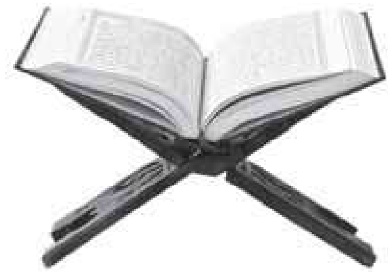
كما فيه ثلاثة تقارير تتناول: مسيرة مجلة تدبر، ورسالة علمية بعنوان: تدبر القرآن الكريم عند ابن القيم، وملتقىٰ «مثاني» الذي نظمته وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف بدولة الكويت.

ونترككم للاستفادة من هذه البحوث والتقارير، ونلقاكم في عدد قادم بإذن الله مع أبحاث وتقارير جديدة، والله يحفظكم ويرعاكم.

رئيس هيئة التحرير

أ.د. محمد بن عبد العزيز العواجي





أولًا: البُحُوث

مجلة تدبر

مجلة تدبر



تدبُّر القرآن الكريم وآثاره

محمد الأمين أمير

قدم للنشر في: ١٤٤٢/١/٢٨
قبل للنشر في: ١٤٤٢/٣/٣
نشر في: ١٤٤٢/٧/١

باحث بمرحلة الدكتوراه بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، قسم القرآن والسنة - كلية أصول الدين بكوالالمبور بأطروحة: «تدبُّر أذكار القرآن الكريم وأثر العمل بها في حياة القلوب والأبدان: دراسة وصفية تحليلية». إشراف الأستاذ الدكتور: جمال أحمد بشير بادي

- حصل على درجة الماستر من كلية العلوم الإسلامية بجامعة الحاج لخضر بباتنة بأطروحة: «الدلالات الدعوية لآيات الجهاد في القرآن الكريم».
- البريد الشبكي: 1amine1amir1@gmail.com

د. جمال أحمد بشير بادي

Prf. Dr. Jamal Ahmed Bashier Badi

- عضو هيئة التدريس بكلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا
- حصل على درجة الماجستير من كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بأطروحة: وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق
- حصل على درجة الدكتوراه من الجامعة نفسها بأطروحة: الآثار الواردة في أبواب الاعتقاد من كتاب سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي جمع وتخريج ودراسة.
- **بعض نتاجه العلمي:** كتاب شرح الأربعين النووية باللغة الإنجليزية، كتاب التفكير الإبداعي في الإسلام قضايا ومفاهيم.
- البريد الشبكي: badi@iium.edu.my

مجلة تدبر

مستخلص البحث

موضوع البحث:

يتحدث هذا البحث عن موضوع تدبر القرآن الكريم وأثره الإيجابي علىٰ العبد.

أهداف البحث:

١ - التعريف بمفهوم التدبر وذكر حكمه وأهميته ومعرفة مقاصده.

٢- بيان أصول التدبر وموانعه والثمار المرجوة منه، ومعرفة طريقة السلف مع التدبر.

مشكلة البحث:

تثير مشكلة هذا البحث مسألة تدبر آيات القرآن، وأثر العمل بها في إحياء القلوب والأبدان، وكذا تعلق حياة هذه القلوب بحياة الأبدان وبحياة الأمة ككلٍّ. ومن جهة أخرىٰ فإن فهم القرآن الكريم عن طريق التدبر والعمل به أمر مفقود عند كثير من الناس، ولذلك جاء هذا البحث ليجيب عن الأسئلة التالية:

١ - ما مفهوم التدبر في القرآن الكريم؟

٢- ما قواعد التدبر وأركانه؟

٣- ما أهمية التدبر؟

٤- ما ثمرة التدبر وآثاره؟

نتائج البحث:

١- لا يكون التدبر إلَّا بتحقيق أصوله وانتفاء موانعه.

٢- تدبر القرآن الكريم يقوىٰ ويزيد عند القارئ بمعرفة حقيقة التدبر ومعرفة مقاصده.

٣- من أهم ثمار تدبر القرآن الكريم درجاته التي ينالها القارئ؛ وهي كالتالي: التفكر والإيمان، التأثر وخشوع القلب والهداية، الاستجابة والخضوع، استخراج الحكم واستنباط الأحكام.

الكلمات المفتاحية: تدبر - القرآن - أثر.

Contemplating the Noble Quran and its Impacts

Prepared by:

mohammed el amine amir(1)

PhD researcher at the International Islamic University in Malaysia, Department of the Quran and the Sunnah, College of the Fundamentals of Religion, Kuala Lumpur

Email: 1amine1amir1@gmail.com

and

Prof. Jamal Ahmed Bashier Badi(2)

Member of the Faculty at the College of Divine Revelation and Human Sciences, the International Islamic University in Malaysia

Email: badi@iium.edu.my

Research Abstract

◆ Topic of the Research:

This paper addresses the contemplation of the Noble Qur›an and its positive impact on the worshipper.

◆ Objectives of the research:

1- To introduce the concept of contemplation and highlight its religious ruling, importance and objectives.

(1) He obtained a Master›s Degree from the Faculty of Islamic Sciences at El-Hajj Lakhdar University, Batna, with a thesis entitled: "Da'wah related indications of Jihaad Verses in the Noble Qur'an."

(2) He obtained a Master›s Degree from the College of Da`wah and Fundamentals of Religion at the Islamic University of Madinah with a thesis entitled: The Necessity of abiding by Muslim Community and Avoiding Dissension. He obtained a PhD degree from the same university with a thesis entitled: The Narrations reported about the Topics of Belief from the Biographies of the Most Prominent of the Nobles by A-Imam Adh-Dhahabi (Collection, Investigation and Study

2- To clarify the principles, hindrances and desired fruits of contemplation and show how Muslim Predecessors dealt with it.

Problem of the Research:

The problem of this research is the contemplation of the Quranic verses and the effect of acting accordingly on bringing life to hearts and bodies, as well as the interrelationship between the life of hearts and bodies and that of the Muslim nation as a whole. On the other hand, understanding the Noble Qur›an through contemplation and acting upon are neglected by many people, and therefore this research is conducted to answer the following questions:

1- What is the concept of contemplation in the Noble Quran?

2- What are the rules and principles of contemplation?

3- How important is contemplation?

4- What are the fruits and impacts of contemplation?

Findings of the Research :

1- Contemplation materializes only by sticking to its principles and eliminating its hindrances.

2- Contemplation of the Noble Quran is enhanced by readers by finding out what it is and learning about its objectives.

3- One of the primary fruits of contemplation of the Noble Quran is its spiritual levels that readers can reach: reflection and faith, passion, devoutness, responsiveness, submission, learning lessons and deriving rulings and norms.

Keywords: Contemplation, the Quran, Effect.

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد الصادق الأمين، سيد الأنبياء والمرسلين، وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، اللهم اجعلنا ممن يذكرك كثيرًا، ويسبحك بكرةً وأصيلًا، وارزقنا انشراح الصدر وطمأنينة القلب، والعمل بالقرآن، وفهمه، وصحة البدن وقوته.

أما بعد؛

فإن القرآن هو كلام الله ﷻ الذي اختصر به علينا الزمان والمكان لمعرفته ﷻ حق المعرفة، فعرَّفنا بذاته العلية وصفاته وبأسمائه الحسنىٰ وأفعاله، دون أن يترك نفوسنا تتيه للوصول إليه، فمن عرف القرآن فقد عرف الله، ومن عرف الله فقد أُوتي خيرًا كثيرًا.

ولـمَّا كان القرآن الكريم هو طريق الهداية، وفيه أصول الأحكام وقواعد العبادات وسبل الخير والفلاح؛ فإن جهل الأمة الإسلامية وتغافلها عن القرآن الكريم جعلها تعيش في دوامة مشكلات وأزمات لا تنتهي، الأمر الذي يثير القلق في نفوس المسلمين ويسبب مزيدًا من التراجع والوهن.

وما زاد الطين بلَّة هو سوء قراءة هذا الضعف، وعدم تشخيص هذا المرض، الذي لا يزال يتفاقم يومًا بعد يوم، وسنةً بعد سنة، ولعل أهم خطوات الخروج من هذه المشكلات والأزمات تتمثل في حسن قراءتها؛ بالنظر إليها من مختلف جوانبها؛ لفهمها علىٰ الوجه الصحيح، ثم بناء الحل المناسب لها في ضوء القرآن الكريم، وذلك من خلال الفهم الصحيح له، وعدم إغفال الكيفية الصحيحة للانتفاع

به؛ لأن فقه القراءة هو طريق الوصول إلىٰ الحل الناجع والسبيل الواضح.

والـمُشاهِد واقع الأمة الإسلامية اليوم يرىٰ أنها تعيش في زمان أعرض فيه كثير من الناس عن تدبر القرآن والعمل بالأذكار؛ «إذ إن صلتهم بكتاب ربهم يكتنفها الهجر والعقوق، وذلك بسبب الغياب القلبي والعجز عن تدبر القرآن»(١) والعمل به.

وعليه ينبغي أن نعلم أن الإيمان بالقرآن لكونه كتاب الله، والتصديق به فقط، لا يكفيان، بل يحتاجان معهما إلىٰ إقبال القلب عليه، تلاوةً وفهمًا وتدبرًا وعملًا في كل ميدان من ميادين الحياة؛ لأن القرآن كتاب حياة، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾ [الأنفال: ٢٤]، يقول السيوطي في تفسيره: «هو هذا القرآن فيه الحياة والثقة والنجاة والعصمة في الدنيا والآخرة»(٢).

والتدبر والعمل يزيد من حلاوة القرآن وبركته والانتفاع به؛ يقول ابن تيمية: «مَن أصغىٰ إلىٰ كلام الله وكلام رسوله، بعقله، وتدبره بقلبه، وجد فيه من الفهم والحلاوة والبركة والمنفعة ما لا يجده في شيء من الكلام، لا منظومه ولا منثوره»(٣).

كما أن تدبر القرآن الكريم لا يكون إلَّا بفهم ما يُتلىٰ من الآيات، مع حضور القلب، وخشوع الجوارح، وإخلاص ما يلزم من العمل؛ ولذلك «فإن أنفع شيء للعبد في معاشه ومعاده هو تدبر كتاب ربه، وإطالة تأمله، وتلاوة حروفه، وإقامة حدوده، واتباع محكمه، والإيمان بمتشابهه، والتفرغ لتعلمه، والقيام بتعليمه؛ حيث

---

(١) **تدبر القرآن الكريم**، لعبداللطيف التويجري (١٣٣).

(٢) **تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، للسيوطي (٤/ ٤٤).

(٣) **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، لابن تيمية (٢٧٠).

إن هذه الأمور تطلع العبد على معالم الخير والشر، وتجعل في يده مفاتيح كنوز السعادة»[(١)]، بل إن ذلك هو الغاية من إنزاله؛ قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

وفي الآية: «دليل على أن الله سبحانه إنما أنزل القرآن للتدبر، والتفكر في معانيه، لا لمجرد التلاوة بدون تدبر، ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾؛ أي: ليتعظ أهل العقول، والألباب جمع لب، وهو العقل»[(٢)].

وليس المقصود من التدبر القراءة وحسن التلاوة، وتعلم التجويد وأحكامه، وحفظ آياته وأجزائه فقط، بل الأمر يتعدى ذلك؛ يقول أبو بكر الآجري في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]، إن الله ﷻ أخبر «أن المستمع بأذنيه ينبغي أن يكون شاهدًا بقلبه ما يتلو وما يسمع؛ لينتفع بتلاوته للقرآن بالاستماع ممن يتلوه، ثم إن الله ﷻ حثَّ خلقه على أن يتدبروا القرآن»[(٣)]، فقال ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، أي: «فلا تفهم مواعظ القرآن وأحكامه، و﴿أَمْ﴾ بمعنى: بل»[(٤)]، أي بل على قلوب أقفالها، فالمقصود بالتدبر الاتعاظ والخشوع، والعمل بما في كتاب الله ﷻ من شرائعه وأحكامه، والالتزام بأوامره وزواجره.

ومما سبق يتبين لنا أثر تدبر القرآن الكريم والعمل به في حياة القلوب والأبدان، وسيزيد هذا الأثر وضوحًا في تناولنا لمباحث هذه الدراسة.

(١) **كيف نتدبر القرآن**، لفواز أحمد زمرلي (٦، ٧).

(٢) **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، للشوكاني (٢٣/ ١٢٦٣، ١٢٦٢).

(٣) **أخلاق أهل القرآن**، للآجري (٣٦).

(٤) **معالم التنزيل**، للبغوي (١١٩٩).

منهج البحث

يتبع البحث المناهج التالية:

١- المنهج الوصفي: ويُعرف هذا المنهج بأنه: «طريقة لوصف الموضوع المراد دراسته، من خلال منهجية علمية صحيحة وتصوير النتائج التي يتم التوصل إليها علىٰ أشكال رقمية معبرة يمكن تفسيرها».(١) وسيتم توظيف هذا المنهج في تتبع الآيات القرآنية المتعلقة بالتدبر ثم تصنيفها علىٰ حسب ما تقتضيه مراحل البحث.

٢- المنهج التحليلي: وهذا المنهج هو: «أسلوب البحث الذي يهدف إلىٰ تحليل المحتوىٰ الظاهري أو المضمون الصريح للظاهرة المدروسة، ووصفها وصفًا موضوعيًّا ومنهجيًّا وكميًّا»(٢). وسيتم استخدام هذا المنهج لدراسة المفاهيم الأساسية المكونة لعناصر البحث بتتبع جزئيات الموضوع من خلال أقوال العلماء وتفاسيرهم، والباحثين في المسألة ومؤلفاتهم؛ التي عالجت هذه الإشكالية.

خطة البحث

قد اشتملت خطة البحث بعد هذه المقدمة، علىٰ تمهيد وثمانية مباحث، وهذا علىٰ النحو التالي:

التمهيد.

المبحث الأول: مفهوم التدبر في اللغة وفي اصطلاح المفسرين.

المبحث الثاني: حكم التدبر.

(١) **مناهج البحث العلمي**، لمحمد سرحان (٤٦).

(٢) **المرجع نفسه** (٦٠).

المبحث الثالث: أهمية تدبر القرآن الكريم.

المبحث الرابع: ثمار تدبر القرآن الكريم.

المبحث الخامس: أصول تدبر القرآن الكريم.

المبحث السادس: موانع تدبر القرآن الكريم.

المبحث السابع: طريقة السلف الصالح وحالهم مع التدبر.

ثم بعد هذه المباحث تأتي الخاتمة التي ذُكرت فيها أهم النتائج والتوصيات، ثم بعد ذلك تأتي الفهارس، هذا، واللهَ أسأل التوفيق والسداد والخروج بالمفاد الذي يُستفاد، وأن يقبلنا ويتقبل منا صالح الأعمال وأن يرفعنا في عليِّين نحن ووالدينا ومن سبقونا بالإسلام مع النبيِّين والصِّديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

مفهوم التدبر في اللغة وفي اصطلاح المفسرين

أولًا: تعريف التدبر لغة:

كلمة تدبر يدور معناها اللغوي حول أواخر الأمور وعواقبها، وفي ذلك اخترنا بعض التعريفات:

١- قال ابن فارس «دبر: الدال والباء والراء، أصل هذا الباب أنَّ جُلَّه في قياسٍ واحد، وهو آخِر الشَّيء»[١].

٢- ويقول الزجاج؛ التدبر هو: «النظر في عاقبة الشيء»[٢]؛ وهذا الذي يقول به صاحب اللسان عن التدبير في الأمر: «أن تنظر إلىٰ ما تؤول إليه عاقبته»[٣].

٣- وقال الجرجاني؛ التدبر هو: «عبارة عن النظر في عواقب الأمور، وهو قريب من التفكر، إلا أن التفكرَ تصرفُ القلب بالنظر في الدليل، والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب»[٤].

٤- ومن التعريفات اللغوية أيضا[٥]؛ أن التدبر في الأمر هو: استدامة النظر

---

(١) **معجم مقاييس اللغة**، لابن فارس (٢/ ٥، ٦).

(٢) **لسان العرب**، لابن منظور (٤/ ٢٧٣).

(٣) **زاد المسير في علم التفسير**، لابن الجوزي (٣٠٥).

(٤) **معجم التعريفات**، للجرجاني (٤٩).

(٥) انظر: **مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر**، للطيار ١٨٥.

والتفكر في أوله وآخره، ثم إعادة النظر مرةً بعد مرة.

ومن المرادفات التي تقارب لفظة تدبر: «تفكر، تذكر، تأمل، نظر، اعتبار واستبصار»(١).

ثانيًا: تعريف التدبر اصطلاحًا

الاستعمال الاصطلاحي لهذه اللفظة يرجع لمعناه اللغوي، وهذا ما ذكره المفسرون في تعريفاتهم؛ منها:

١- ابن عطية: التدبر هو: «النظر في أعقاب الأمور وتأويلات الأشياء»(٢)، وقريب منه قول الرازي بأن التدبير والتدبر: «عبارة عن النظر في عواقب الأمور وأدبارها»(٣).

٢- الشوكاني: التدبر: «أن يدبر الإنسان أمره كأنه ينظر إلىٰ ما تصير إليه عاقبته، يقال: تدبرت الشيء: تفكرت في عاقبته وتأملته، ثم استعمل في كل تأمل»(٤).

٣- الآلوسي: أصل التدبر هو: «التأمل في أدبار الأمور وعواقبها، ثم استعمل في كل تأمل، سواء كان نظرًا في حقيقة الشيء وأجزائه، أو سوابقه وأسبابه، أو لواحقه وأعقابه»(٥).

٤- ابن عاشور: التدبر هو: «التفكر والتأمل الذي يبلغ به صاحبه معرفة

---

(١) **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، لابن القيم (١/ ٥٢٤).

(٢) **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لابن عطية (٢/ ٨٣).

(٣) **مفاتيح الغيب**، للرازي (١٠/ ٢٠٠٢).

(٤) **فتح القدير**، للشوكاني (٥/ ٣١٤)، بتصرف.

(٥) **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، للألوسي (٥/ ٩٢).

المراد من المعاني، وإنما يكون ذلك في كلام قليل اللفظ، كثير المعاني، التي أُودعت فيه، بحيث كلما ازداد المتدبر تدبرًا انكشفت له معانٍ لم تكن بادية له بادئ النظر»[(١)].

ومن ذلك تدبر القول[(٢)]، كما في قوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ﴾ [المؤمنون:٦٨]، والقول هنا هو كلام الله المنزل الذي يخاطَب به المشركون الذين لم يدَّبَّروا القرآن، كما في قوله أيضا: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ﴾ [النساء: ٨٢]، فتدبر الكلام بصفة عامة هو أن يُنظر في أوله وآخره، ثم يُعاد النظر مرَّةً بعد مرَّة.

ولقد ذكر المفسرون كذلك تعريفات عدة تدور حول معنًىٰ واحد، وهو التفكر والتأمل في آيات القرآن من أجل فهمه والعمل به؛ يقول:

٥- الزمخشري: تدبُّر القرآن هو: «تأمل معانيه وتبصر ما فيه»[(٣)].

٦- ابن عاشور في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ﴾ [النساء: ٨٢]، «أي: يتأمَّلون دلالته، وذلك يحتمل معنيَيْن: أحدهما أن يتأمَّلوا دلالة تفاصيل آياته علىٰ مقاصده التي أرشد إليها المسلمين، أي تدبُّر تفاصيله؛ وثانيهما أن يتأمَّلوا دلالة جملة القرآن ببلاغته علىٰ أنَّه من عند الله، وأنَّ الذي جاء به صادق»[(٤)].

٧- صاحب الكشاف: أن تدبر الآيات هو: «التفكر فيها، والتأمل الذي يؤدي إلىٰ معرفة ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني الحسنة»[(٥)].

---

(١) **التحرير والتنوير**، لابن عاشور (٢٣/ ٢٥٢).

(٢) انظر: **مفتاح دار السعادة**، لابن القيم (١/ ٥٢٥).

(٣) **تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، للزمخشري (٥/ ٢٤٩).

(٤) **التحرير والتنوير**، لابن عاشور (٥/ ١٣٧).

(٥) **تفسير الكشاف**، للزمخشري (٢٣/ ٩٢٥).

ومن التعريفات المعاصرة قول سليمان السنيدي: «تدبر القرآن هو تفهم معاني ألفاظه، والتفكر فيما تدل عليه آياته مطابقةً، وما دخل في ضمنها، وما لا تتم تلك المعاني إلا به، مما لم يعرج اللفظ علىٰ ذكره من الإشارات والتنبيهات، وانتفاع القلب بذلك، بخشوعه عند مواعظه، وخضوعه لأوامره، وأخذ العبرة منه»[1].

وبالنظر إلىٰ هذه التعريفات نقول: إن تدبر القرآن الكريم هو إدراك معانيه، والتفكر في غاياته، بُغية الانتفاع بآياته، والعمل بأوامره.

(١) **تدبر القرآن**، لسلمان السنيدي (١١).

المبحث الثاني

حكم التدبر

مسلك تدبر القرآن الكريم وفهمه والعمل به هو الأصل الأصيل الذي لا صلاح لنا بدونه، وهو الذي جاءت به نصوص الوحي تترىٰ؛ من أجل ترسيخه فينا، حتىٰ صار من بدهيات الدين، وقد ذكر جملة من العلماء حكم تدبر القرآن الكريم بين الوجوب والندب، فمن ذلك ما نصَّ عليه ابن حزم الظاهري بقوله: «إن تدبر القرآن فرض، ومعنىٰ تدبره فهم معاني ألفاظه، وكيف لا يكون فرضًا وهو بيان ما افترض»(١).

وقال بذلك القرطبي؛ أي: «علىٰ وجوب التدبر في القرآن ليُعرف معناه»(٢)، واستدلَّ بقوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، وتابعه الشوكاني أيضًا؛ في قوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، «علىٰ وجوب التدبر للقرآن؛ ليُعرف معناه، والمعنىٰ: أنهم لو تدبَّروه حق تدبره لوجدوه مؤتلِفًا غير مختلِف، صحيح المعاني، قوي المباني، بالغًا في البلاغة إلىٰ أعلىٰ درجاتها»(٣).

وقد يكون حكم تدبر القرآن الكريم مندوبًا، وذلك حسب قدرات كل قارئ

(١) **رسائل ابن حزم الأندلسي**، لابن حزم (٣/ ١٩٨).

(٢) **الجامع لأحكام القرآن**، للقرطبي (٦/ ٤٧٧).

(٣) **فتح القدير**، للشوكاني (٥/ ٣١٤).

وفهمه وطاقاته الإدراكية التي يستطيعها، ومع هذا فلا يُعذر أحد بتركه للتدبر مطلقًا، خاصةً أن القرآن قد يسره الله للذكر(١)، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧]، وكذلك المثل الذي ضربه الله ﷻ في قوله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]؛ هو «حثٌّ علىٰ تأمل مواعظ القرآن وتبيين أنه لا عذر في ترك التدبر، لأنه لو خوطب بهذا القرآن الجبال مع تركيب العقل فيها لانقادت لمواعظه، ولرأيتها علىٰ صلابتها ورزانتها خاشعة متصدعة، أي متشقِّقة من خشية الله»(٢)، هذا حال الجبال التي لا تتحرك، فكيف بمن سخَّر الله له كل شيء؟

وقد ذكر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: «أن قول بعض متأخري الأصوليين: إن تدبر القرآن العظيم وتفهمه والعمل به لا يجوز إلا لمجتهد خاصةً.. قولٌ لا مستند له من دليل شرعي أصلًا، بل الحق الذي لا شك فيه أن كل من له قدرة من المسلمين علىٰ التعلم والتفهم، وإدراك معاني الكتاب والسنة، يجب عليه تعلمها والعمل بما علم منهما.. ولو آية واحدةً أو حديثًا واحدًا»(٣).

فتدبر القرآن مطلوب، لا تقوم حياة المؤمن إلا به، فهو ضرورة، ورفعة في الدنيا والآخرة، قال عمر رضي الله عنه: أَمَا إنَّ رسول الله ﷺ قد قال: إنَّ الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا، ويضع به آخرين»(٤).

(١) **تدبر القرآن الكريم**، لعبداللطيف التويجري (٦١). بتصرف.

(٢) **الجامع لأحكام القرآن**، للقرطبي (٢٠/ ٣٨٨).

(٣) **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، للشنقيطي (٧/ ٤٥٩). باختصار.

(٤) **سنن الدارمي** (٤/ ٢١١٩)، كتاب فضائل القرآن، باب إن الله يرفع بهذا القرآن أقوامًا ويضع آخرين (ح٣٤٠٨)، وقال الداراني: إسناده صحيح.

ولقد جاء الأمر بتدبر القرآن الكريم في النصوص القرآنية، وذلك بلفظة صريحة، كقوله تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، وإمَّا من خلال مخاطبة أولي الألباب والنُّهَىٰ؛ كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه: ٥٤].

وممَّا يدلُّ كذلك علىٰ الحثِّ، والأمر بتدبر القرآن في السنة النبوية حديث عائشة رضي الله عنها، لَـمَّا سألها عبيد بن عمير بقوله: «أخبرينا بأعجب شيء رأيتِه من رسول الله ﷺ؟ قال: فسكتت، ثم قالت: لَـمَّا كان ليلةٌ من اللَّيالي قال: «**يا عائشةُ، ذرِيني أتعبَّدُ اللَّيلة لربِّي**»، قلتُ: والله إنِّي لأُحبُّ قُربَك، وأُحِبُّ ما سَرَّك. قالت: فقام فتطهَّر، ثمَّ قام يُصلِّي، قالت: فلَم يزل يبكي حتَّىٰ بَلَّ حِجرَه، قالت: ثمَّ بكىٰ فلم يزل يبكي حتَّىٰ بَلَّ لحيتهُ، قالت: ثمَّ بكىٰ فلم يزل يبكي حتَّىٰ بلَّ الأرض، فجاء بلال يُؤْذِنُه بالصَّلَاة، فلمَّا رآه يبكي قال: يا رسول الله، لِمَ تبكي وقد غفر الله لك ما تقدَّم وما تأخَّرَ؟ قال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا؟!** لقد نزلت علَيَّ اللَّيلةَ آية، ويل لمن قرأها ولم يتفكَّر فيها: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، الآية كلها»»(١)، وهكذا كان تدبره ﷺ؛ تدبُّر من يتعظ بما أُنزل إليه ويعمل بما أُمر به.

(١) **صحيح ابن حبان** (١٥٧). كتاب الرقائق، باب التوبة (ح٦١٩). وقال الخداش: حديث حسن.

المبحث الثالث

أهمية تدبر القرآن الكريم

لا شك أن التدبر له أهمية بالغة، تجعل الإنسان يسعىٰ جاهدًا لتحصيل هذا التدبر فهمًا وعملًا، وتظهر هذه الأهمية من خلال ما يلي:

١- أن التدبر هو الغاية الكبرىٰ من تنزيل كلام الرقيب الأكرم، فعزَّ مِن قائل: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، وغيرها من الآيات السالفة الذكر التي جاء فيها الحثُّ علىٰ تدبُّر القرآن الكريم، قال الإمام السعدي في تفسيره لهذه الآية: إنَّ «الحكمة من إنزاله؛ ليتدبَّر النَّاس آياته، فيستخرجوا علمها، ويتأملوا أسرارها وحِكَمَها، فإنه بالتدبُّر فيه والتأمُّل لمعانيه وإعادة الفكر فيها مرةً بعد مرةٍ تُدرَك بركتُه وخَيرُه، وهذا يدلُّ علىٰ الحثِّ علىٰ تدبُّر القرآن، وأنَّه من أفضل الأعمال، وأن القراءة المشتملة علىٰ التدبر أفضل من سرعة التلاوة التي لا يحصل بها هذا المقصود»(١).

٢- الاقتداء بالنبي ﷺ في تدبره للقرآن الكريم، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، فكان صلوات ربي وسلامه عليه يقرأ كلام ربِّه ﷻ قراءةَ المتدبِّر الفاهم العامِل بمَا علَّمه الله سبحانه، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: «صلىٰ رسول الله ﷺ ليلةً فقرأ بآيةٍ حتىٰ أصبح، يركع بها ويسجد بها: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]،

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (٧/ ١٤٩٣).

فلَمَّا أصبحَ، قلت: يا رسول الله، مازلت تقرأُ هذه الآيةَ حتىٰ أصبحتَ، تركع بها وتسجد بها، قال: «إني سألت ربي الشفاعة لأمتي فأعطانيهَا، وهي نائلة -إن شاء الله- لمن لا يشرك بالله شيئًا»[1]، فانظر كيف بَقي النبي ﷺ مع الآية الواحدة يسأل بها حتىٰ أُعطي وأُمَّته من خيرها وبركتها، فماذا بنا؟! لا ننفع أنفسنا وأُمَّتنا؛ بتدبُّرنا لكتاب ربِّنا، واقتدائنا بنبينا ﷺ في منهجه، وهديه، وتدبره في الآية الواحدة حتىٰ أصبحَ طوالَ ليلةٍ كاملة.

٣- ضعفنا وحاجتنا إلىٰ ما يقوِّي القلب ويحركُه، ولا يكون ذلك إلَّا من خلال تدبُّر القرآن العظيم؛ يقول العلَّامة ابن باديس رحمه الله: «قلوبنا معرضة للضعف عن القيام بأعباء التكليف، وما نحن مطالبون به من الأعمال، والذي يجدد لنا فيها القوة، ويبعث فيها الهمة، هو القرآن العظيم، فحاجتنا إلىٰ تجديد تلاوته، وتدبره، أكيدة جدًّا؛ لتقوية قلوبنا باليقين، وبالعلم، وبالهمة والنشاط للقيام بالعمل»[2]، وهكذا مَن ليس لديه هذه القوة، و«لم يكن له علم وفهم وتقوىٰ وتدبر؛ لم يدرك من لذة القرآن شيئًا»[3]، ولم ينتفع منه جزءًا.

٤- حالة الأمة اليوم والأحداث الجارية والمتغيرة «تحتاج منا إلىٰ عكوف علىٰ كتاب الله تعالىٰ؛ لاستلهام المنهج الرباني في الحكم والتعامل، وجرِّبْ أن تقرأ القرآن قراءة خاصةً لهذا الغرض؛ فستجد القرآن وكأنه يتنزل علىٰ الأحداث، ويكشف لك سنن الله في الأمم والمجتمعات»[4].

---

(١) **مسند أحمد** (٣٥/ ٢٥٧)، (ح٢١٣٢٨). وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٢) **آثار ابن باديس**، لابن باديس (٤١٧).

(٣) **البرهان في علوم القرآن**، للزركشي (٢/ ١٥٥).

(٤) **ليدبروا آياته**، لمجموعة من المؤلفين (ج٤/ ١٢).

وممَّا يستوقفنا في حالة الأمة اليوم من الفوضىٰ العارمة؛ ما قاله ابن كثير في قول الله تعالىٰ: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [غافر: ٥٥]، إنَّ هذا تَهييجٌ لِلأُمَّة علىٰ الاستغفار، وعلىٰ التسبيح أطراف الليل والنهار[١].

فلَو هُيِّجَت الأُمَّة اليوم علىٰ الاستغفار لفُتحت لها المغاليق حتىٰ لو كانت من المستحيلات، فلو صَدَقنا لنُصِرنا، وصدق الله العظيم إذ قال: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١]، ولو لاحَظنا هذه الآية التي يبشِّرُ الله تعالىٰ فيها عبادَه المؤمنين بالنَّصر؛ لوجدناها أَتَت قبل أن يأمرهم الله تعالىٰ بالصبر والاستغفار والتسبيح، وذلك ليَعلَم عبادُه أنه قدَّم لهم النصر الأكيد، وما بقي عليهم إن أرادوه حقًّا؛ إلَّا التدبر والعمل بما أمرهم به سبحانه وتعالى.

---

(١) انظر: **تفسير القرآن العظيم**، لابن كثير (٧/ ١٥١).

المبحث الرابع

ثمار تدبر القرآن الكريم

لتدبر كتاب الله ﷻ ثمار كثيرة، ينالها المتدبر، من أهمها ما يلي:

أولًا: التفكر والإيمان: من ثمار تدبر القرآن الكريم أنه يجعل قارئه يتفكر في ملكوت الله، وينظر إلىٰ بديع خلقه، ويأخذ الحِكَم والعبر، ويزيد إيمانه، قال تعالىٰ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤]، فتدبُّر القرآن يزيد صاحبه إيمانًا ويقينًا، وكلمَّا أكثر الإنسان من تدبُّر القرآن فإنه يزيد إيمانه ويزيد يقينه ويطمئنُّ قلبه، ويزيد علمه وفقهه، ويجعله ذلك من المتفكرين أُولي الألباب.

ثانيًا: التأثر وخشوع القلب والهداية: من ثمار تدبر القرآن الكريم أنه يجعل المرء يتأثر لسماع القرآن، ويلين قلبه وتخشع جوارحه؛ ومن ذلك ما قاله الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر: ٢٣]، والمراد هنا بالحديث هو القرآن الكريم، يقول تعالىٰ ذكره: تقشعرُّ من سَماعه إذا تُلي عليهم جلود الذين يخافون ربهم ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾؛ يعني إلىٰ العمل بما في كتاب الله والتصديق به[(١)]، ولذلك فإن المؤمنين قد بلغ بهم من التدبر ما إن يسمعوا معه كلام الله تَوْجَل قلوبهم، وتدمع أعينهم، وتصلُحُ أعمالهم.

ثالثًا: الاستجابة والخضوع: من ثمار تدبر القرآن الكريم أنه يطوع الإنسان إلىٰ

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٢٠/ ١٩٢).

ربه ﷻ؛ وهؤلاء هم الذين مدحهم الله في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وصدقوا به؛ ثم استجابوا لربهم سبحانه، ولنبيه ﷺ فيأتمرون بما أمرا به، وينتهون عمَّا نهيا عنه، ولذلك جاءتهم البِشارة من الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٧-١٨]، ولهم الرفعة والحياة الطيبة في الدنيا والآخرة؛ يقول النبي ﷺ: «**يقال لصاحب القرآن: اقرَأْ، وارْقَ، ورتِّلْ كما كنت ترتل في الدنيا، فإنَّ منزلتك عند آخر آية تقرؤها**»(١)، وهذا لا يكون إلا لمن صاحَبَ القرآن وتخَلَّق به.

رابعًا: استخراج الحِكم واستنباط الأحكام: هذه الثمرة خاصة بالعلماء والمجتهدين؛ فمن ثمار تدبر القرآن الكريم وجود علماء ربانيين يَعلَمون الكتاب ويتدبرونه، الذين قال الله فيهم: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ [آل عمران:٧٩]، فيستخرجون من القرآن الحِكَم ويستنبطون منه الأحكام، وهم الذين يُربُّون النَّاس ويُعلِّمونهم أمور دينهم، فجعلهم الله مِنَّةً للأمة، ونبراسًا ينير للسائلين ما لا يعلمون من أمور دينهم الحنيف؛ ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

وعلىٰ العموم مِمَّا سبق نقول: إن من أهم ثمار التدبر: التأمل والفهم الصحيح لمعاني القرآن؛ وذلك بمعرفة الله، والعلم بالحلال والحرام. وكذا نيل الهداية الربانية، وزيادة الإيمان، وطهارة القلب؛ وذلك بالعمل الصواب الـمُتقبَّل. والتقرب إلىٰ الله ومحبته، واستشعار عظمته وعظمة هذا القرآن، والدخول في صفوة أولياء الله ﷻ؛ الذين يتقرَّبون إليه بما يقرِّبهم منه سبحانه.

---

(١) **مسند أحمد** (١١/ ٤٠٤، (ح٦٧٩٩). وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

المبحث الخامس

أصول تدبر القرآن الكريم

المُلاحظ أن الآيات الواردة في القرآن الكريم، الداعية إلىٰ التدبر، جاءت بصيغة الفعل، وليس الاسم، وفي ذلك إشارة واضحة إلىٰ أن تدبر القرآن وظيفة عقلية، وفعل من أفعال القلب، فالإنسان يولد وهو مزود بقدرات عقلية متعددة، ومنها القدرة علىٰ التدبر والنظر في العواقب، وتأمل النتائج؛ وهذا ما يحتاج إلىٰ تنمية وتطوير وتدريب؛ لتحسين هذه القدرة(١).

وفي هذا المبحث سنتكلم عن المنهج الصحيح في أصول فهم القرآن المجيد وتدبره؛ وعلىٰ المتدبر أن يتبعها ولا يُخلَّ بها؛ يقول ابن عبدالبر: «طلب العلم درجاتٌ ومناقِل ورُتَبٌ، لا ينبغي تعديها، ومن تعدَّاها جملةً فقد تعدَّىٰ سبيل السلف رحمهم الله، ومن تعدَّىٰ سبيلهم عامدًا ضلَّ، ومن تعداه مجتهدًا زلَّ»(٢).

والمراد بالأصول هنا: ما يقوم عليه التدبر، كالأساس للبنيان، فلو اختل أصلٌ من أصوله، لضَعُف التدبر ولانهار البنيان، وهذه الأصول ثلاثة: تحقيق المطالب الإيمانية، تحقيق المطالب العملية، وتحقيق المطالب العلمية(٣)، وفيما يلي بيانُ تفصيلها:

(١) انظر: **المعين علىٰ تدبر الكتاب المبين**، لسعد حنتوس (٦).

(٢) **جامع بيان العلم وفضله**، ليوسف النمري (٢/ ١١٢٩).

(٣) انظر: **دليل فهم القرآن المجيد**، لابن مسفر العتيبي (٤٠).

الأصل الأول: تحقيق المطالب الإيمانية: من أساسيات التدبر تحقيق المطالب الإيمانية التي يندرج تحتها ما يلي:

١ - الإيمان: ينبغي الإيمان بالله، وتجب معرفته؛ من خلال فهم كلامه وتدبره، ومعرفة صفاته ﷻ، وهذا الذي حثَّ الله تعالىٰ عباده عليه؛ قال محمد بن الحسين الآجري: «ألا ترون -رحمكم الله- إلىٰ مولاكم الكريم، كيف يحثُّ خلقه علىٰ أن يتدبروا، ومن تدبَّر كلامَه عَرَف الربَّ ﷻ، وعرف عظيم سلطانه وقدرته، وعرف عظيم تفضُّله علىٰ المؤمنين، وعرف ما عليه من فرضِ عبادته، فألزم نفسه الواجب، فحذِر ممَّا حذَّره مولاه الكريم، ورغِب فيما رغَّبه فيه»[(١)]، وهذا هو عين التدبر.

وممَّا يزيد الإيمان: تعلم القرآن وتعليمه، يقول النبي ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلَّمه»[(٢)]، ويدخل في ذلك: «تعليم حروفه ومعانيه جميعًا، بل تعلم معانيه هو المقصود الأول بتعليم حروفه، وذلك هو الذي يزيد الإيمان، كما قال جندب بن عبدالله، وعبدالله بن عمر، وغيرهما: تعلمنا الإيمان، ثم تعلمنا القرآن، فازددنا إيمانًا، وأنتم تتعلمون القرآن، ثم تتعلمون الإيمان»[(٣)]، فكان الصحابة رضي الله عنهم يتعلمون الإيمان قبل القرآن، فيزدادون به إيمانًا؛ مصداقًا لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤]، فرحًا وسرورًا؛ لِمَا رزقهم الله من الإيمان، وامتن عليهم بالهداية والرشاد وتدبر هذا الكتاب.

---

(١) **أخلاق أهل القرآن**، لأبي بكر الآجري (٣٦).

(٢) **صحيح البخاري**، (١٢٨٤)، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه (ح٥٠٢٧).

(٣) **مجموع الفتاوىٰ**، لابن تيمية (١٣/ ٢١٧). وانظر: سنن ابن ماجه (١/ ٢٣)، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب في الإيمان (ح٦١). وقال محمد فؤاد عبدالباقي: إسناد هذا الحديث صحيح ورجاله ثقات.

٢- تقوىٰ الله ﷻ: والتقوىٰ هي أن يخاف العبد خالقه ويخشاه، ويجتنب كل ما نهاه عنه، ويأتمر بما أمره به سبحانه، فتكون تقوىٰ الله وتعظيمه ﷻ من خلال تعظيم كلامه وآياته، والشعور بفضله وكرمه وامتنانه، والتقوىٰ لا تكون بالتمني، ولكن ما كان في القلب -كما قال النبي ﷺ: «**التقوىٰ ها هنا**»، ويشير إلىٰ صدره، ثلاث مرات(١)- وعملٌ بالجوارح بما يُرضي الله سبحانه؛ فيترك الزواجر ويقوم بالأوامر.

وقد قيل: إن عمر بن الخطاب سَأل أُبيَّ بن كعب رضي الله عنهما عن التقوىٰ، فقال له: «أما سلكت طريقًا ذا شوكٍ؟ قال: بلىٰ. قال: فما عملت؟ قال: شمَّرت واجتهدت. قال: فذلك التقوىٰ»(٢).

فالتقوىٰ مطلوبةٌ من متدبر القرآن الكريم، بل وهي التي تأتي بالتدبر؛ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦]، فالذين يتقون هم الذين يتدبَّرون، وعليه ينبغي للمتدبِّر الازدياد من التقوىٰ كما أمر الله في قوله سبحانه: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧]، لأن التقوىٰ تجلب محبة الله؛ ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦]، ومن أحبه الله فهو معه في حفظه ونصرته؛ ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦].

٣- الإخلاص: الإخلاص أساس التدبر، وهو عكس الرياء، والقراءة الخالصة هي التي يراد بها وجهه سبحانه، وليس شيئًا سوىٰ ذلك؛ كحب الشهرة وثناء الناس، وغيرهما من المطالب الدنيوية، فينبغي للمتدبر حال قراءته للقرآن الكريم أن

(١) صحيح مسلم (١/ ١١٩٣). كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، (ح٢٥٦٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ١٦٤).

يستحضر رؤية الله تعالىٰ له، وإن لم يكن يراه فإن الله تعالىٰ يراه؛ كما قال ذلك النبي ﷺ في حديثه عن الإحسان: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»(١)، فالإخلاص والنية الصالحة تحقق الخير العميم، إذ يبلغ المرء بإخلاصه ونيته ما لا يبلغه بعمله.

والرياء يذهب بالعمل كله؛ لأن الله أغنىٰ الشركاء عن الشرك، قال تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، وفي هذا يروي أبو هريرة رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول في أول الناس يُقضىٰ يومَ القيامة عليه، فذكر منهم: «**ورجل تعلَّم العلم وعلَّمه، وقرأ القرآن، فأُتِيَ به فعرَّفه نِعَمه فعَرَفَها، قال: فما عَمِلت فيها؟ قال: تعلَّمت العلم وعلَّمتُه، وقرأتُ فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنَّك تعلَّمتَ العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليُقال: هو قارئٌ، فقد قِيل. ثم أُمر به فسُحبَ علىٰ وجهِهِ حتىٰ أُلقِيَ في النار...**»(٢)، وهذا جزاء الذين أشركوا مع الله غيره في العبادات، ولم يُخلصوا له أعمالهم، فحقت لهم نار جهنم.

فعلىٰ المتدبِّرِ أن يحذَرَ من الرياء والشرك؛ لأن الله تعالىٰ لا يقبلُ العمل الذي فيه رياء، ولا الذي أُشرك فيه معه غيره سبحانه، وليس شيء هو أفضل للعبد من أن يُخلص أعماله لله؛ لأنه صفة عباد الله المتقين والمصطفين الأخيار عليهم الصلاة والسلام؛ فقد امتدح الله نبيه ﷺ بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥١].

---

(١) **صحيح البخاري** (٢٣)، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، (ح٥٠). **صحيح مسلم** (٢٤)، كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو، وبيان خصاله (ح٩).

(٢) **صحيح مسلم**، كتاب الإمارة ٣٣، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار ٤٣، ج٢، ص٩١٩، رقم ١٩٠٥.

٤- **الخشوع**: ينبغي للقارئ أن يكون شأنه الخشوع والخضوع، بين الخوف والرجاء؛ ليحصل له المقصود، وهو التدبر المطلوب؛ لتنشرح به الصدور، وتستنير به القلوب، وإذا قويت للعبد مراقبة الله وخشيته له سبحانه، قَوِيَ تدبُّره لِمَا يتلوه من الآيات والذكر الحكيم.

ومن دلائل الخشوع: البكاء، وهو صفة العالِمين بالله؛ الذين امتدحهم الله في قوله تعالىٰ: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩]، ويخرون للأذقان؛ «هذه مبالغة في صفتهم ومدحٌ لهم، وحقٌّ لكل من تَوسَّم بالعلم وحصَّل منه شيئًا أن يجري إلىٰ هذه المرتبة، فيخشع عند استماع القرآن ويتواضع ويَذِّل»(١).

ويستحب البكاء والتباكي لِمن لا يقدر علىٰ البكاء؛ لأنه صفة العارفين، وشعار عباد الله الصالحين(٢)، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء: ١٠٧]، قال عبدالأعلىٰ التيميُّ: «فمن أوتي من العلم ما لا يبكيه، فليس بخليق أن يكون أُوتي علمًا ينفعه»(٣)، ولذلك كان الصحابة أعلم الناس بعد الأنبياء، وأخشاهم لله؛ فهم خير القرون، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، فكانت ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦]، و ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٧]، وكانوا ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان: ٦٤].

ومن هؤلاء الصحابة الكرام عمر رضي الله عنه؛ الذي كان يمرُّ بالآية في وِرده، فتخنقه،

---

(١) **الجامع لأحكام القرآن**، للقرطبي (١٣/ ١٨٩).

(٢) **الأذكار النووية**، للنووي (٩٠).

(٣) فضائل القرآن، **للهروي** (١٤٠).

فيبكي حتىٰ يلزم بيته، فيعوده الناس يحسبونه مريضًا(١)، **وعن عبيد بن عمير قال: صلىٰ بنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلاة الفجر، فافتتح سورة يوسف فقرأها حتىٰ بلغ:** ﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ﴾ [يوسف: ٨٤]، بكىٰ حتىٰ انقطع فركع، وفي رواية أنه لـمَّا انتهىٰ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]، بكىٰ حتىٰ سُمع نشيجه من وراء الصفوف(٢).

وهكذا هو حال المؤمنين الصالحين في أثناء تلاوة القرآن؛ قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣]، وإذا لم يجدوا الخشوع والبكاء سألوا عنه؛ فقد روي عن عبدالرحمن بن أبي ليلىٰ أنه «قرأ سورة مريم، حتىٰ انتهىٰ إلىٰ السجدة ﴿خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا﴾ [مريم: ٥٨]،فسجد بها، فلَمَّا رفع رأسه قال: هذه السجدة قد سجدناها، فأين البكاء؟»(٣).

الأصل الثاني: تحقيق المطالب العملية: مما يعين علىٰ التدبر أن يتَّبع قارئ القرآن في قراءته طريقًا محددًا، بخطوات واضحة؛ وذلك من خلال هذه المراحل:

١ – آداب التلاوة: وأول هذه المراحل هو الأخذ بآداب التلاوة:

أ – اختيار أفضل الأماكن لتلاوة القرآن –عن أبي ميسرة قال: «لا يذكر الله إلَّا في مكان طيب»(٤)– وكذا اختيار الأوقات الفاضلة؛ كالثلث الأخير من الليل، ووقت السحر، وغيرها من الأوقات التي تسكن فيها النفس ويطمئن فيها القلب، ومن «لا

(١) **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، للأصفهاني (١/ ٥١).

(٢) فضائل القرآن، **للهروي** (١٣٧، ١٣٨).

(٣) **المرجع السابق** (١٤٠).

(٤) **التبيان في آداب حملة القرآن**، للنووي (٧٩).

يعطي القرآن إلَّا فضول أوقاته، ولحظات ترقبه وانتظاره، فجدير ألَّا تخلص إلىٰ قلبه كثير من معانيه»(١).

ب- ينبغي علىٰ القارئ إذا أراد القراءة أن ينظف فمه بالسواك وغيره.. يقول النبي ﷺ: «**السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب**»(٢)، وعن عليٍّ رضي الله عنه قال: «**إن أفواهكم طرق للقرآن، فطيِّبوها بالسواك**»(٣)، وعلىٰ القارئ كذلك أن يأخذ بالسُّنن المنقولة عن النبي ﷺ حال قراءة القرآن، كالطهارة وغيرها.

ج- أن يأتي القارئ بالاستعاذة والبسملة: فلقد أقسم الشيطان بعزة الله أن يُغوي البشر ويحرفهم عن الصراط المستقيم؛ ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢]، ولذلك أُمرنا أن نستعيذ منه؛ ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، فالشيطان يصرف الإنسان عن فهم القرآن وتدبره، ويشغله بكل شيء عدَا المقصود من القرآن والانتفاع به، فوجب الالتجاءُ إلىٰ الله من الشيطان ليسلم الإنسان من شره.

ثم تأتي بعد ذلك البسملة، وهي قول القارئ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ وهي موجودة في أوائل سور القرآن، ما عدا ﴿بَرَاءَةٌ﴾، وحقيقتها أنها «**دعاء وتوسل إلىٰ الله بثلاثةٍ من أسمائه: الله، الرحمن، الرحيم؛ ليمدك بالعون والبركة فيما أنت مقبل عليه، وما تريد أن تقوم به**»(٤)، **ومن ذلك أن يفتح الله عليك باب تدبر كتابه عند قراءته.**

---

(١) **أفلا يتدبرون القرآن**، لناصر العمر (١٥٣)، بتصرف.

(٢) **صحيح البخاري** (٤٦٥)، كتاب الصوم، باب سواك الرطب واليابس للصائم (ح١٩٢٣).

(٣) **سنن ابن ماجه** (١/١٠٦)، أبواب الطهارة وسننها، باب السواك (ح٢٩١)، صححه الألباني.

(٤) **المعين علىٰ تدبر الكتاب المبين**، لسعد حنتوس (٦١).

٢- الإنصات وحسن الاستماع: الله يوجهنا إلىٰ أن نتعامل مع القرآن إذا قُرِئَ بالاستماع والإنصات؛ الذي يولِّد الخشية والإنابة من الله؛ طلبًا لرحمته ومغفرته، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، وكذلك ما رُوِي عن النبي ﷺ أنه كان يحب سماع القرآن من غيره، فقال لصحابيِّه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «اقرأ عليَّ، قال: قلت: أأقرأ عليك وعليك أنزل؟! قال: إني أشتهي أن أسمعه من غيري، قال: فقرأت النساء حتىٰ إذا بلغت ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، قال لي: كُفَّ، أو: أمسك. فرأيت عينيه تذرفان»[(١)]، وهذا خشوع منه ﷺ وإخبات لكلام ربه سبحانه، وهذا هو مقصود الاستماع إلىٰ القرآن؛ مساعدةً علىٰ تدبره، خاصةً إذا كانت التلاوة حسنة؛ فالنفس تطيب للاستماع لها، فحسن الاستماع يهيئ لحسن الفهم، وحسن الفهم يهيئ لحسن التدبر.

٣- التلاوة الحسنة: جاءت أحاديث عدة تحثُّ علىٰ تحسين الصوت بتلاوة القرآن؛ منها:

أ- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لم يأذن الله لشيء ما أذِنَ لنبي أن يتغنىٰ بالقرآن**»[(٢)].

ب- عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**زيِّنوا القرآن بأصواتكم**»[(٣)]، وفي رواية عنه رضي الله عنه قال: «سمعت النبي ﷺ يقرأ في العشاء: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ [التين:١]، فلم أسمع أحدًا أحسن صوتًا أو قراءةً منه»[(٤)].

---

(١) **صحيح البخاري** (١٢٨٩)، كتاب التفسير، باب البكاء عند قراءة القرآن (ح٥٠٥٥).

(٢) **المرجع نفسه** (١٢٨٣)، كتاب فضائل القرآن، باب من لم يتغنَّ بالقرآن (ح٥٠٢٣). ورواه مسلم في **صحيحه** (٣٥٦)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن (ح٨٩٢).

(٣) **سنن ابن ماجه** (٤٢٦)، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في حسن الصوت بالقرآن (ح١٣٤٢)، وقال الألباني في صحيح الجامع: حديث صحيح.

(٤) **صحيح البخاري** (١٨٦٥)، كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ: «الماهر بالقرآن مع الكرام البررة» (ح٧٥٤٦).

ج- عن سعد بن أبي وقاص ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس منَّا من لم يتغنَّ بالقرآن**»(١).

هذه الأحاديث وغيرها ممَّا يدلُّنا علىٰ أنه يُستحب تحسين الصوت، دون الإخلال بأحكام التجويد، كترعيد الغنن وتمطيط المدود وغيرها، فليس المطلوب من قراءة القرآن مجرد التغني بألفاظه مع الصوت الجميل بالأداء فقط؛ فإنه لا يكفي ما لم ينتفع الإنسان بالقرآن ويستفِدْ منه ويخشع عند سماعه؛ قال السندي: «المطلوب من تحسين الصوت بالقرآن أن تنتج قراءته خشية الله، فمن رأيتم فيه الخشية فقد حسن الصوت بالقرآن المطلوب شرعًا، فيُعد من أحسن الناس صوتًا»(٢).

٤- **تركيز جميع الحواس**: مما يُعين قارئ القرآن علىٰ التدبر أن يركز جميع حواسه حال تدبُّره، فيتفاعل قلبه مع الآيات بحضوره، وتتحرك جوارحه مع الهمَّة وقت تلاوته، وعلىٰ الإنسان أن يجاهد نفسه في ذلك؛ فالقلب يتقلب، والنفس تتبدل، فإن غاب قلبك في البداية لا تفشل؛ لأنه سيأتي في النهاية.

٥- **التدرج بالآيات**: من الأمور التي تزيد من سهولة التدبر: التدرج في قراءة الآيات، بحيث يقرأ القارئ عددًا قليلًا من الآيات علىٰ مهل، ليفهمها ويسهل عليه العمل بها، وذلك أن القرآن لا يمكن أخذه دفعة واحدة، وهو قد نزل مفرَّقًا علىٰ النبي ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]، هذا من جهة، ومن جهة أخرىٰ فإن كلام الله ثقيل: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥]، يثقل علىٰ الإنسان أخذه إلَّا بتُؤَدة؛ فعن بعض أصحاب رسول الله ﷺ

(١) **المرجع نفسه** (١٨٦٠)، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالىٰ ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ﴾، (ح٧٥٢٧).

(٢) **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، للمباركفوري (٧/ ٢٩٣).

«أنهم كانوا يقترئون من رسول الله ﷺ عشر آيات، فلا يأخذون في العشر الأخرىٰ حتىٰ يعلموا ما في هذه من العلم والعمل، قالوا: فعلمنا العلم والعمل».(١)

٦- التلاوة بتفهم وتمهل: ممَّا يعين القارئ علىٰ التدبر: القراءة بتمعُّن في معاني الآيات وموضوعات السور، فيقف لإعمال العقل وفهم المراد، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «لا تنثروه نثر الدقل، ولا تهذُّوه هذَّ الشعر، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن همُّ أحدكم آخر السورة»(٢)، أو إكمال جزء أو ختمة، بل يكون المقصود هو التدبر والتفكر فيما يقرأ من آيات الله عز وجل.

فينبغي للتالي أن يستوضح من كل آيةٍ ما يليق بها، ويتفهم ذلك، فإذا تلا مثلًا قوله تعالىٰ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]، فليعلم عظمته ويتلمح قدرته في كل ما يراه، وإذا تلا قوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا تُمۡنُونَ﴾ [الواقعة: ٥٨]، فليتفكر في نطفة متشابهة الأجزاء، كيف تنقسم إلىٰ لحم وعظم، وعرق وعصب، وأشكال مختلفة من رأس ويد ورجل، وهكذا ليتأمل بديع الخلق ودقة الصنع(٣).

فالتلاوة بتفهم وتمهل هي القراءة التأملية التي تكون بالوقوف علىٰ الآية وقفة متأنية فاحصة مراتٍ ومرات؛ ليستخرج منها بعض ما يتفضل الله تعالىٰ به عليه من الفهم والتدبر، يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]، أي: «اقرأه علىٰ تمهل؛ فإنه يكون عونًا علىٰ فهم القرآن وتدبره»(٤)، ورُوي أن

---

(١) **مسند أحمد** (٣٨/ ٤٦٦)، (ح٢٣٤٨٢)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٢) **أخلاق أهل القرآن**، لأبي بكر الآجري (٣٨).

(٣) **مختصر منهج القاصدين**، لابن قدامة (٦٦).

(٤) **تفسير القرآن العظيم**، لابن كثير (٨/ ٢٥٠).

رجلًا قال لعبدالله بن عباس: «إني سريع القراءة، وإني أقرأ القرآن في ثلاثٍ، فقال: لَأن أقرأ البقرة في ليلة فأدَّبرها وأرتِّلها، أحبُّ إليَّ مِن أن أقرأ كما تقول»(١).

الأصل الثالث: تحقيق المطالب العلمية: من أصول التدبر تحقيق المطالب العلمية، التي تتمثل في المعارف اللازمة لفهم القرآن ومعانيه، وهي التي ينبغي الحصول عليها كما يلي:

١- دراسة اللغة العربية: دراسة اللغة العربية من أَوْلَىٰ الأولويات لفهم القرآن وتدبُّره؛ فالذي لا يعرف اللغة كيف له أن يعرف المعنىٰ؟! قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾ [إبراهيم: ٤]، ومنه أن الله ﷻ «أنزل القرآن علىٰ نبيه بلسان عربي مبين؛ فمن لم يعلم النحو واللغة لم يعلم اللسان الذي به بيَّن الله لنا ديننا وخاطبنا به، ومَن لم يعلم ذلك فلن يعلم دينه، ومن لم يعلم دينه ففرض عليه أن يتعلمه، وفرض عليه واجب تعلم النحو واللغة، ولا بد منه علىٰ الكفاية»(٢)، ولو سقط علم النحو واللغة، لسقط فهم القرآن وتدبُّره، ولسقط الدين جملةً، ولذلك تعلم اللغة العربية هو أمرٌ في غاية الأهمية في مجال تدبر القرآن الكريم، ولذلك نجد كثيرًا ممن دخل في الإسلام يتمنىٰ لو أنه يعرف العربية جيدًا؛ ليفهم ما يُتلىٰ من القرآن الكريم، ومن السُّنة النبوية، ومن كُتُب العلماء، فنجده يبذل قُصارىٰ جهده في تعلم هذه اللغة، ويجاهد نفسه في سبيل تحقيق ذلك؛ فهي من أصعب اللغات في العالم.

٢- دراسة كتب التفسير: التفسير مطلوب؛ لفهم ما استصعب فهمه في القرآن، وذلك لمعرفة مكنون القرآن وما يحمله من معانٍ ومقاصد، ولمعرفة الكلمات الغريبة ودلالاتها، ومعاني الجُمل وسياقها، والآيات وتناسبها، والتراكيب وارتباطها.

---

(١) **فضائل القرآن**، للهروي (١٥٧).

(٢) **رسائل ابن حزم**، لابن حزم (٣/ ١٦٢).

فعلىٰ المتدبر أن يجعل معه تفسيرًا لمفردات القرآن، فلا يمرُّ بالآيات إلَّا وقد فهم معناها ومرادها، ولذلك «مرحلة التدبر لا تأتي إلا بعد الفهم، إذْ لا يمكن أن يُطلب منك تدبر كلام لا تعقله»[١]، فالذين لا يعرفون معنىٰ الآيات ذمهم الله وجعلهم في مرتبة الكفار والمنافقين؛ قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥]، فهم لا يفهمون القرآن ولا يفقهونه لأن قلوبهم مقفلة عنه، ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الإسراء: ٤٦].

ويرتبط التفسير بالتدبر ارتباطًا وثيقًا؛ إذْ إن المفسرين في أخذهم لأقوال العلماء يعتمدون علىٰ فهمهم واجتهادهم في الآيات لأخذ القول الراجح والأصح بعد إعمال الفكر والنظر من أجل البيان[٢]، ولكنَّ هناك فرقًا يخفىٰ علىٰ كثير من الناس، ينبغي التنبُّه له، بين التدبُّر والتفسير؛ لكي لا يحصل الخلط بينهما: «فالتفسير والبيان يقفان عند حدود الفهم، أما التدبر فهو بداية تفعيل الفهم»[٣] المصاحب للعمل، بمعنىٰ أن التفسير وسيلة للتدبر ومرحلة من مراحله، والتدبُّر أعم، فليس بالضرورة أن يكون كل تفسيرٍ تدبرًا، ولكنَّ أغلب التدبر هو تفسير لآيات الله، مع إعمالٍ لها، بحيث يندمج النظري مع التطبيقي، فيكون تدبُّرا.

٣- طلب العلم والدعاء: متدبِّرُ القرآن لا ينبغي إلَّا أن يكون طالبًا للعلم؛ لأن من لوازم التدبر العلم والمعرفة بالفنون المتعلقة بالقرآن، وذلك لا يكون إلا بحضور مجالس العلم وسؤال العلماء الموثوق بهم، قال تعالىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، وأهل الذكر هم أهل القرآن، الذين يَعلمونه ويُعلِّمونه،

---

(١) **مفهوم التفسير**، لمساعد الطيار (١٨٧).

(٢) **المرجع نفسه** (١٨٩)، بتصرف.

(٣) **نظرة في تدبُّر الوحي**، لطارق زوكاغ (١٨).

فهم مصابيح الأرض تُنير للعابرين سبيلهم، وتجيب للسَّائلين عن إشكالهم، ولذلك فإن من أبواب التدبر والفهم: إكرام أهل العلم وحملته، وإنزالهم منازلهم، والإفادة منهم.

فلا يمكن للمتدبِّر أن يَعمَل إلا بعد أن يَعلَم، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ [يوسف: ١٠٨]، أي: علىٰ علم ويقين من غير شك ولا امتراء ولا مرية(١)، **فعلىٰ الإنسان أن يعلم أولًا ليفهم ويعقل ما يتلو من القرآن الكريم، فقد قال الله تعالىٰ:** ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ [محمد: ١٩]، فذكر العلم أولًا؛ ليأتي بعده العمل.

ومما يعين علىٰ التدبر كذلك الدعاء؛ يقول الله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، ومنه دعاء الله سبحانه ﷻ أن يفتح علىٰ عبده فتوحات العلم وأبواب تدبُّر الذكر، فقد ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يدعو بذلك، بقوله: «اللهم ارزقني التفكر والتدبر لما يتلوه لساني من كتابك، والفهم له، والمعرفة بمعانيه، والنظر في عجائبه، والعمل بذلك ما بقيت، إنك علىٰ كل شيء قدير»(٢).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، **للسعدي** (٨٠٨).

(٢) **العقد الفريد**، لابن عبد ربه الأندلسي (٤/ ١٦٥).

المبحث السادس

موانع تدبر القرآن الكريم

موانع تدبر القرآن الكريم هي نقيض ما ذكرناه في أصول التدبر، لأن التلبس بضدها يحول بين القارئ وبين تدبره للقرآن الكريم، ويمكن حصر موانع التدبر إلىٰ عقدية وعملية، فيما يلي:

أ- الموانع العقدية: من أهم موانع تدبر القرآن عقديًّا التالي:

١- الكفر والنفاق من أهم موانع تدبر القرآن الكريم؛ فقد خاطب الله الكفار والمنافقين بذلك، فقال ﷻ: ﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، وفي قوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، وغيرها من الآيات، فلم يدبَّروا القول، وما منعهم من ذلك إلَّا صِفاتهم التي تلازم كفرهم ونفاقهم، كالخداع والفسق والأخلاق السيئة.

٢- الجدال بغير علم، والجهل بالقرآن الكريم هو من موانع تدبر آيات الله تعالىٰ، وهذا نتيجة لعدم الفهم الصحيح لمعاني كلام الله تعالىٰ وإدراك مراده سبحانه، قال ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾ [الحج: ٨]، وهذا الجدال بغير علم لا يكون من ورائه إلَّا ردُّ الحق ولَبسُ الباطل؛ مصداقًا لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا﴾ [الكهف: ٥٦].

٣- الاستكبار عن الحق وتكذيبه هو من معوقات التدبر، فقد قال تعالىٰ: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن

﴿يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦]؛ وذلك لأن أنفسهم عرفت الحق وأنكرته؛ فقالوا: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾ [الفرقان: ٥]، ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤].

٤- الغفلة والإعراض عن القرآن من موانع التدبر، فلا يمكن أن يتدبر القرآن من هو غافل ومُعرض عنه، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٖ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [يس: ٤٦]، وفي قوله تعالىٰ: ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١]، ولذلك صرف الله قلوبهم لتدبر القرآن، وفهم الآيات، ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٞ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢٧].

ب- موانع عملية: كما رأينا آنفًا أن للتدبر موانع عقدية؛ فله كذلك موانع عملية، تمنع القارئ من الوصول إلىٰ الفهم الصحيح الذي يُنتج عملًا صائبًا، فصاحب القرآن تعرقله موانع في طريقه لتدبر القرآن الكريم، وعوائق، نذكر من أهمها ما يلي:

١- الذنوب والمعاصي سبب في الحرمان من تدبر القرآن الكريم والخير العظيم، وهي سببٌ في ضلال السبيل، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، فبسبب هذه المعاصي -التي عمَّت بها البلوىٰ اليوم- قد انصرفت بها الأمة عن فهم القرآن الكريم وتدبره.

٢- الاشتغال بالدنيا ممَّا يُذهب التدبُّر والتفكر في آيات القرآن الكريم، وهذا يحدث بانشغال الذهن حال التلاوة بالـمُلهيات وشواغل النفس وحاجاتها «التي تُلِحُّ علىٰ النفس وتخايل لها، وبذلك تحجب القلب عن التدبر والوعي والتلقي، فينبغي علىٰ قارئ القرآن في أثناء قراءته ألَّا يكون جائعًا أو عطشانًا، أو مهمومًا قلقًا مضطربًا»(١)، أو

(١) انظر: **مفاتيح للتعامل مع القرآن**، لصلاح الخالدي (٥٣).

بأي شيء يشغل باله عن التركيز والتدبُّر.

٣- السرعة في التلاوة وعدم الفهم في القراءة هما من موانع التدبر، فكيف يتفكر في القرآن من يمُرُّ بالآيات مرَّ الكرام؟ لا فَقِهَ ما يقول، ولا فَهِمَ ما يتلو، وهذا هو خلافُ ما كان عليه النبي ﷺ من التأني في القراءة، والتَروِّي في الدِراية، وذلك لـمَّا سُئل أنس بن مالك عن قراءة النبي ﷺ فقال: «كانت مدًّا، ثم قرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١]، يمدُّ ببسم الله، ويمدُّ بالرحمن، ويمدُّ بالرحيم»(١)، فهي قراءة متمهلة ومتدبرة.

٤- الاشتغال بأحكام التجويد وتحسين الصوت ممَّا يُذهب المقصود من التلاوة، وهو التدبر، فيهتم القارئ بالتجويد وأحكامه وضبط مخارج الحروف وصفاتها، وكل ذلك، وإن كان حسنًا، ولكنْ فوقه ما هو أهم منه وأتم وأَوْلَىٰ وأحرىٰ، وهو الفهم لآيات الله ﷻ والتعمق فيها والعمل بها(٢).

٥- من موانع التدبر الإخلال بالتدرُّج في تدبُّر القرآن الكريم، والتدرُّج هنا هو الأخذ بوسائل التدبر التي ذكرناها آنفًا، فيبدأ بما يسهل عليه من الآيات، بحيث ينتقل فيها من الأسهل إلىٰ السهل، ويأخذها علىٰ مراحل، واحدةً واحدةً، فيفهمها بالتدريج؛ لكي لا تمل النَّفس وتنتكِس ويثقل عليها الأمر؛ «فإن الله لا يملُّ حتىٰ تملُّوا»(٣)، ولذلك ينبغي التدرج لتدبر القرآن الكريم، فلو قطعنا حلقةً من حلقاتِه لانحَلَت سِلسلة التدبُّر، ولَجُعِل بين القلب وبين فهم القرآن حائل.

---

(١) **صحيح البخاري** «١٢٨٧، باب مدِّ القراءة، كتاب فضائل القرآن (ح٥٩٤٦).

(٢) انظر: **معلم القرآن والأسس النفسية في منهج التدبر**، لهاشم الأهدل (٧).

(٣) صحيح البخاري (٤٧٤)، كتاب الصوم، باب صوم شعبان (ح١٩٧٠). صحيح مسلم (٥١٣)، كتاب الصيام، باب صيام النبي ﷺ في غير رمضان، (ح٧٨٢).

المبحث السابع

طريقة السلف الصالح وحالهم مع التدبر

حال السلف الصالح مع القرآن الكريم هو حال المتدبر، فقد كانت طريقتهم في ذلك إمامًا لنا، وأمثلتهم أُنسًا لنا، وذلك هو سِرُّ تفضلهم علينا؛ لأن قراءتهم كانت عميقةً مدركةً للمعاني والمفاهيم، فكان القلب يتشبَّعُها بمثابة الوَقودِ للمحرك، فسبقوا بفعل الخيرات ما لا نستطيع أن نضاهيهم به، أو نفوقهم، وقد كانوا أكثر منَّا عملًا وأكثر إخلاصًا؛ ابتداءً من سيدِ الخلق وإمام المتقين ﷺ مرورًا بصحابته الكرام، ثم التابعين، وتابعيهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، ومن كنوز أعمالهم في التدبر ما يلي:

أولًا: طريقة تدبرهم للقرآن الكريم: لقد علم السلف الصالح والجيل الفالح من الصحابة قيمة القرآن في حياتهم، فكانوا يهيئون أنفسهم لفهمه، ويعملون علىٰ تدبره؛ فقد ذكر أبو عمرو الداني بإسناده: «أن رسول الله ﷺ كان يُقرئهم العشر فلا يجاوزونها إلىٰ عشر أخرىٰ حتىٰ يتعلموا ما فيها من العمل، فيُعلمنا القرآن والعمل جميعًا، وفي رواية أخرىٰ: كنا إذا تعلمنا عشر آيات من القرآن لم نتعلم العشر التي بعدها حتَّىٰ نعرف حلالها وحرامها وأمرها ونهيها»[(١)]، وهذا التعامل علىٰ مَهَل مع القرآن الكريم هو الذي جعل قلوبهم تزداد إيمانًا وأعمالهم إخلاصًا، وجعلهم يتأملون معاني الذكر الحكيم، ويعرفون بها صفات الرب الكريم، فيسبقون بها إلىٰ جناتِ النَّعيم.

---

(١) **البيان في عد آي القرآن**، لأبي عمرو الداني (٣٣).

ثانيًا: تأثرهم بالقرآن حال تلاوته أو سماعه: كان حال هؤلاء السلف مع القرآن حال المتدبر الخاشع والمشفق الباكي، قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]، فلقد نقل إلينا من تأثرهم بالقرآن قول عبدالله بن عروة بن الزبير رضي الله عنهما: «قلت لجدتي أسماء بنت أبي بكر: كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا سمعوا القرآن؟ قالت: تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم، كما نعتهم الله»(١)، فقد شهد لهم الله تعالىٰ بتأثرهم بالقرآن الكريم، وكفىٰ بها شهادة أنَّ الله قد ذكرهم في كتابه العزيز، الذي يُتلىٰ آناء الليل وأطراف النهار، تُذكر فيه صفاتهم وتُتلىٰ بكل حرف حسنة وأجر، فإن هو تدبرها كانت له نِبراسًا ونموذجًا من أبهىٰ النماذج البشرية للحياة الهنية.

ثالثًا: عملهم بالقرآن الكريم: كان عمل السلف بالقرآن هو السؤدد الذي رفعهم، والدستور الذي سيَّرهم، ودلائله عليهم أكثر من أن تُحصر، وأشهر من أن تُذكر، لكنْ نقتصر علىٰ بعضها؛ قال زيد بن أسلم: «لـمَّا نزل: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥]؛ قال أبو الدحداح: فداك أبي وأمي يا رسول الله، إن الله يستقرضنا وهو غني عن القرض؟ قال: «يريد أن يدخلكم الجنة به»، قال: فإني إن أقرضت ربي قرضًا يضمن لي به ولصبيتي الدحداحة معي الجنة؟ قال: «نعم»، قال: فناوِلْني يدك. فناوله رسول الله ﷺ يده، فقال: إن لي حديقتَيْن، إحداهما بالسافلة، والأخرىٰ بالعالية، والله لا أملك غيرهما، قد جعلتهما قرضًا لله تعالىٰ. قال رسول الله ﷺ: «**اجعل إحداهما لله، والأخرىٰ دعها معيشة لك ولعيالك**»، قال: فأُشهدك يا رسول الله أني قد جعلت خيرهما لله تعالىٰ، وهو حائط فيه ستمئة نخلة. قال: «إذًا يجزيك الله به الجنة»»(٢)، فهذا هو صنيع من يبيع دنياه من أجل آخرته،

(١) **الجامع لشعب الإيمان**، لأبي بكر البيهقي (٣/ ٤١٧).

(٢) **الجامع لأحكام القرآن**، للقرطبي (٤/ ٢٢١).

اشتروا الجنة بأثمانٍ فانية من الدنيا، رضوا بالقليل من الدنيا، ولم يُرضهم من الآخرة إلَّا الفردوس الأعلىٰ من الجنة، تعبَ والله من سابقهم إليها، ما أشح النفس علىٰ الخير! وما أتبعها للهوىٰ، تبخل علىٰ نفسها بنفسها، وتبحث عن راحتها بشقائها، وعن سعادتها بتعاستها، قد قُلبت عليها الدنيا وعُكست، فلم تَنَلْ من الدنيا شيئًا لتربح، ولا الآخرة حصَّلت.

الخاتمـة

من خلال دراسة هذا الموضوع: (تدبُّر القرآن الكريم وآثاره) خَلُصنا إلىٰ جملةٍ من النتائج:

١. فهم ما يُتلىٰ من القرآن هو طريق الوصول إلىٰ التأثير الفعلي علىٰ القلب والبدن، فيما يجلب للعبد الراحة والسكينة والطمأنينة.

٢. من أنواع هجر القرآن الكريم؛ هجر فهمه، وهجر التداوي به، وكلما أقبل القلب بالفهم والوعي والتدبر، زاد ذلك من حلاوته عند القراءة، فيزيد نفعه وبركته في حياة العبد.

٣. المقصود بتدبر القرآن ليس فقط القراءة للوِرد، أو حُسن التلاوة للقرآن، فذلك -وإن كان مطلوبًا- فإن الغاية منه أبعد من ذلك؛ من خشوع وخضوع والتزام لأوامر الله ونواهيه.

٤. تدبر القرآن وتركيز الذهن في قراءته من أقوىٰ العلاجات؛ فهو يشفي من كل شبهة وجهالة، ومن كل شهوة وذنب، وهو شفاء القلوب من أدوائها، والأبدان من أسقامها، وله أثر عظيم علىٰ النفس والروح؛ لمن أحسن التداوي به، وكمل تصديقه وإيمانه وثقته بالله، فهو صاحب الشفاء والأمر بيده سبحانه.

٥. المتدبرُ للقرآن مع زمرة الأتقياء والسعداء، الذين علِموا مُراد التشريع ومقصدَ التكليف، فذكروا الله كثيرًا وارتقوا مع الملائكة في ذكرهم لربهم جل في عُلاه؛ الذين: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]، فتدبر القرآن مقامه رفيع، وشأنه عظيم، قد رفع المؤمن به قدره، وصان به نفسه، ولا يُوفق لذلك إلَّا من وفق.

٦. أكبر عائق في فهم القرآن وتدبره هو الجهل والغفلة والذنوب، وكذلك الكفر والنفاق وسوء السريرة؛ فهي تبعد عن الفهم والتقرب إلىٰ مقامات الربانيين العارفين، فالإنسان علىٰ حسب نيته وطهارة قلبه، ومن جاهد في الله فإن الله يهديه إلىٰ سبل الرشاد وسبل الخير كله.

٧. من أهم ثمار تدبر القرآن الكريم زيادة الإيمان بالله والتفكر في ملكوته وعظمته، وهذا يقوِّي قلب الإنسان ويجعل له نورًا، ويطرد عنه الشياطين وكيدهم، كما يحميه من كل شر، ويجلب له الأرزاق.

٨. أن فهم دين الله ﷻ علىٰ الوجه الذي يحبه الله ويرضاه هو علاج النفس البشرية وشفاؤها من كل داءٍ، وصحتها من كل مرض، فالذي خلقَ هو من يعلم نقطة الضعف والمرض، ونقطة الصحة، والصانع أدرىٰ بصنعته، ولهذا فاتخاذ قول الخالق هو الحلُّ المضمون لكل مشكلة، وهو المنظار الإيجابي في الحياة، فسلفنا الصالح لم تكن تسمع بهم الأمم الأخرىٰ، ولم يكن لهم وزن، ولم تقم لهم قائمة؛ إلَّا بعدما فهموا وتدبروا وتشبثُوا بالقرآن الكريم والسُّنة النبوية، فهذا هو عزهم الذي أعزهم الله به، وأذلَّ غيرهم بفقده.

التوصيات:

١. يوصي الباحث بفتح مراكز علمية للتدبر؛ بغية إنشاء جيل ربَّاني يتعلم أصول التدبر وقواعده، فإن لم تكن مراكز خاصة للتدبر، يقترح إدراجها مع أقسام التحفيظ، وتكون حلقات حفظ وتدبر، وذلك أكمل وأفضل، فحفظ الذكر يحتاج معه إلىٰ فهم وتدبر للمعنىٰ، وعمل به.

٢. كما يحث الباحثُ المدرسين والأئمة والوعاظ علىٰ الاهتمام في دروسهم ومحاضراتهم وخطبهم بالتكلم عن التدبر وطريقة الوصول إليه، فالملاحظ في

المساجد والمنتديات والندوات وغيرها أن موضوع التدبر قلَّما يُذكر، وهذا دليل علىٰ فقد الأمة لأهم أسباب حياتها.

٣. كما يوصي الباحث من أُوتي درجة من العلم، وكان ممن اختصهم الله بتفقه كتابه وتدبره أن يُعلِّم الناس مما آتاه الله من فضله؛ فيُبينُ لهم ولا يكتُم ما يحتاجون إليه من أمر دينهم وكتاب ربهم، ولا يبخل علىٰ نفسه وعلىٰ إخوانه، بتبيين الحق من الباطل، وتحبِيب كتاب الخالق إلىٰ الناس.

٤. ومما يوصي به كذلك: أن يتم توظيف التدبر في بناء المنهج الوسطي للدين، بعيدًا عن التطرف والفهم المنحرف، والأعمال المشوهة للإسلام، وذلك من خلال نشر غايات التدبر وأهدافها بين الشباب؛ لحمايتهم من الغلو الفكري.

هذا؛ ونسأل الله تعالىٰ أن يرزقنا تدبر كتابه، والتلذذ بتلاوته ومناجاته، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مجلة تدبر

فهرس المصادر والمراجع

١. **القرآن الكريم**.

٢. «**آثار ابن باديس**». ابن باديس، عبدالحميد محمد الصنهاجي. ط١. تحقيق: عمار الطالبي. الجزائر: دار ومكتبة الشركة الجزائرية ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

٣. «**أخلاق أهل القرآن**». الآجري، أبو بكر محمد بن الحسين. ط٣. تحقيق: محمد عمرو بن عبداللطيف. لبنان، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣م.

٤. «**الأذكار النووية**». النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيىٰ بن شرف. ط.خ: محمد الفياض البارودي. تحقيق: عبدالقادر الأرنؤوط. دمشق: دار الملَّاح ١٣٩١ هـ/ ١٩٧١م.

٥. «**أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**». الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار. د.ط. جدة: مجمع الفقه الإسلامي، دار عالم الفوائد. د.ت.

٦. «**أفلا يتدبرون القرآن**». ناصر العمر. ط١. الرياض: دار الحضارة ١٤٣٢ هـ/ ٢٠١١م.

٧. «**اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**». ابن تيمية، ط٢. تحقيق: ناصر بن عبدالكريم العقل. الرياض: دار إشبيليا ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨م.

٨. «**البرهان في علوم القرآن**». الزركشي، أبو عبدالله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر. ط٣. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. مصر/ القاهرة: دار التراث ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٩. «**البيان في عد آي القرآن**». الأندلسي، أبو عمرو الداني. ط١. تحقيق: غانم قدوري الحمد. الكويت: منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤م.

١٠. «**التبيان في آداب حملة القرآن**». النووي. ط٤. محمد الحجار. لبنان/ بيروت: دار ابن حزم ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦م.

١١. «**التحرير والتنوير**». ابن عاشور، محمد الطاهر. د.ط. تونس: الدار التونسية ١٩٨٤م.

١٢. «**تدبر القرآن الكريم**». التويجري، عبداللطيف بن عبدالله. ط١. الرياض: مكتبة دار المنهاج ١٤٣٦هـ.

١٣. «**تدبر القرآن**». السنيدي، سلمان بن عمر. ط٢. كتاب البيان: سلسلة تصدر عن مجلة البيان ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢م.

١٤. «**تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور**». السيوطي، عبدالرحمن بن الكمال جلال الدين. د.ط. لبنان – بيروت: دار الفكر ١٤٣٣ هـ/ ٢٠١١م.

١٥. «**تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن**». الطبري. أبو جعفر محمد بن جرير ط١. تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي. القاهرة: دار هجر ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١م.

١٦. «**تفسير القرآن العظيم**». ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. ط٢. تحقيق: سامي بن محمد السلامة. المملكة العربية السعودية/ الرياض: دار طيبة. ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩م.

١٧. «**تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**». الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر. ط٣. تحقيق: خليل مأمون شيحا. لبنان – بيروت: دار المعرفة ١٤٣٠ هـ/ ٢٠٠٩م.

١٨. «**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**». السعدي، عبدالرحمن بن ناصر. ط١. تحقيق: سعد بن فواز الصميل. الدمام: دار ابن الجوزي، ربيع الثاني/ ١٤٢٢هـ.

١٩. «**جامع بيان العلم وفضله**». القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر بن عاصم النمري. ط١. تحقيق: أبي الأشبال الزهيري. المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٢٠. «**الجامع لأحكام القرآن**». القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر. ط١. تحقيق: عبد بن عبدالمحسن التركي. مؤسسة الرسالة ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٢١. «**الجامع لشعب الإيمان**». البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين. ط١. تحقيق: مختار أحمد الندوي وآخرين. المملكة العربية السعودية/ الرياض: مكتبة الرشد. ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٢٢. «**حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**». الأصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبدالله. د.ط. القاهرة: دار الفكر ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦م.

٢٣. «**دليل فهم القرآن المجيد**». العتيبي، أبو عبدالملك أحمد بن مسفر بن معجب. ط٢. الرياض: مكتبة الرشد ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨م.

٢٤. «**رسائل ابن حزم**». ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي. ط٢. تحقيق: إحسان عباس. المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٨٧م.

٢٥. «**روح المعاني**». الألوسي، محمود شهاب الدين أبو الثناء الحسيني. د.ط. بيروت: دار إحياء التراث العربي. د.ت.

٢٦. «**زاد المسير في علم التفسير**». ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد. ط١. لبنان/ بيروت: المكتب الإسلامي، دار ابن حزم ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢م.

٢٧. «**سنن ابن ماجه**». ابن ماجه، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني. د.ط. تحقيق: محمد عبدالباقي. دار إحياء الكتب العربية. د.ت.

٢٨. «**سنن الدارمي**». الدارمي، أخرجه أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بهرام. ط١. تحقيق: حسين سليم أسد الداراني. الرياض: دار المغني ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠م.

٢٩. «**صحيح البخاري**». البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل الجعفي. ط١. دمشق/ بيروت: دار ابن كثير ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢م.

٣٠. «**صحيح ابن حبان**». ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد. د.ط. ترتيب: علاء الدين بن بلبان. تحقيق: جاد الله بن حسن الخدَّاش. لبنان: بيت الأفكار الدولية ٢٠٠٤م.

٣١. «**صحيح مسلم**». مسلم، أبو حسين بن الحجاج القشيري النيسابوري. ط١. الرياض: دار طيبة ١٤٢٧ هـ/ ٢٠٠٦م.

٣٢. «**العقد الفريد**». ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد بن محمد. ط١. تحقيق: عبدالمجيد الترحيني. لبنان ـ بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٣م.

٣٣. «**فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**». الشوكاني، محمد بن علي بن محمد. ط٤. تحقيق: يوسف الغوش. لبنان/ بيروت: دار المعرفة ١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٧م.

٣٤. «فضائل القرآن». **الهروي، أبو عبيد القاسم سلَّام. د.ط.** تحقيق: **مروان عطية، محسن خرابة، وفاء تقي الدين. دمشق/ بيروت: دار ابن كثير. د.ت.**

٣٥. «**كيف نتدبر القرآن**». زمرلي، فواز أحمد. ط٥. بيروت: دار البشائر الإسلامية ١٤٢٤هـ.

٣٦. «**ليدبروا آياته**». مجموعة من المؤلفين. ط٢. الرياض: مركز تدبر للدراسات

والاستشارات، المجموعة الرابعة ١٤٣٥ هـ/ ٢٠١٤م.

٣٧. «**مجموع الفتاوى**». ابن تيمية، تقي الدين أحمد. ط٣. تحقيق: عامر الجزار، أنور الباز. دار الوفاء ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥م.

٣٨. «**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**». ابن عطية، أبو محمد عبدالحق بن غالب. ط١. تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد. لبنان/ بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١م.

٣٩. «**مختصر منهاج القاصدين**». ابن قدامة، أحمد بن عبدالرحمن المقدسي. ط٩. تحقيق: زهير الشاوش. بيروت: المكتب الإسلامي ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠م.

٤٠. «**معالم التنزيل**». البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود. ط١. لبنان/ بيروت: دار ابن حزم ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢م.

٤١. «**مفاتيح الغيب**». الرازي، محمد فخر الدين بن ضياء الدين عمر. ط١. بيروت: دار الفكر. ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م.

٤٢. «**مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**». ابن القيم. ط١. تحقيق: عبدالرحمن بن حسن بن قائد. مؤسسة سليمان بن عبدالعزيز الخيرية. جدة/ مجمع الفقه الإسلامي - منظمة المؤتمر الإسلامي: دار عالم الفوائد ١٤٣٢هـ.

٤٣. «**مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**». المباركفوري، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبدالسلام. ط٣. الهند – الجامعة السلفية بنارس: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م.

٤٤. «**مسند الإمام أحمد بن حنبل**». ابن حنبل. ط١. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين. عبدالله بن عبدالمحسن التركي (إشراف). بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١ م.

٤٥. «**معجم التعريفات**». الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف. د.ط. تحقيق: محمد الصديق المنشاوي. القاهرة: دار الفضيلة ٢٠٠٤م.

٤٦. «**معجم مقاييس اللغة**». ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكرياء. د.ط. تحقيق: عبدالسلام محمد هارون. دار الفكر ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩م.

٤٧. «**معلم القرآن والأسس النفسية في منهج التدبر**». الأهدل، هاشم بن علي. د.ط. د.ن. د.ت.

٤٨. «**المعين علىٰ تدبر الكتاب المبين**». حنتوس، سعد بن أحمد. د.ط. مركز المعين. د.ت.

٤٩. «**مفاتيح للتعامل مع القرآن**». الخالدي، صلاح عبدالفتاح. ط٢. دمشق: دار القلم ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤م.

٥٠. «**مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر**». الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر. ط٢. دار ابن الجوزي، شوال ١٤٢٧هـ.

٥١. «**مناهج البحث العلمي**». محمد سرحان علي محمود. ط٣. صنعاء: دار الكتب ١٤٤١ هـ/ ٢٠١٩م.

٥٢. «**نظرة في تدبُّر الوحي**». طارق زوكاغ. مجلة البيان. قضايا تربوية، العدد ٢٧٩.

مجلة تدبر

فهرس الموضوعات

مجلة تدبر

مجلة تدبر



مظاهر نعمة الطريق في ضوء سورة النحل

د. محمود بن عبد الجليل روزن

قدم للنشر في: ١٤٤١/٨/٢٢
قبل للنشر في: ١٤٤١/١١/١٨
نشر في: ١٤٤٢/٧/١

- مُقرئ وباحث في التفسير وعلوم القرآن.
- حاصل علىٰ الشهادة العالية في القراءات من معهد القراءات التابع للأزهر الشريف.
- **بعض نتاجه العلمي:**
  - زاد المجيز والمجاز في القراءة والإقراء.
  - وقف التدبُّر: معناه، وأنواعه وأحكامه.
  - مقاربة تنظيرية لعلم تحفيظ القرآن الكريم.
  - وقف البيان في القرآن الكريم: دراسة مصطلحية.
  - الحفظ في القرآن الكريم؛ دراسة موضوعية، لموسوعة التفسير الموضوعيّ.
  - العزم في القرآن الكريم؛ دراسة موضوعية، لموسوعة التفسير الموضوعي.
  - رحمة القرآن؛ ماهيتها، وسبل استنزالها واستثمارها تربويًّا ودعويًّا.
  - الضمان الرباني لتعاهد القرآن الكريم.
  - تقدير الاستفهام في القرآن الكريم.
- **البريد الشبكي:** dr.mah2011@gmail.com

مجلة تدبر

ملخص البحث

تُعَد نعمة الطريق من أعظم نِعَم الله ﷻ علىٰ البشر. وقد عُقِد هذا البحث علىٰ تَتبُّع إشارات سورة (النَّحْل)، واتخاذها مُنطلقًا لاستنباط وجوه نعمة الطريق كما ذَكَرها القرآن الكريم.

◆ أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في أنه محاولة للقيام بحق تدبر القرآن الكريم، بتعميق الفكرة في نعمة الطريق، وتعديد وجوهها ومعالمها؛ فاستظهارها سبيل شكرها.

كما أنه محاولة لبيان أن آيات الوحي دليل الآيات الكونية، وأن العلم الصحيح لا يمكن أن يُعارِض الوحي؛ بل يُصَدِّقه، فمُنْزِل الكتاب هو خالق الكون، وهو سبحانه علىٰ كل شيء قدير، وقد أحاط بكل شيء علمًا.

◆ أهم النتائج:

وقد استَنبط الباحث ثمانية أوجه لنعمة الطريق، في ضوء ما أثمره التأمل في القرآن الكريم، من خلال سورة (النَّحْل):

أ- تذليل الأرض، وتمهيدها وبَسْطها.

ب- تسخير طرق البَر والبحر والجو، وتنويع وسائل السير فيها.

ج- نَصْب معالم وعلامات للاهتداء في الطرق المتنوعة.

د- الهداية بالكائنات إلىٰ السبل غير الظاهرة.

هـ- انتظام القوانين الكونية، وتسخيرها لمنافع البشر.

و- تذليل السبل للكائنات والمخلوقات الأخرىٰ بما يَنفع البشر.

ز- جَعْل الطريق الحسي دلالة علىٰ الطريق المعنوي.

ح- تأميل البشر بما يُيسِّر لهم الطرق والمسالك في مستقبلهم.

أهم التوصيات:

١- تَبنِّي العلماء والباحثين والدعاة تثوير وجوه النِّعم وتَدبُّرها في القرآن الكريم، وتقريبها لعموم المسلمين. وكثيرة هي النِّعم الحقيقة بذلك في القرآن الكريم، وخصوصًا سورة (النَّحْل) كنعمة الوحي، ونعمة تسخير الحيوانات، ونعمة الحواس.

٢- مَسَّ البحثُ بعض الموضوعات الأخرىٰ التي يرىٰ الباحث أنها حقيقة بدراسات مستقلة مُعمَّقة، كدلالة الفرائد اللفظية علىٰ مقاصد السور القرآنية، وتوجيه فرائد المتشابه اللفظي في ضوء مقاصد السور، ودراسة منهج القرآن الكريم في العبور من المعاني الحسية إلىٰ المعاني المعنوية.

الكلمات المفتاحية: التدبر، سورة النَّحْل، النِّعم، نعمة الطريق.

Manifestations of the Blessing of Prepared Paths in the Light of the Surah Al Nahl

Prepared by:

Mahmoud bin Abdel-Jaleel Rozan[1]

A Quranic recitation teacher and researcher in Tafseer and the Sciences of the Quran

He holds a high certificate in Quranic Recitation from Al-Azhar, Institute of the Quranic Methods of Recitatio

Email: dr.mah2011@gmail.com

Abstract

The blessing of paved routes and paths are among the great boons which Allâh confers upon humankind. This research was conducted to explore the indications of the Surah Al Nahl and take it as a springboard for discovering the various aspects of the convenience of paved paths as referred to by the Noble Quran.

Importance of the topic:

The importance of the topic stems from the fact that it is an attempt to contemplate the Noble Quran as duly and deeply as required, explore the boon of paved paths and its various facets and features to show gratitude for it. The relevance of this paper comes also from the fact that it demonstrates that the Quranic verses embody cosmic indications and that true science never conflicts with divine revelations. Rather it lends credence to them because it is the Creator of the universe who brought them down and whose omniscience encompasses everything.

(1) He holds a high certificate in Quranic Recitation from Al-Azhar, Institute of the Quranic Methods of Recitatio Email: dr.mah2011@gmail.com

Main findings:

The researcher concluded eight aspects of the blessing of paved paths in light of the Surah Al Nahl as follows:

A. Making the earth extendedly flat and usable.

B. Creating utilizable routes in land, sea, and air.

C. Setting up landmarks and signs for guidance in various roads and paths.

D. Other living creatures guide to invisible paths and ways.

E. The consistency and uniformity of the universal laws and subjecting them for the benefit of humankind.

F. Converting other creatures and beings to the use of humans.

G. Making the tangible path evidence for the intangible path.

H. Generating hopes in people's souls by pointing out that their paths will be facilitated for them in the future.

Main Recommendations

1. Scholars, researchers, and Muslim preachers should carefully examine Allah's blessings as reflected in the Quran and present them to ordinary Muslims in a simple manner. There are too many blessings that need to be considered in the Noble Quran, especially those which are contained in the Surah Al Nahl such as divine revelations, serviceable animals and the five senses.
2. The researcher raised other subjects and stated that extensive separate studies should be conducted on them such as the indications of single vocabularies with respect to the objectives of the Surats of the Quran, clarifying the meanings of the ambiguous vocabularies according to the objectives of the Surats and studying the Quran's methodology in moving from tangible meanings to intangible ones.

Keywords: Contemplation,Surat, An Nahl, Blessings, Quran, Paved, Paths.

المقدمة

إن لله الحمد، نحمده علىٰ عطائه الممتد، حمدًا بعدد كلماته التي لا تنفد، والحمد لله علىٰ تيسير الحمد؛ فلا يُوفِي تتابعُ المحامد تتابعَ المحامد، ولكن حَسْب المريد قول ربه: ﴿وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ﴾ [الزمر: ٧] وأشهد أَنْ لا إله إلا الله، ذي الحُجة البالغة، والنعمة السابغة، والفضل المبين، وأشهد أن محمدًا عبده المصطفىٰ، ورسوله المجتبىٰ ﷺ وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

وبعد، فما انفك العبيد يتقلبون في نِعَم الله الحميد، ولم تَزَل عطاياه تغمرهم، وآلاؤه تَبْهَرهم، وهم بين حامد وجاحد، ويقظ وغافل.

وقد بَيَّن الله ﷻ أن نِعمه من حيث ظهورها تنقسم قسمين: ظاهرة وباطنة، فقال تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ﴾ [لقمان: ٢٠].

والبشر يتفاوتون في استظهار النعم، فكم نعمة ظاهرة لا يَعُدها الغافل نعمة، وقد تخفىٰ مواقع النِّعم علىٰ عبد، وتتراءىٰ جلية لآخر، وقد تخفىٰ علىٰ العبد نفسه في حال، وتَظهر في حال؛ فيَتنبه لها بعد أن كان جاهلًا، ويَتيقظ بعد أن كان غافلًا. وقد يرىٰ ذو اللُّب البصير للنعمة الواحدة وجوهًا متعددة.

فالتدبر طريق الوقوف علىٰ النِّعم والبصر بمواقعها؛ ولذا كثيرًا ما تُختَم آيات النِّعَم بنحو قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١١]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [النحل: ١٢]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٣]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه: ٥٤]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ

﴿لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [النور: ٤٤]، ونحو هذا في القرآن كثير.

والتدبر تَفكُّر مجدود يستحضر المُغيَّب المفقود فكأنه مشهود، وكأن الناظر إليه من شدة استحضاره له ينظر إليه مُقبِلًا فمُدبِرًا، فتستوي عنده قوادمه وخوافيه. وهذا سبيل استظهار النِّعم الباطنة، واستظهارُها سبيل شكرها. ومن التدبر أن يَنظر المرء في دبر الأمر فيرىٰ التصريف في العطاء، والتخويف في المنع، وكلاهما نعمةٌ حَقُّها الشكر.

وإن نعمة الطريق من أعظم نِعَم الله علىٰ بني آدم، ولا يقف علىٰ ذلك إلا مَن تأمله، وكَرَّر النظر في آيات القرآن الكريم وأحاديث المصطفىٰ ﷺ.

وفي أثناء مشروع لتَدبُّر الأذكار المُوظَّفة، سَنَحَتْ لي فرصة الوقوف مع أدعية الركوب، فتجلت لي بعض معالم نعمة الطريق، ووجَدتُّ أن البصر بها وبوجوهها من أفضل ما يُعِين علىٰ القيام بحقها، فكان لتَدبُّر تلك الأذكار أثره في استظهار هذه النعمة، وكان لاستظهارها أثره في تدبر الأذكار علىٰ وجه مُرْضٍ.

ثم لاحظتُ أن سورة (النَّحْل) تُذكِّر بآية أو أكثر في كل وجه من وجوه تلك النِّعمة مُفصَّلة أو مُجمَلة، وليس هذا بغريب؛ فهي سورة (النِّعَم)، ومن هنا كان ميلاد فكرة ذلك البحث.

وتتجلىٰ أهمية هذا البحث فيما يأتي:

- محاولة القيام بقدر من حقّ تدبر القرآن الكريم تدبرًا موضوعيًّا مركبًا من نوعيه: تَدبُّر الموضوعات، وتَدبُّر السور.
- تثوير الفكر في نعمة الطريق، وتعديد وجوهها ومعالمها، فمع ظهورها ووضوح دلالتها، فإن بعض الناس ربما لا ينتبهون إلىٰ مواقع النعمة ومواضع العبرة فيها، فلعل استظهارها يُعِين علىٰ شكرها.

- محاولة الإسهام في تصحيح كثير من سلوكيات الطريق المنتشرة بين بعض المسلمين، في كثير من بلادنا، ولا شك أن آداب الطريق انعكاس لأخلاق المسلم.
- بيان أن الكتاب المسطور (القرآن) دليل الكتاب المنظور (الكون) وأنه مُرشِد إلىٰ أنواع العلوم والمعارف، وأن العلم الصحيح لا يمكن أن يُعارِض الوحي، بل يُصَدِّقه، فمُنْزِل الكتاب هو خالق الكون، وهو سبحانه علىٰ كل شيء قدير، وقد أحاط بكل شيء علمًا.

الدراسات السابقة:

في حدود مطالعتي لم أقف علىٰ بحث مُفْرَد يتناول نعمة الطريق من الزاوية التي يَنظر منها هذا البحث، غير أني وقفتُ علىٰ ثلاث رسائل ماجستير تتناول موضوع النِّعم في سورة (النَّحْل):

الأولىٰ- بعنوان: «تسخير ما في الكون للإنسان علىٰ ضوء سورة (النَّحْل) وآثار ذلك في توحيد الخالق ﷻ» للباحثة زهرية محمد بن صالح الفاداني، نوقشت وأجيزت بكلية الدعوة وأصول الدين، بجامعة أُم القرىٰ، عام (١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م).

والثانية- بعنوان: «النِّعم في ضوء سورة النَّحْل» للباحث إدريس حامد محمد، نوقشت وأُجيزت بكلية التربية، بجامعة الملك سعود، عام (١٤١٦هـ= ١٩٩٦م).

والثالثة- بعنوان: «نِعم الله علىٰ الإنسان في ضوء سورة (النَّحْل) دراسة في التفسير الموضوعي» للباحث عبد اللطيف عبد الرحمن سليمان، نوقشت وأجيزت بكلية الدراسات الفقهية والقانونية، بجامعة آل البيت، بالأردن، عام (١٤٢٠هـ= ٢٠٠٠م).

وهذه الرسائل - علىٰ استيعابها لكثير من النِّعم المذكورة في ثنايا سورة

(النَّحْل)- لم تَستوفِ الكلام عن نعمة الطريق، بَلْهَ أن تُعالج معالمها ووجوهها بالطريقة التي نُظِم عليها البحث.

ويمكن القول: إن تلك الرسائل رَكَّزَتْ علىٰ الاستيعاب الأُفقي للنِّعم المذكورة بالسورة الكريمة، وهذا البحث يُركِّز علىٰ تعميق التدبر والتثوير لنعمة واحدة، محاولًا- قدر الإمكان البشري- استيعاب وجوهها ومعالمها.

منهج البحث:

سلكتُ في هذا البحث المنهجين: الاستقرائي والاستنباطي، فجعلتُ سورة (النَّحْل) مُنطلقًا لتعيين وجوه نعمة الطريق كما ذَكَرها القرآن الكريم، واستنباط إشاراتها ولطائفها، مُتوسِّعًا حيث يَحسن التوسع، ومُختصِرًا حيث يَحسن الاختصار.

خطة البحث:

وقد نُظِم البحث بعد هذه المقدمة علىٰ تمهيد استَهدف تعريف النعمة، وإبراز مَقصِد التذكير بالنعم في سورة (النَّحْل)، والتنويه بحق الطريق في الإسلام.

وجاء لُب البحث في ثمانية مطالب، خُصَّ كل وجه من وجوه نعمة الطريق بمطلب، وهي علىٰ النحو التالي:

المطلب الأول: نعمة تذليل الأرض، وتمهيدها وبَسْطها.

المطلب الثاني: تسخير طرق البَر والبحر والجو، وتنويع وسائل السير فيها.

المطلب الثالث: نَصْب معالم وعلامات للاهتداء في الطرق المتنوعة.

المطلب الرابع: الهداية بالكائنات إلىٰ السبل غير الظاهرة.

المطلب الخامس: انتظام القوانين الكونية، وتسخيرها لمنافع البشر.

المطلب السادس: تذليل السبل للكائنات والمخلوقات الأخرىٰ بما ينفع البشر.

المطلب السابع: جعل الطريق الحسيّ دلالة علىٰ الطريق المعنويّ.

المطلب الثامن: تأميل البشر بما يُيسِّر لهم الطرق والمسالك في مستقبلهم.

ثم خُتِم البحث بخاتمة بأهم نتائج البحث وتوصياته.

واللهَ أسأل أن يُخلص القصد، وأن يُوفِّق للوفاء به، وأن يرزقنا فَهْم القرآن وتفهيمه، وعِلمه وتعليمه.

والحمد لله رب العالمين.

التمهيد

١ - معاني النعمة، ومظاهر التذكير بالنعم في سورة (النَّحْل):

من معاني النعمة في اللغة: اليد الصالحة، والـمَسَرَّة، وما أَنْعَم الله به علىٰ عباده من مال أو رزق. ونِعمة الله: مَنُّه وعطاؤه. وجَمْعها: نِعَم.

والنَّعْمة (بفتح النون): ما يَتنعم به الإنسان من مأكل أو مشرب أو ملبس. ونَعمة العيش: حُسنه وغضارته. وجَمْعها: أَنْعُم[١].

والنِّعمة في الاصطلاح: المنفعة المفعولة علىٰ جهة الإحسان إلىٰ الغير. فالمَضَرة المحضة لا تكون نعمة. والمنفعة علىٰ غير جهة الإحسان ليست نِعمة، مع كونها نفعًا؛ كأن يَقصد الفاعلُ بالنفع نفسه لا نفع المفعول به، وذلك كمن أَحْسَن إلىٰ جاريته ليربح عليها. فكل نعمة نفع، وليس كل نفعٍ نعمة[٢].

وقد انتظمت سورة (النَّحْل) مقاصد متعددة، غير أن طابعها المميز تَعْداد نِعم الله ﷻ ومَشاهد عظمته، والتذكير بما يَسَّر الله ﷻ للناس من وسائل الرزق، وسَخَّر لهم من نواميس الكون؛ لإثبات استحقاقه وحده للعبادة، وإنذار الكافرين والمشركين الجاحدين والصادّين عن سبيله، وتبشير المؤمنين الشاكرين الداعين إليه[٣].

---

(١) انظر: (مادة نعم): كتاب «العين» للخليل بن أحمد (٤/ ٢٤٤)، و«جمهرة اللغة»، لابن دُرَيْد (٢/ ٩٥٣)، و«تهذيب اللغة»، لأبي منصور الأزهري (٣/ ٩).

(٢) انظر: «التفسير الكبير»، لفخر الدين الرازي (١/ ٢٢٠).

(٣) انظر: «التفسير الحديث»، لمحمد عزت دروزة (٥/ ١١٥).

فمِن أهم مقاصد سورة (النَّحْل) تَعداد نعم الله تعالىٰ علىٰ عباده، وتذكيرهم بها؛ لأنها أعلام علىٰ وحدانيته ﷻ، ووازع إلىٰ شكره.

وقد تَجَلَّىٰ هذا المَقصِد في عدة مظاهر، نذكر منها:

أولًا- اسم السورة:

اسم السورة الكريمة عند السلف سورة (النَّحْل) وهو اسمها المشهور في المصاحف وكُتُب التفسير وكُتُب السُّنة[(١)].

ووَجْه تسميتها بذلك: أن لفظ (النَّحْل) لم يُذْكَر في سورة أخرىٰ[(٢)]، فهو من فرائدها اللفظية.

وقيل: إن في إلهام النَّحْل وذِكر هدايته إشارة إلىٰ قدرة الله ﷻ أن يُلهِم بعض خواص عباده أن يستخرجوا الفوائد الشافية من هذا الكتاب، بحمله علىٰ المعاني الشريفة المثمرة، الداعية إلىٰ تحصيل الأخلاق الفاضلة، وسلوك سبيل التصفية والتزكية. وهذا أكمل ما تُعْرَف به فضائل القرآن، وتُدرَك به مقاصده[(٣)].

فلما افتَتَح السورة الكريمة بذكر الوحي، ووَصَف في أثنائها سبيل الهداية، ونَوَّه بفضيلة التفكر والتذكر والتأمل والتعقل؛ لاستخراج وجوه النِّعم الباعثة علىٰ الشكر، واجتباء مكارم الأخلاق بالعدل والإحسان وبَذْل المعروف؛ جَعَل الكائنَ المصبوغ بهذه الفطرة الخالصة عَلَمًا علىٰ تلك السورة من الوحي. والله أعلم.

---

(١) انظر: «جمال القراء»، للسخاوي (١/ ١٩٩)، و«التحرير والتنوير» لابن عاشور (١٤/ ٩٣).

وفي «**صحيح البخاري**» (ح ١٠٧٧): عن ربيعة بن عبد الله بن الهُدَيْر التيمي، أن عمر رضي الله عنه قرأ يوم الجمعة علىٰ المنبر بسورة (النَّحْل) حتىٰ إذا جاء السجدة نزل، فسجد وسجد الناس ... الحديث.

(٢) «التحرير والتنوير»، لابن عاشور (١٤/ ٩٣).

(٣) انظر: «تفسير المهايمي» (١/ ٤٠٢).

وقد يقال: إن الله ﷻ جَبَل النَّحْل علىٰ العطاء، وهي من أكثر الكائنات نفعًا، وأعظمها بركة، وفي كل ما يُستخرَج منها منفعة، فناسب أن تُسمَّىٰ بها السورة التي عَدَّدَتْ ذِكر النِّعم.

ومن اللطائف: أن النَّحْل لغةً هو الإعطاء بلا استعاضة. والنِّحلة: العطية من غير بدل. وقيل: سُمِّي النَّحْل بذلك لأن الله ﷻ نَحَل الناس ما يَخرج من بطونها. وقيل: سُمِّي الدين نِحلة؛ لأنه عطية من الله ﷻ(1).

ثانيًا- الأسماء الأخرى للسورة الكريمة:

اشتهرت سورة (النَّحْل) باسم سورة (النِّعَم).

وفي قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا﴾ [النحل: 81] **قال قتادة**: من الشجر ومن غيرها، ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا﴾ [النحل: 81] قال: غارات يَسكن فيها، ﴿وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾ مِنَ القطن والكتان والصوف ﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡ﴾ مِنَ الحديد، ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ﴾ [النحل: 81] ولذلك هذه السورة تسمىٰ سورة النِّعم(2).

وعن علي بن زيد قال: «كان يقال لسورة النَّحْل: سورة النِّعم». يريد لكثرة تَعداد النِّعم فيها(3).

وقال ابن رجب الحنبلي مُعلِّقًا علىٰ قول الله تعالىٰ: ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [النحل: 2]: وهذه

(1) انظر: كتاب «العين»، للخليل بن أحمد (4/ 200)، و«معاني القرآن وإعرابه»، لأبي إسحاق الزَّجَّاج (2/ 12)، و«تهذيب اللغة»، لأبي منصور الأزهري (5/ 42)، و«تفسير الماوردي» (1/ 451).

(2) «تفسير ابن أبي حاتم» (7/ 2295).

(3) «زاد المَسِير في علم التفسير»، لابن الجوزي (2/ 548).

الآية أول ما عَدَّد الله من النِّعم في سورة النِّعم التي تُسَمَّىٰ سورة (النَّحْل) ولهذا قال ابن عُيينة: ما أَنْعَم الله علىٰ عبد من العباد نعمة أعظم من أن عَرَّفهم (لا إله إلا الله)[١].

فهي سورة النِّعم لِما فيها من ذكر النِّعم: في أولها أصول النِّعم التي لا تقوم الحياة إلا بها. وفي أثنائها كمال النِّعم وفروعها، ولاستيعابها أنواع منافع الخلق من أولها إلىٰ آخرها، ولكثرة ما نَبَّه الله ﷻ فيها علىٰ نعمه، وعَدَّد فيها من مِنته علىٰ خلقه[٢].

وقيل: سورة (الآلاء)[٣]. وقيل: سورة (النعيم)[٤]. وقيل: سورة (الامتنان)[٥].

وكل هذه الأسماء ظاهرة الدلالة علىٰ مَقصِد السورة الأول. والله أعلم.

---

(١) «كلمة الإخلاص وتحقيق معناها» ضِمن مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي (٢/ ٣٨٥).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السُّنة»، لأبي منصور المَاتُريدي (٦/ ٥٥٠)، و«الهداية إلىٰ بلوغ النهاية»، لمكي بن أبي طالب (٦/ ٣٩٤٤)، و«المُحرَّر الوجيز»، لابن عطية (٣/ ٣٧٧)، و«الجواب الصحيح لمَن بَدَّل دين المسيح»، لابن تيمية (٥/ ٨٧)، و«مجموع الفتاوىٰ»، لابن تيمية (١٦/ ١٥٩- ١٦٠)، و«مفتاح دار السعادة»، لابن القيم (١/ ٢٩٣)، و«حاشية الشهاب علىٰ تفسير البيضاوي»، لشهاب الدين الخفاجي (٥/ ٣٠٨)، و«تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، للسعدي (ص ٤٣٥).

(٣) «تفسير السمعاني» (٣/ ١٥٨).

(٤) «جمال القراء وكمال الإقراء»، لعَلَم الدين السخاوي (١/ ١٩٩).

(٥) «دَفْع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب»، لمحمد الأمين الشنقيطي (ص ١٣٢)، و«أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن»، له (١/ ٥٢٦)، ولم أقف علىٰ هذه التسمية عند أحد قبل الشيخ الشنقيطي.

ثالثًا- كثرة دوران لفظ (النِّعمة) ومشتقاته في السورة الكريمة:

تكررت مادة (نعم) ومشتقاتها في السورة الكريمة ثلاث عَشْرة مرة، وهي أكثر سورة وردت بها، يليها سورتا (البقرة) و(المائدة) بعَشْر مرات لكل منهما، في حين وردت المادة في جميع القرآن الكريم مئة وثمانيًا وخمسين مرة(١).

فمن ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [النحل: ٧١].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل: ٧٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: ٨١].

وقوله تعالىٰ: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [النحل: ٨٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١١٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل: ١١٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٢٠ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ [النحل: ١٢٠، ١٢١].

---

(١) أُحصيت تلك الأرقام باستخدام ما فهرسه الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي في معجمه المفهرس لألفاظ القرآن (ص ٧٠٧- ٧٠٩) مادة (نعم).

كما ذُكر لفظ (الأنعام) في مَعرِض الامتنان ثلاث مرات: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا﴾ [النحل: ٥]، ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً﴾ [النحل: ٦٦]، ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا﴾ [النحل: ٨٠] بالاسم الظاهر، عدا ما يَعُود عليها من الضمائر في سياق الآيات الكثيرة.

ومن هذا الباب أيضًا: كثرة دوران أفعال التسخير بالسورة الكريمة، وتَنوُّعها؛ مثل: (سَخَّر)، و(جَعَل)، و(خَلقَ)، و(ذرأ) وغيرها.

رابعًا- تتابع ذكر النِّعم في أثناء السورة الكريمة:

أشارت السورة الكريمة لأصول النِّعم، وربما استوفت شرح فروع بعضها بما لم يَرِد في سورة أخرىٰ! فافتُتحت بأصل أصول النِّعم، وهو خَلْق الإنسان وهدايته بإنزال الملائكة بالوحي علىٰ مَن يشاء من عباده؛ ليُبلِّغوا شرعه مُبشِّرين ومنذرين، واختتمها بذكر نعمة معيته الخاصة لعباده المتقين المحسنين.

وبينهما ذكر تسخير السموات والأرض للإنسان، وما امتن عليه من نعمة البيان وفصاحة اللسان التي كُرِّم بها، وذِكر تسخير الأنعام له مَحْمَلًا ومطعمًا ومشربًا وزينة، ونعمة الماء والنبات والثمار، والليل والنهار، والشمس والقمر والنجوم، والبحر وما فيه من المطعم والمسلك والحلية، والجبال والأنهار، والأمن، والظلال، وكشف الضر، والأزواج، والذرية من البنين والبنات والحفدة، والإمهال، والتذكير، والقرآن، والنَّحْل وعسلها، والرزق الطيب، وحَجْب الغيب، والحواس، والقدرة علىٰ التعلم، والطيور، وما توحي به من قوانين الطيران، والبيوت، والملابس، وجُنة الحرب، والإرشاد إلىٰ محاسن الأخلاق، ورَغَد العيش بالطاعة، وسبيل الوقاية من الشياطين، وعدم المؤاخذة بالإكراه والاضطرار، وجَعْل الأصل في الأشياء الإباحة، وقَبول التوبة عن التائبين، وإقامة القدوات لهم ودعوة الصالحين، والتيسير علىٰ هذه الأمة بما لم يكن لغيرها، والقِصاص... وغير

ذلك مما يستخرجه التدبر والاعتبار.

ولا يخفىٰ أن لكل نعمة منها وجوهًا متعددة، فَصَّلَتِ السورة الكريمة بعضها، ونَوَّهَتْ ببعضها إشارة.

خامسًا- فرائد من النَّظْم القرآني تُوجِّه بكَوْن سورة (النَّحْل) هي سورة النِّعم:

لعل من اللطائف البديعة في النَّظم القرآني لسورة (النَّحل) المتناسبة مع كونها سورة النِّعم، وأنها أُنْزِلَتْ بتفصيل النِّعم وتعديدها- ما قيَّده بعض المفسرين في أثناء توجيههم لبعض فرائد المتشابه اللفظي في سورة (النَّحْل) بما ينبني علىٰ مَقصِدها الأصيل، وهو ذِكر النِّعم.

ونُوضِّح الفكرة بالأمثلة الآتية:

المثال الأول:

قال تعالىٰ في سورة (النَّحْل): ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [النحل: ١٤].

وقال تعالىٰ في سورة (فاطر): ﴿وَمَا يَسۡتَوِى ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ وَمِن كُلّٖ تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [فاطر: ١٢].

وقد وُجِّهَتْ زيادة الواو في سورة (النَّحْل) في قوله تعالىٰ: ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ بأنه لما كان مقصود السورة تَعداد النِّعم، ناسب ذلك عطف بعضها علىٰ بعض؛ لأنه مَظِنة إطناب وتفصيل، فذكَر الله ﷻ في سورة (النَّحْل) النِّعم التي سَخَّر البحر من أجلها، فعَدَّ أربع نِعَم: الأولىٰ- نَيل سَمَكه، والثانية- استخراج حِليته،

والثالثة- طلب سائر الأرزاق بالضرب فيه؛ للتجارة والسفر، ونَقْل الأمتعة من مصر إلىٰ مصر ... إلىٰ غير ذلك، والرابعة- حَمْلهم علىٰ الشكر.

وجملة ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ [النحل: ١٤] معترضة، وليست معطوفة علىٰ ما قبلها؛ لأنها خطابُ واحد، وما قبلها وما بعدها خطاب جَمْع، وليس الضمير لواحد مُعيَّن مخصوص دون غيره، ولكنها خَرَجَتْ مَخرج المَثَل، والقصد أن مَن نظر إليها رآها علىٰ الصفة المذكورة، واعتراضها توطئة لما بعدها من ذكر الابتغاء من فضل الله ﷻ؛ لأنه لا يكون إلا إذا ذُلِّل للفُلك البحرُ، وقُدِّر لها السير فيه.

وأما حذف الواو في قوله تعالىٰ: ﴿لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [فاطر: ١٢] فلأن الآية الكريمة لم تُبْنَ علىٰ فعل يقتضي استيعاب النِّعم المتعلقة به؛ كما كان في فعل (سَخَّر) في آية (النَّحْل) فصَحَّ تعلق الكلام بكون الفلك مواخر تَشق الماء وتسير بأهلها؛ ليبتغوا من فضله فيما جُعِل الطريق إليه من المنافع التي لا تُنال إلا بها(١).

وقد عُدَّ ما يعود عليهم من التفكر والاعتبار بذلك كله من أن يشكروا الله تعالىٰ بقالهم وأفعالهم نعمةً، فقال في السورتين: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، والشكر نفسه نعمة عظيمة، والحق أنه أعظم نعمة؛ إذ هو حارسها ومفتاح مَزيدها، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

المثال الثاني:

قال تعالىٰ في سورة (إبراهيم): ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

---

(١) انظر: «دُرة التنزيل وغُرة التأويل» للخطيب الإسكافي (ص ١٤٥- ١٤٦)، و«البرهان في متشابه القرآن» للكِرماني (ص ٢١٨)، و«مِلاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل»، لأبي جعفر الغَرْنَاطي (٢/ ٧٣٤- ٧٣٦).

وقال تعالىٰ في سورة (النَّحل): ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨].

وتوجيه ذلك- والله أعلم- أن آية سورة (إبراهيم) سبقها ذكر القوم الذين بَدَّلوا نعمة الله كفرًا، قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨]، ثم ذِكر ظُلمهم: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ﴾ [إبراهيم: ٣٠] وذلك أعظم الظلم، أن تَجعل لله نِدًّا وهو خلقك. ثم ذَكَر جانبًا من إنعامه علىٰ عباده بشيء من الإجمال في قوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: ٣٢- ٣٤]، فناسب ذلك أن يكون ختامها: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

أما آية (النَّحْل) فهي واقعة في سورة النِّعم، ولم يتقدمها غير ما نَبَّه الله ﷻ به عباده المؤمنين من متوالي إنعامه عليهم، ومتواتر إكرامه لهم، فذَكَر نحوًا من ثلاثين نعمة، ثم أتبعها بقوله سبحانه: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨] فناسب ختام هذا قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨]، فجاء كل علىٰ ما يناسب، والله أعلم(١).

وقال الرازي: «قال [الله ﷻ] في هذا الموضع: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وقال في سورة (النَّحْل): ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨].

ولما تأملتُ فيه لاحت لي فيه دقيقة: كأنه يقول: إذا حصلت النعم الكثيرة، فأنت الذي أخذتها، وأنا الذي أعطيتُها، فحَصَل لك عند أخذها وصفان، وهما كَوْنك ظلومًا كفارًا، ولي وصفان عند إعطائها، وهما كوني غفورًا رحيمًا. والمقصود كأنه

(١) انظر: «ملاك التأويل»، لأبي جعفر الغرناطي (٢/ ٧١٨- ٧٢٠).

يقول: إن كنتَ ظلومًا فأنا غفور، وإن كنت كفارًا فأنا رحيم، أعلم عجزك وقصورك؛ فلا أقابل تقصيرك إلا بالتوفير، ولا أجازي جفاءك إلا بالوفاء»(١).

ونَقَل الزركشي بنحوه معزوًّا لابن المُنَيِّر في تفسيره، والأقرب أن ابن المُنَيِّر أخذه من الرازي، ثم عَقَّب الزركشي، فقال: «هو حَسَن، لكن بقي سؤال آخَر، وهو ما الحكمة في تخصيص آية (النَّحْل) بوصف المُنعِم ﷻ، وآية (إبراهيم) بوصف المُنعَم عليه؟

والجواب: أن سياق الآية في سورة (إبراهيم) في وصف الإنسان وما جُبِل عليه، فناسب ذكر ذلك عَقيب أوصافه. وأما آية (النَّحْل) فسيقت في وصف الله تعالىٰ وإثبات ألوهيته وتحقيق صفاته، فناسب ذكر وصفه سبحانه، فتأمل هذه التراكيب، ما أرقاها في درجة البلاغة!»(٢).

وكذا يمكن أن نقول: فوقع وصف الإنسان في السورة التي تَقَدَّم فيها ذكر تكذيب الناس لرسلهم، وطاعتهم للشيطان عدوهم، وكُفرهم بنعمة ربهم بدل شكرها. وجاء وصف الله تعالىٰ في السورة التي فَصَّلَتْ جانبًا من إحسانه وإنعامه، وإرشاد عباده إلىٰ سبيل التحصن من عدوهم. والله أعلم.

المثال الثالث:

قال تعالىٰ في سورة (النَّحْل): ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦].

وقال تعالىٰ في سورة (المؤمنون): ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [المؤمنون: ٢١].

---

(١) «التفسير الكبير»، لفخر الدين الرازي (١٩/ ١٠٠)، وانظر منه: (٢٠/ ١٩٥).

(٢) «البرهان في علوم القرآن»، لبدر الدين الزركشي (١/ ١٧٦، ١٧٧).

فهاهنا سؤالان:

الأول- ما توجيه تذكير الضمير في سورة (النَّحْل)؟

والثاني- ما وَجْه اختصاص سورة (النَّحْل) بذلك؟

وللعلماء عن الأول أجوبة متنوعة، نُجملها فيما يأتي:

الجواب الأول: ذَكَّر الهاء علىٰ معنىٰ: (مما في بطون ما ذَكَرْنا)، كما في قوله تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ [عبس: ١١، ١٢] علىٰ معنىٰ: فمَن شاء ذَكَر ما ذَكَرْنا. قاله الكِسائي، وصَوَّبه الفَرَّاء، وسَوَّغه المُبَرِّد[(١)].

الجواب الثاني: ذَكَّر الهاء لأنه ذهب إلىٰ معنىٰ (النَّعَم) وهما بمعنًىٰ، والنَّعَم مُذكَّر. وإنما جاز أن تَذهب به إلىٰ واحدها لأن الواحد يأتي في المعنىٰ علىٰ معنىٰ الجمع[(٢)].

قال سيبويه: «وأما (أفعال) فقد يقع للواحد، مِن العرب مَن يقول: هو الأنعام. وقال الله ﷻ: ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾»[(٣)].

---

(١) انظر: «معاني القرآن»، للفَرَّاء (٢/ ١٠٩)، و«التفسير البسيط»، للواحدي (١٣/ ١١٠).

(٢) «معاني القرآن» للفَرَّاء (١/ ١٢٩).

(٣) «الكتاب»، لسيبويه (٣/ ٢٣٠).

ووقوعه للواحد يعني في معناه، لا بالوضع، فقد نَص سيبويه (الكتاب ٤/ ٢٤٧) حين ذَكَر أبنية الأسماء المفردة- علىٰ أن (أفعال) ليس من أبنيتها.

وعليه، فلا وَجْه لما قاله ابن العربي في «أحكام القرآن» (٣/ ١٣٠): «وما أراه عَوَّل عليه إلا في هذه الآية، وهذا لا يُشْبِه منصبه، ولا يليق بإدراكه».

وانظر ذيول المسألة في: «البحر المحيط»، لأبي حيان (٦/ ٥٥٥)، و«الدر المصون»، للسمين الحلبي (٧/ ٢٥٥).

الجواب الثالث: أن (الأنعام) تُذكَّر وتُؤنَّث، فجرىٰ هذا الحرف في سورة (النَّحْل) علىٰ لغة مَن يُذكِّر، والذي في سورة (المؤمنون) علىٰ لغة مَن يُؤنِّث. قاله أبو عُبيدة، كما حُكِيَ عن يونس بن حبيب البصري(١).

وأَنْكَر ذلك السجستاني، فقال: تذكير (الأنعام) لا يُعْرَف في الكلام، ولكن إن ذهب إلىٰ النَّعَم فجائز. كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧]، جُمِع علىٰ معنىٰ (أحد) لأنه في معنىٰ الجَمْع(٢).

الجواب الرابع: ذَكَّر الهاء لأنه ذهب إلىٰ البعض؛ كأنه قال: (نُسْقِيكم مما في بطون أيها كان ذا لبن) لأنه ليس لكُلها لبن(٣).

الجواب الخامس: أنه جيء به مُذكَّرًا؛ لأن الهاء تعود علىٰ الفحل، فإنما كان اللبن بسبب مائه. حُكي هذا القول عن إسماعيل القاضي، ودل ذلك أن اللبن للفحل، فشُرب اللبن من الإناث، واللبن للفحل، فرجع الضمير عليه. واستُدل بهذا علىٰ أن اللبن في الرضاع للفحل، فقالوا في لبن الفحل: إنه يُحَرَّم(٤).

وضَعَّفه العُكْبَريّ بأن اللبن وإن نُسِب إلىٰ الفحل، فقد جُمِع البطون، وليس فحل الأنعام واحدًا، ولا للواحد بطون. فإن قيل: (أراد الجنس) فقد عاد إلىٰ قول

---

(١) انظر: «مجاز القرآن»، لأبي عُبيدة (١/ ٣٦٢)، و«مشكل إعراب القرآن» لمكي بن أبي طالب (١/ ٤٢١).

(٢) «المُذكَّر والمُؤنَّث»، لأبي بكر بن الأنباري (١/ ٤٦٧، ٤٦٨).

وانظر: «تفسير غريب القرآن»، لابن قُتيبة (ص ٢٤٥)، و«معاني القرآن»، لأبي إسحاق الزَّجَّاج (٣/ ٢٠٩).

(٣) «مشكل إعراب القرآن»، لمكي بن أبي طالب (١/ ٤٢١، ٤٢٢).

(٤) «تأويلات أهل السُّنة»، للمَاتُريدي (٦/ ٥٢٦)، و«مشكل إعراب القرآن»، لمكي (١/ ٤٢٢، ٤٢٣)، و«الجامع لأحكام القرآن»، للقرطبي (١٢/ ٣٥٢).

مَن حمله علىٰ المعنىٰ(1).

أما الإجابة عن السؤال الثاني، وهو ما وجه اختصاص سورة (النَّحْل) بالتذكير؟
فقد وُجِّه بأنه لما ذُكِر الـمُسْقَىٰ وهو اللبن؛ لما اقتضاه سياق السورة من تَعداد النعم؛ فقد تَعيَّنَتْ إرادة الإناث لذلك؛ إذ دَرُّ اللبن يكون لبعض إناثها، فانتفىٰ الالتباس مع تذكير الضمير.

وليس الأمر كذلك في سورة (المؤمنون) إذ لم يُذْكَر المُسْقَىٰ. ولأن فيها: ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [المؤمنون: ٢١]، فأَخْبَر عن النِّعم التي في أصناف الأنعام إناثها وذكورها، فلم يحتمل أن يراد بها البعض، كما احتملته آية سورة (النَّحْل)(2).

فالحاصل علىٰ هذا الوجه: أن النظر إلىٰ كون سورة (النَّحْل) سورة تَعداد النِّعَم- حَسَّن ذكر اللبن، فلما ذُكِر أُمِن اللبس فذَكَّر. وإنما لم تُذكَر المنافع التي ذُكِرَتْ إجمالًا في سورة (المؤمنون) في هذا الموضع من سورة (النَّحْل) لأنها ذُكِرَتْ منثورة في ثناياها مبسوطة مُفصَّلة، فكَوْنها سورة (النِّعم) وما تسترعيه من التفصيل- حَسَّن هذه اللفتة اللطيفة إلىٰ نعمة عظيمة، وهي دَرُّ اللبن، فساغ في النظم هنا ما لو كان هناك لربما كان مُشكلًا. والله أعلم.

كذلك، فإنه إن صح ما ذهب إليه بعض العلماء من أن تذكير الضمير في (بطونه) إشارة إلىٰ ماء فحولها، فستكون (مِن) سببية، فماء الفحل سبب اللبن؛

---

(١) انظر: «التبيان في إعراب القرآن»، لأبي البقاء العُكْبَري (٢/ ٥١١، ٥١٢).

(٢) انظر: «دُرة التنزيل وغُرة التأويل»، للخطيب الإسكافي (ص ١٤٩، ١٥٠)، و«كشف المعاني في المتشابه من المثاني»، لابن جماعة (ص ٢٢٩)، و«نَظْم الدُّرَر في تناسب الآيات والسُّوَر»، للبَقاعي (١١/ ١٩٣)، وانظر «السِّراج المنير»، للخطيب الشربيني (٢/ ٢٤٢).

لأنها لا تدرّ إلا إذا أنتجت، ولا تنتج إلا إذا لقحت، وماء الفحل إنما يكون من بطنه من الوجه الذي يكون فيه اللبن من بطن الإناث.

فإن صح هذا الاحتمال، فإن فيه إيماء لطيفًا إلىٰ نعمة أخرىٰ، وهي نعمة الزوجية التي أشار إليها القرآن الكريم مرارًا؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يس: ٣٦]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ﴾ [الزخرف: ١٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖ﴾ [الزمر: ٦]، وغير ذلك. وإنما حَسَّن ذلك قصد تعديد النِّعم. فهذه نكتة لطيفة، والنكات لا تتزاحم. والله أعلم بمراده.

المثال الرابع:

قال تعالىٰ في سورة (النَّحْل): ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ﴾ [النحل: ٧٨].

وقال تعالىٰ في سورة (المؤمنون): ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٨].

وفي سورة (السجدة): ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ [السجدة: ٩].

وفي سورة (المُلك): ﴿قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ [الملك: ٢٣].

وآية (النَّحْل) آية تعديد نعمة بينة لا ينكرها عاقل، فالله ﷻ أخبر بأنه أخرج ابن آدم لا يَعلم شيئًا، ثم جَعَل حواسه التي قد وهبها له في البطن سُلَّمًا إلىٰ إدراك المعارف؛ ليَشكر علىٰ ذلك ويُؤمِن بالمُنعِم عليه(١).

(١) انظر: «المُحرَّر الوجيز»، لابن عطية (٣/ ٤١١).

فالمقام في سورة (النَّحْل) مقام امتنان، والمعنىٰ: جَعَل لكم السمع لتسمعوا خطابه ومواعظه، والأبصار لتُبصروا أفعاله ودلائله، والأفئدة لتَعرفوا حقه وعظمته، ثم تَشكروا عظيم إنعامه عليكم بهذه الحواس(١).

فهذه الحواس وما أَوْدَعه الله في الفِطر من علوم بديهية تَحصل عن تصور موضوعاتها وقضاياها بمساعدة تلك الحواس، وما يترتب علىٰ ذلك من علوم كسبية- كل ذلك نعمة كبرىٰ. ولذلك قال تعالىٰ عقب ذكرها: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨] أي: هي سبب لرجاء شكركم واهبها سبحانه(٢).

وأما في غيرها، فالمقام مقام تهديد وتوبيخ بكفر أكثرهم. والله أعلم(٣).

٢- تعريف الطريق لغةً(٤):

الطَّرْق: الضَّرْب، ومنه سُمِّيَتْ مِطرقة الصائغ والحَدَّاد؛ لأنه يَطْرُق بها، أي: يَضرب بها حتىٰ يتشكل المطروق. ولعله من ذلك أُخذ لفظ (الطريق) نُظِر إلىٰ تعبيده بتتابع سير الناس فيه.

والطَّرْق أيضًا: خَصْف شيء علىٰ شيء. يقال: نَعْلٌ مُطارَقَة، أي: مخصوفة. وتُرْسٌ مُطرَّق، إذا طُورِق بجِلد علىٰ قَدْره. وقد يكون الطريق من هذا القياس؛ ذلك

---

(١) انظر: «النكت والعيون»، للماوردي، (٢/ ٣١١)، و«التفسير الكبير»، للفخر الرازي (٢٠/ ٢٥١)، و«مباحث التفسير»، لأبي العباس الرازي (ص ١٩٨).

(٢) انظر: «التحرير والتنوير»، لابن عاشور (١٤/ ٢٣٣).

(٣) ولأبي جعفر الغَرْنَاطي توجيه آخَر، انظر: «ملاك التأويل» (٢/ ٧٥٢- ٧٥٤).

(٤) انظر: مادة (طرق): في «العين»، للخليل (٣/ ٤٤- ٤٦)، و«تهذيب اللغة»، لأبي منصور الأزهري (٩/ ٩، ١٠)، و«معجم مقاييس اللغة»، لابن فارس (٣/ ٤٤٩- ٤٥٣)، و«أساس البلاغة»، للزمخشري (١/ ٦٠٢، ٦٠٣).

أنه شيء يعلو الأرض، فكأنها طُورِقَتْ به، وخُصِفَتْ. ثم غَلَب علىٰ كل طريق، وإن كان أخدودًا في الأرض.

واستعير للطريق المعنوي، فقالوا: فلان حَسَن الطريق والطريقة، أي: حَسَن السيرة والمذهب.

ومن مرادفات (الطريق) شائعة الاستعمال في اللغة والقرآن: السبيل والصراط.

و**(السبيل)** يُذكَّر ويُؤنَّث كالطريق. ويُستعمل السبيل كذلك لكل ما يُتوصل به إلىٰ شيء، خيرًا كان أو شرًّا(١).

و**(الصراط)**: أصله (السِّراط) بالسين، والصاد لغة فيه، وهو الطريق المُستسهَل، أصله من سَرَطْتُ الطعام وزَرَدْتُه: إذا ابتلعته، فقيل: (سِرَاط) تصورًا أنه يبتلعه سالكه، أو يبتلع سالكه(٢). ثم غلب الصراط - عند تعريفه وإطلاقه- علىٰ الجسر الممدود علىٰ ظَهْر جهنم، يَعبُره المؤمنون إلىٰ الجنة، علىٰ حَسَب أعمالهم.

وقد ذَكَروا في الفرق بينها أمورًا، فنَقَل صاحب «رُوح البيان» عن ابن الكمال- أن الطريق: كل ما يطرقه طارق، معتادًا كان أو غير معتاد. والسبيل أخص منه، وهو ما كان معتاد السلوك. والصراط أخص منه، وهو ما كان من السبيل غير ذي عِوَج أو التواء(٣).

وبنحوه نحا المُنَاويّ فقال: «الصراط من السبيل: ما لا التواء فيه ولا اعوجاج، بل علىٰ جهة القصد، فهو أخص من السبيل الأخص من الطريق. وفائدة وصفه في (الفاتحة) بـ(المستقيم) أن الصراط يطلق علىٰ ما فيه صعود أو هبوط، والمستقيم

(١) انظر: «المفردات في غريب القرآن»، للراغب الأصفهاني (ص ٣٩٥).

(٢) «المفردات في غريب القرآن»، للراغب الأصفهاني (ص ٤٠٧).

(٣) انظر: «رُوح البيان»، لإسماعيل حقي (٥/ ١٣).

ما لا ميل فيه إلىٰ جهة من الجهات الأربع»[1].

وذهب **أبو هلال العسكري** إلىٰ أن الصراط هو الطريق السهل خاصة، والسبيل يقع علىٰ ما يقع عليه الطريق وعلىٰ ما لا يقع عليه، تقول: سبيل الله وطريق الله، وتقول: سبيلك أن تَفعل كذا، ولا تقول: طريقك أن تَفعل[2].

ولعل تأمل المعاني اللُّغوية لهذه الألفاظ يُبيِّن فرقًا دقيقًا بينها غير ما ذكروه:

فـ**(الطريق)**: هو الممر المطروق، إما بقوة الوضع، وهو تعبيد مقصود؛ كما يُفعل اليوم في رسم الطرق، وإما بكثرة السلوك وتواطؤ الناس علىٰ قصده.

وأما (السبيل) فهو الطريق الممتد الطويل خاصة، إذ إن الأصل اللُّغوي (سبل) يدل علىٰ ذلك، فيقال: (أَسْبَلَ فلانٌ ثيابَه): إذا أرخاها وطَوَّلها، وأرسلَها إلىٰ الأرض. و(رَجُلٌ مُسبَّل): إذا كان طويل اللحية، فمنه سُمِّي السبيل لامتداده[3].

ويُعضِّد هذا أن المصطلح القرآني السائر هو (ابن السبيل) بدل (ابن الطريق) لكَوْنه أدل علىٰ المنقطع في السفر الطويل. وابن السبيل: هو المسافر الذي انقُطع به، وهو يريد الرجوع إلىٰ بلده ولا يجد ما يَتبلغ به، فله في الصدقات نصيب[4].

وأما (الصراط) فهو الطريق السهل الواضح خاصة. والصراط المستقيم: الطريق السهل المستقيم. والله أعلم.

---

(١) «التوقيف علىٰ مهمات التعاريف»، للمُنَاوي (ص ٢١٥).

(٢) «الفروق اللُّغوية»، لأبي هلال العسكري (ص ٣١٣).

(٣) انظر: «تهذيب اللغة»، للأزهري (١٢/ ٣٠٣)، و«مقاييس اللغة»، لابن فارس (٣/ ١٣٠).

(٤) انظر: «تهذيب اللغة»، للأزهري (١٢/ ٣٠٣).

٣- حق الطريق في الإسلام:

(حق الطريق) تعبير عن طائفة من الآداب والسلوكيات الشرعية، التي أُمِرَ بها مستخدمو الطريق: الجالس والماشي والراكب، كل بقدر استطاعته.

وهذه الحقوق- كسائر تشريعات الدين الحنيف- هي من أعظم معالم نعمة الطريق لمن تأملها؛ إذ بقيامها تُحفَظ الحقوق، وتُصان الدماء والأموال والأعراض والأوقات، وتنتظم حركة البشر في سعيهم لقضاء مصالحهم.

وقد جاءت السُّنة المطهرة بأحاديث كثيرة جدًّا، تُبيِّن حق الطريق وتُنظِّمه، ليس هذا محل بسطها، ولكن نَذكر- باختصار- جملة من مفردات حقوق الطريق.

فعن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إياكم والجلوس بالطرقات**» فقالوا: يا رسول الله، ما لنا من مجالسنا بُدّ نتحدث فيها. فقال: «**إذ أبيتم إلا المجلس، فأعطوا الطريق حقه**» قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: «**غَضُّ البصر، وكف الأذىٰ، ورَدُّ السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر**»(١).

ولا يَقتصر غض البصر علىٰ كف نظر الرجال للنساء، ونظر النساء للرجال فحَسْب، بل يُقصَد به كذلك كف النظر عما في أيدي العابرين من نعمة، وما تحتَهم من مراكب فاخرة فارهة؛ فهذا مَظِنة التمني، والتمني سُلَّم الحسد.

كما يجب علىٰ مستخدم الطريق أن يكف أذاه عن الناس، فلا يؤذيهم بجوارحه: بصره ولسانه ويديه ورجليه، ولا يُضيِّق عليهم الطريق ببدنه أو بمركبته، ولا يُضيِّق عليهم المجلس في المواصلات، ولا يزاحمهم في ممر هم أَوْلَىٰ به منه، ولا يضع في طريقهم العراقيل والقاذورات، ولا يتخلىٰ في طريق الناس ولا في الظل الذي يستخدمونه؛ فإنه يؤذيهم، ويَجلب عليه سبهم ولعنتهم.

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري في «صحيحه» (٦٢٢٩)، ومسلم في «صحيحه» (٢١٢١).

عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا **اللَّعَّانَين**» قالوا: وما اللَّعَّانان يا رسول الله؟ قال: «**الذي يتخلىٰ في طريق الناس، أو في ظلهم**»(١).

وعن معاذ بن جبل ﵁، أن النبي ﷺ قال: «**اتقوا الملاعن الثلاث: البِراز في الموارد، والظل، وقارعة الطريق**»(٢).

قال ابن الأثير: «هي جَمْع مَلْعَنَة، وهي الفَعْلة التي يُلْعَن بها فاعلها، كأنها مَظِنة لِلَّعْن ومَحَل له، وهي أن يَتغوط الإنسان علىٰ قارعة الطريق، أو ظل الشجرة، أو جانب النهر. فإذا مر بها الناس لعنوا فاعلها. ومنه الحديث: «**اتَّقُوا اللَّاعِنَين**» أي: الأمرَين الجالِبَين لِلَّعْن، الباعثَين للناس عليه؛ فإنه سبب لِلَعْن مَن فَعَله في هذه المواضع»(٣).

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون- أو بضع وسِتون- شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»(٤).

وعن أبي ذر ﵁، عن النبي ﷺ قال: «عُرِضَتْ عليَّ أعمال أمتي، حَسَنُها وسيئُها، فوَجَدْتُ في محاسن أعمالها الأذىٰ يماط عن الطريق، ووَجَدْتُ في مساوئ أعمالها النُّخَاعة تكون في المسجد لا تُدفَن»(٥).

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (ح ٢٦٩).

(٢) أخرجه أبو داود في «سُننه» (ح ٢٦)، وابن ماجه في «سُننه» (ح ٣٢٨)، وحَسَّنه الألباني لغيره في «صحيح الترغيب والترهيب» (ح ١٤٦).

(٣) «النهاية في غريب الحديث والأثر»، لابن الأثير الجَزَري (٤/ ٢٥٥).

والحديث بلفظة (اتَّقُوا اللاعِنَيْن) أخرجه أحمد في «مسنده» (ح ٨٨٥٣)، وأبو داود في «سُننه» (ح ٢٥)، وغيرهما، عن أبي هريرة ﵁. وصَحَّحه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (ح ١٤٥).

(٤) أخرجه بهذا اللفظ مسلم في «صحيحه» (ح ٣٥).

(٥) أخرجه مسلم في «صحيحه» (ح ٥٥٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «بينما رجل يمشي بطريق، وَجَد غصن شوك علىٰ الطريق، فأَخَّره، فشَكَرَ الله له فغَفَرَ له»[1].

والفرق بين كف الأذىٰ وإماطة الأذىٰ: أن الكف مَنْع وصول الشر الـمُمكِن لمستخدمي الطريق. والإماطة: رَفْع الشر الواقع. فالكف ينصرف إلىٰ الأذىٰ الذي يمكن أن يوقعه الكافُّ. والإماطة تنصرف إلىٰ الأذىٰ الذي أوقعه الغير، وتَكفَّل المميطُ بإماطته تطوعًا أو وجوبًا.

وعلىٰ المسلم أن ينوي بإماطته الأذىٰ عن الطريق: دَفْع الضرر عن الناس والحيوان والآلة، وتحصيل الأجر، والقيام بحق الطريق.

وعليه يمكن أن يقال: إنَّ كف الأذىٰ عن الطريق واجب. وإماطة الأذىٰ عن الطريق قد تكون واجبة، وقد تكون مندوبة، وقد تكون فرض كفاية إن لم يوجد مَن يتيسر له الإماطة غيره، أو كان ذلك من مسئولياته؛ كالوالي والحاكم والعمدة.

والأمر بالمعروف أَوْلاه ما كان متعلقًا بحق الطريق نفسه، فهو كواجب الوقت. ومِن ذلك: الأمر بأن يسع كُلٌّ أخاه في المشي والركوب، والأمرُ بِغَضّ البصر، والتذكير بالأذكار المُوظَّفة وبذكر الله عمومًا، والتذكيرُ بالمحافظة علىٰ مرافق الطريق... ونحو ذلك.

وكذا النهي عن المنكر أَوْلاه النهي عن انتهاك حق الطريق، كتجاوز السرعة المقررة، ورَفْع الصوت بآلات التنبيه، فهو كواجب الوقت.

وتَأَمَّلْ كيف كان النبي ﷺ ينهىٰ أصحابه في ركوبه!

فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: كان الفضل رديف رسول الله ﷺ، فجاءت

(١) **متفق عليه:** أخرجه البخاري في «صحيحه» (ح ٦٥٢)، ومسلم في «صحيحه» (ح ١٩١٤).

امرأة من خَثْعَم، فجَعَل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، وجَعَل النبي ﷺ يَصرف وجه الفضل إلىٰ الشِّق الآخَر... الحديث(١).

وعن أبي تَميمة الهُجَيْمي، عمن كان رديف النبي ﷺ، قال: كنتُ رديفه علىٰ حمار، فعثر الحمار، فقلت: تَعِس الشيطان! فقال لي النبي ﷺ: «**لا تقل: تعس الشيطان؛ فإنك إذا قلت: تعس الشيطان، تَعاظَم الشيطان في نفسه، وقال: صرعتُه بقوتي! فإذا قلتَ: باسم الله، تصاغرت إليه نفسه حتىٰ يكون أصغر من ذباب**»(٢).

وتكمن أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أنه يُظْهِر تمالؤ المجتمع علىٰ تحمُّل المسئولية. ولن يُوفَّىٰ حق الطريق إلا إذا عَلِم كل امرئ أن القيام بحق الطريق مسئوليته، فلا يُلقِي العبء علىٰ غيره ما استطاع أن يقوم به بنفسه. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يُعلِّمان الجاهل، ويُذكِّران الـمُقصِّر والناسي بواجبه.

وهذا كثيرًا ما يَطرأ في المواصلات، بأن يتظالم السائق والراكب في الأجر أو محطة الوقوف أو مكان الركوب في المركبة... أو نحو ذلك من الأمور التي هي مَظِنة المنازعة بينهما. فعلىٰ الحاضرين الحجز بينهما، فإنْ بغىٰ أحدهما علىٰ الآخَر، وجب عليهم نصر المظلوم وتَرْك العصبية لأحدهما بأي داعٍ من دواعي العصبية.

ومن حقوق الطريق: إرشاد السائل، وهداية الضال، وقيادة الأعمىٰ، وإعانة الضعيف، والجود بفضل الظَّهْر علىٰ مَن لا ظَهْر له.

عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه **قال**: بينما نحن في سفر مع النبي ﷺ، إذ جاء رجل علىٰ راحلة له. قال: فجعل يَصرف بصره يمينًا وشمالًا، فقال رسول الله ﷺ: «مَن

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (ح ١٥١٣)، ومسلم في «صحيحه» (ح ١٣٣٤).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (ح ٢٠٥٩١)، وأبو داود في «سُننه» (ح ٤٩٨٢)، وغيرهما. وصَحَّحه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (ح ٣١٢٩).

كان معه فضل ظَهْر فلْيَعُد به علىٰ مَن لا ظَهْر له، ومَن كان له فضل من زاد فلْيَعُد به علىٰ مَن لا زاد له» قال: فذَكَر من أصناف المال ما ذَكَر، حتىٰ رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل(١).

فإذا كان ذا سيارة، وثَمة مكان متسع بها، فليَتحرَّ مَن لا ظَهْر له فليوصله إلىٰ بغيته أو أقرب مكان لها. والتحري هنا أن يَقصد مَن يَعلم أنهم من ذوي الحاجة أكثر من غيرهم، وليُراعِ عدم الخَلوة بالأجنبية. وليُراعِ ألا يَحمل ذا تهمة أو مَن يَغلب علىٰ ظنه أنه لا يأمنهم علىٰ نفسه وماله. وقد يكون الجود بأن يُعِير سيارته ذوي الحاجة لقضاء مصالحهم.

ومنه: تشميت العاطس إذا حَمِد، وحُسْن الكلام مع مستخدمي الطريق والركاب، وخصوصًا عند الزحام، وعند التنازع علىٰ أولوية المرور، أو التنازع حول أجرة استخدام المركبات... أو نحو ذلك.

ومن حق الطريق ذِكر الله ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما جلس قوم مجلسًا لم يَذكروا الله فيه، إلا كان عليهم تِرَة، وما مشىٰ أحد مَمشًىٰ لم يَذكر الله فيه إلا كان عليه تِرَة، وما أوىٰ أحد إلىٰ فراشه ولم يَذكر الله فيه إلا كان عليه تِرَة»**(٢).

فهذا في الذِّكر المطلق، ومن الذِّكر المُقيَّد المتعلق بالطريق وأحواله: دعاء الركوب، ودعاء السفر، ودعاء الصعود والنزول، وإفشاء السلام، ودعاء دخول القرية، وكفارة المجلس. ولعل كثرة هذه الأنواع وسهولة القيام بها تَقضي بأن مَن لم

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (ح ١٧٢٨).

(٢) أخرجه بهذا اللفظ ابن حِبَّان في «صحيحه» (ح ٨٥٣)، وصَحَّحه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (ح ٨٧).

يأتِ بشيء منها في طريقه- مُستحقٌّ الوعيد بالنقصان المذكور في الحديث الشريف.

وبالجملة، فالأوقات التي يقضيها الناس في مسالكهم إلىٰ حوائجهم طويلة، يَجمل بالمسلم عمارتها بذكر الله تعالىٰ.

ومنه القيام بحق ابن السبيل، وهو المسافر الذي انقطع به الطريق. وأوسع ما قيل فيه: هو المنقطع عن ماله، سواء كان خارج وطنه أو بوطنه، أو مارًّا به. وقد اتفق الفقهاء علىٰ أنه إذا لم يجد ما يَتبلغ به حُق أن يُعطَىٰ من الزكاة والغنيمة والفيء حَسَب حاجته، وإن لم يكن فقيرًا في بلده[(١)].

وابن السبيل وإن كان غنيًّا في بلده، فانقطاعه عن أهله وماله يجعله مكروبًا، مرة بنفاد ماله، ومرة بالتفكير في غربته عن أهله، ومرات بما قد يدهمه في سفره، وهو مُنْبَتٌّ لا ظَهْرًا أبقىٰ، ولا حاجةً بَلَغَ. فإذا عَلِم أن له في كل بلد حقًّا فَرَضه له الإسلام، أُبْدِل بهمه طُمأنينة، وبخوفه أمنًا وسكينة، فهي نعمة وأي نعمة.

ومنه استبصار وجوه نعمة الله ﷻ عليه في تسخير الطريق، وهو من أهم حقوق الطريق، والنهوض به مفتاح النهوض بسائر الحقوق، وباعثها، وناقلها من العادة إلىٰ العبادة، والحامِلُ علىٰ تحري الإتقان والإحسان فيها، وتَرْك التضجر والتململ بالمواظبة عليها، بل يأتيها في كل وقتٍ طيبَ النفس، منشرح الصدر، مُؤمِّل الأجر.

(١) «الموسوعة الفقهية الكويتية» (١/ ١٩٠).

مظاهر نعمة الطريق
في ضوء سورة (النَّحْل)

إن التفكر في نعم الله ﷻ يُرِي المتفكرَ النعمة الواحدة نِعمًا متعددة، فيُجَلِّي خفيها، ويعيد الظاهر منها أشد ظهورًا. وهذا- ولا شك- يطبع أثره في القلب، فيَأطِر صاحبه علىٰ الشكر، ويُجَلِّي له مواقع التماس الأجر.

والشكر الحق إنما يكون بالقلب واللسان والجوارح، وبقدر حصوله في القلب يُرَىٰ أثره علىٰ الجوارح، وشُكْر الجوارح هو القيام بحق النعمة ومقتضاها.

وفيما نحن بصدده من الحديث عن نعمة الطريق، فإِنَّ أحرىٰ الناس قيامًا بحقه وتخلقًا بآدابه- هم مَن وقفوا علىٰ معالم تلك النعمة العظيمة، واستظهروها، وجَدُّوا في إحصائها.

وفيما يلي محاولة لاستشفاف وجوه تلك النعمة في القرآن الكريم، من خلال سورة (النَّحْل).

المطلب الأول

نعمة تذليل الأرض، وتمهيدها وبَسْطها

بَسَط الله ﷻ الأرض ومَدَّها للبشر، ولولا ذلك ما استقام لهم عيشٌ ابتداءً. وسَخَّرها لهم بأنحائها، وظَهْرها وبَطْنها، وجوها وفضائها، وأنهارها وبحارها، ثم سَلَك لهم فيها سُبُلًا، ولو شاء لجعلها كلها صخرًا وعرًا أو بحرًا قعرًا، أو مَهَامِهَ مُهلِكة، أو غابات مُشتبِكة... أو غير ذلك مما يَتعسَّر معه علىٰ المرء تعبيد الطرق، ويَجعل الانتقالَ بين الآفاق شاقًّا أو مستحيلًا.

وطريقة القرآن الكريم الجمع بين استقرار الأرض وتمهيدها وبين تسخير السبل، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٥]، فثبَّتَ الأرض بالجبال لئلا تضطرب، ولولا ذلك ما قامت للناس حياة، وجَعَل فيها الأنهارَ مسالك المياه، فأسقاه الناسَ والأنعام، وأَخْرَج به زرعًا مختلفًا ألوانه وثماره، وجَعَل فيها سُبُلًا ليَطْرُقها الناس، فتَسْلُس عمارتهم لها، ويستقيم سَيْرهم فيها اجتماعًا وافتراقًا؛ لتَتحقق فيهم سُنة الله ﷻ أن يجعلهم شعوبًا وقبائل، ثم ليتعارفوا.

والمعنىٰ: جَعَل لكم في الأرض سبلًا تسلكونها، وتَسِيرون فيها لحوائجكم وطلب معايشكم؛ رحمةً بكم ونعمة منه بذلك عليكم، ولو عَمَّاها عليكم لهلكتم ضلالًا وحَيْرة(١). وهي نعمة مرتفقة علىٰ تذليل الأرض وتمهيدها.

وقد فُصِّل هذا المعنىٰ في غير موضع من القرآن الكريم، فقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ [طه: ٥٣].

---

(١) انظر: «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، لابن جرير الطبري (١٤/ ١٩١)

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ١٠]، يعني طرقًا أعلامًا؛ ليهتدوا إلىٰ السير في الأرض، أي: لكي تهتدوا بتلك السبل إلىٰ حيث أردتم من البلدان والقرىٰ والأمصار، لولا ذلك لم تطيقوا براح أفنيتكم ودُوركم، ولكنها نعمة أَنْعَم بها عليكم(١).

وقال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح: ١٩-٢٠]، والفَجّ: الطريق الواسع بين الجبلين. وكل طريق بَعُد فهو فَجٌّ(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]، يعني سَهَّلها لكم.

ففي الأرض الجبال الرواسي أوتادُها، والأنهار بمادة الحياة مِدادُها، والسُّبُل الـمُعبَّدة صِفادُها. ولو لم يكن فيها الجبال لمادت واضطربت، ولو كانت كلها أو جُلها جبالًا لكان التنقل فيها عسيرًا، ولكان تمهيد الطرق خلالها مُكلِّفًا. ولعلنا نرىٰ أن رصف طريق طوله مئات الأميال خلال الأرض المنبسطة- قد لا يحتاج من الجُهد والمال والمشقة ما يحتاجه حفر نفق خلال جبل طوله بضعة أميال.

وفي هذه الآيات يُذكِّرهم الله ﷻ بنعمه عليهم؛ إذ جَعَل الأرض بحيث يُمهِّدونها، وينتفعون منها بأنواع المنافع، ومَكَّن لهم الوصول إلىٰ حوائجهم التي فَرَّقها في الأمكنة المتباعدة؛ إذ جَعَل لهم فيها سبلًا وطرقًا يسلكونها ليصلوا إلىٰ بُغيتهم، ولولا جَعْله فيها السبل والطرق ما استطاعوا السلوك فيها، ولا الوصول

(١) انظر: السابق (١٦/ ٢٦٢)، (٢٠/ ٥٥٤).

(٢) انظر: «العين»، للخليل بن أحمد (٣/ ٣٠٢)، و«تهذيب اللغة»، للأزهري (١٠/ ٢٧١).

إلىٰ حوائجهم التي فُرِّقَتْ في أنحائها.

وفيه دلالة علىٰ حكمته ﷻ، إذ فَرَّق حوائجهم في أمكنة متباعدة، ثم مَكَّن لهم الوصول إليها؛ ليعلموا أن الذي مَلَك أنفسهم هو مالك أطراف الأرض؛ إذ لو كان هذا غير ذلك لمنعهم عن الوصول إلىٰ حوائجهم.

وفيه دلالة علىٰ قدرته؛ حيث جَعَل لهم في الأرض ما ذَكَر من التسخير لهم؛ حتىٰ يَعْمُروها ويسلكوا سُبُلها إلىٰ مآربهم، ومَكَّن لهم ذلك ليَعلموا أن مَن قَدَر علىٰ ذلك لا يُعجزه شيء[(١)].

ويترتب علىٰ تذليل الأرض أن تكون سُبلها - في الجملة - آمنة فيما كان جَعْلًا وتسخيرًا ربانيًّا، فلا يأتيها الخوف إلا فيما يُوقِعه الناس علىٰ أنفسهم بتناحرهم وتشاحنهم وابتغائهم ما في أيدي بعضهم. ولو كانت الأرض غير ذلول، لأخرجت المشقةُ الناس إلىٰ الخوف الذي لا يفارقهم في انتقالهم.

والأمن ضمان لاستمرار الإمداد بالطعام والشراب إلىٰ البلاد والقرىٰ، والأمن مُرَتَّبٌ علىٰ الإيمان، والخوف مُرتَّب علىٰ الكفر، قال تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرۡيَةً كَانَتۡ ءَامِنَةً مُّطۡمَئِنَّةً يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢] يعني: يأتي أهلها معايشهم واسعة كثيرة، من كل فج من فجاج هذه القرية، ومن كل ناحية فيها[(٢)].

ومِن أَبْيَن الأمثلة علىٰ ذلك مكة؛ لمكان الحَرَم، كما أشار إليه قوله تعالىٰ: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾ [سورة قريش].

(١) انظر: «تأويلات أهل السُّنة»، لأبي منصور المَاتُريدي (٩/ ١٥١).

(٢) انظر: «جامع البيان»، لابن جرير الطبري (١٤/ ٣٨٢).

وأما بعض المسالك الوعرة التي يُضطر الناس إلىٰ سلوكها، فتُعرِّضهم إلىٰ الخطر؛ لعدم وجود غيرها أو لعدم أمان بديلها؛ فإنها تبقىٰ شاهدة علىٰ نعمة تمهيد الأرض وتذليلها وتسخير سُبلها؛ كما أن المرض نعمة من حيث إعرابه عن الصحة، وكما أن الفقر نعمة من حيث دلالته علىٰ الغِنىٰ. والله أعلم.

المطلب الثاني

تسخير طرق البَر والبحر والجو، وتنويع وسائل السير فيها

نَوَّع الله تعالىٰ لعباده سُبل السير في الأرض، فقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمۡ فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ [يونس: ٢٢]. وهذا التنويع يَسَّر علىٰ الإنسان سبل الانتقال، وبَلَّغه آفاقًا ومواضع ما كان له أن يَبلغها- إِنْ بَلَغَها- إلا بمشقة وعناء.

وعلاوة علىٰ ذلك، فإن السير في البحر هَيَّأ للإنسان أن يَستخرج خيراته التي لا يُستخرَج كثير منها إلا من أعالي البحار والمحيطات الواسعة، ككثير من أصناف الأسماك والحُليّ، فلو لم يُسخَّر لهم البحر ما استطاعوا أن يستفيدوا من نعمه إلا بما تَطُوله أيديهم وهم علىٰ شاطئه، أو بما يُلقَىٰ لهم منه من غير أن يَتقحَّموا لُجَجه.

وقد وَضَّحَتْ سورة (النَّحل) هذا الأمر غاية التوضيح، فقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمًا طَرِيًّا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةً تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٤ وَأَلۡقَىٰ فِى ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [النحل: ١٤- ١٥]، فذكَرَتِ الآيتان الكريمتان نعمتَي السير في البحر والبَر، وما يَتحصَّل من ذلك من منافع؛ كالتجارة، والتعارف، والاعتبار والتريض، والحج والجهاد، وطلب العلم والدعوة إلىٰ الله ﷻ، والهجرة في الله، والصيد واستخراج اللآلئ والمَرجان والمعادن النفيسة... وغير ذلك مما يَدخل في عموم هذا المعنىٰ.

وقد لَخَّصَتِ السورة الكريمة مقاصد الضرب في البَر والبحر أحسن تلخيص وأَبْيَنه! فعلاوة علىٰ ما نصت عليه الآيتان السابقتان، قال تعالىٰ في الانتقال والرعي والسفر والتجارة: ﴿وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ٦ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ

﴿إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ﴾ [النحل: ٦، ٧]، وقال تعالىٰ في سياحة الاعتبار: ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالىٰ في الهجرة في الله: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [النحل: ٤١]، وقال تعالىٰ في السفر: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [النحل: ٨٠]، وأشار للجهاد بقوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ [النحل: ٨١]، ثم ذكر الهجرة والجهاد في قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٠]، وأشار للتجارة والحج بقوله تعالىٰ: ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾ [النحل: ١١٢]، وذكر الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ بقوله: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٢٥].

ثم لفتت السورة الكريمة أنظارهم، وشحذت قرائحهم بالإشارة إلىٰ سُبل الجو- بقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٧٩]. وسيأتي مزيد بيان لهذا المعنىٰ في ثنايا البحث.

وفتحَتْ لهم الباب لارتياد الفضاء بإشارة عامة: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨]، وبإشارة خاصة: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ١٢]. فتسخير تلك الأجرام السماوية يَفتح باب الفكر للإنسان لاعتصار منافعها الخفية المُسخَّرة له، وألا يَقتصر علىٰ المنافع الظاهرة لتلك الأجرام علىٰ عظمتها. ولعل هذا يُجتنَىٰ في مرحلة لاحقة من حياة البشر، مع تقدم تِقنيات ارتياد الفضاء. والله أعلم.

ولم يَقتصر تنويع الله ﷻ علىٰ السُّبل، وإنما نَوَّع المراكب لتُناسِب تلك السُّبل، ولو اقتَصر علىٰ تنويعها، وتَرَك الإنسان لقدراته المحدودة، لكانت الفائدة قليلة.

ثم نوَّع المراكب في الطريق الواحد؛ لتُناسِب حاجات الناس وطاقاتهم المادية، ولتُناسِب كذلك مرادهم من كل سبيل مسلوك.

وهذا المعنىٰ حاضر جليّ في سورة (النَّحْل)، فقال تعالىٰ في وصف الفلك: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٤]، فمنها ما يناسب قَطْع المسافات الطويلة للتجارة في عرض البحار، ومنها ما يناسب الصيد، ومنها ما يناسب الغوص لاستخراج الحُلي، ومنها ما يناسب السياحة للفكر والنظر.

وقال في الدواب والأنعام: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ [النحل: ٧، ٨]، ولا يخفىٰ تفاوت مناسبتها للسفر والجهاد والحمولة والحرث والزينة... وغير ذلك من الأغراض.

ثم جَعَل الباب مفتوحًا لما يُقدِّر الله تعالىٰ للبشر أن يستحدثوه من وسائل الانتقال، فقال: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨]، فكلما وَصَل الناس لما قد يظنونه غاية التقدم والابتكار، ظلت الآية الكريمة شاهدة علىٰ أن وراءها ما هو أكثر تقدمًا وأبدعُ صنعًا.

وقد فُصِّل هذا المعنىٰ في غير موضع من القرآن الكريم:

فقال تعالىٰ في الأنعام: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ۝٧١ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۝٧٢ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٧١-٧٣].

وقال فيها وفي الفلك: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٢١ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [المؤمنون: ٢١، ٢٢]، وقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى

جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمَ لِتَرۡكَبُواْ مِنۡهَا وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٧٩ وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبۡلُغُواْ عَلَيۡهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمۡ وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ﴾ [غافر: ٧٩، ٨٠]، وقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ﴾ [الزخرف: ١٢].

وقال في الفلك خاصة: ﴿وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ٢٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٢٤، ٢٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ٣٢ إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٍ ٣٣ أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعۡفُ عَن كَثِيرٖ ٣٤ وَيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ﴾ [الشورىٰ: ٣٢-٣٥].

والجواري في البحر هي الفلك، وسِرُّ العدول إلىٰ التعبير بالصفة وحذف الموصوف- الإيماء إلىٰ محل العبرة؛ لأن العبرة في تسخير البحر لجريها وتفكير الإنسان في صنعها[(١)].

والأعلام: جمع عَلَم وهو الجَبَل. والمراد بالجواري: السفن العظيمة التي تسع ناسًا كثيرين، والعبرة بها أظهر، والنعمة بها أكثر[(٢)].

وإسكان الرياح: قَطْع هبوبها، فإن الريح حركة وتَموُّج في الهواء، فإذا سكن ذلك التموج فلا ريح[(٣)].

والمعنىٰ: إن يشأ الله الذي قد أجرىٰ هذه السفن في البحر ألا تَجري فيه، أَسْكَن الريح التي تجري بها فيه، فثَبَتْنَ في موضع واحد، ووقفن علىٰ ظهر الماء لا تَجري، فلا تتقدم ولا تتأخر. وإن يشأ أن يُهلكها برُكابها بما اقترفوا من الذنوب واجترحوا من الآثام، ما استطاعوا دفع ذلك[(٤)].

(١) «التحرير والتنوير»، لابن عاشور (٢٥/ ١٠٥).

(٢) انظر: السابق (٢٥/ ١٠٥).

(٣) السابق (٢٥/ ١٠٦).

(٤) انظر: «جامع البيان»، لابن جرير الطبري (٢٠/ ٥١٦، ٥١٧).

ويُورِد البعض شبهة فيقول: إن الإنسان استطاع أن يخترع من الآلات ما يستغني به عن قوة الريح في دفع السفن، ولو سكنت الريح ما عجز الإنسان عن الإبحار بقوة المُحرِّكات، بل لعل سكون الريح أوفق للإبحار في كثير من الأحيان؛ إذ لا تَلْقَىٰ السفن البخارية أي مقاومة في أثناء سيرها، فما وجه المنة في الآية الكريمة؟

والجواب عن ذلك: أن القرآن نزل لكل زمان ومكانٍ، فكما أنه يخاطب البشر في القرن الرابع عشر الهجري وما بعده، فإنه خاطب البشر قبله، فخاطبهم بما يَعلمون، وهم لم يكونوا يَعرفون غير السفن الشراعية التي تُسيِّرها الريح، والله ﷻ مُسخِّر الريح كما أنه مُسخِّر غيرها من القُوىٰ التي طَوَّعها البشر بإرادة الله ﷻ، والقادر علىٰ أن يُسْكِن تلك قادر علىٰ أن يَذهب بهذه، وهو القائل ﷻ: ﴿وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٨]، فما تستطيلون به هو مما أعطاكم مفاتح علمه بعد أن لم تكونوا تَعلمون، وهو القادر علىٰ أن يُغرقكم ولو كنتم في بروج مُشيَّدة. فاعتَبِروا يا أولي الأبصار.

فهي للأولين نعمة، وللآخِرين - فضلًا عن ذلك - تذكرة بنعمته علىٰ ما هداهم إليه من تقدم أتاح لهم صُنع ما صنعوا، وابتكار ما ابتكروا. فإذا ذَكَر الله ﷻ الريح رآها المؤمن مُعتبَرًا ومَنًّا، ورآها غيره عَوارًا ومَطعنًا.

وشبيه بذلك: ما قد يقع لأحدنا حين ينظر إلىٰ السماء في ليلة صافية، فيتفكر في خلق السموات والأرض، ويتأمل نجومها وبديع خلقها، ثم يعود علىٰ نفسه مُتبصِّرًا نعمة العين الباصرة التي أمكنه الله تعالىٰ أن يَرىٰ بها ما يَرىٰ، فيزداد شكرًا وامتنانًا.

فإذا بشيطانه يأبىٰ إلا أن يُعكِّر عليه صفو تأمله، فيوسوس له: وما وَجْه الإعجاز في ذلك؟ ألم يَخترع البشر من المناظير والتلسكوبات ما يرون به أبعد من هذا وأوضح؟! ولكن المُوفَّق يكايد عدوه قائلًا: اخسأ عدو الله! ومَن خلق

للإنسان العقل الذي استطاع به أن يهتدي إلىٰ صناعة هذه التلسكوبات؟! ومَن فطَر قوانين البصريات؟! فينزوي عدوه خاسئًا حسيرًا، ﴿وَيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ﴾ [الشورىٰ: ٣٥].

فهو سبحانه مَن سَخَّر هذه الريح التي تَدفع السفن الشراعية التي كانت معلومة وقتها للمُخاطِبين، وهو ﷻ مَن سَخَّر القُوىٰ الأخرىٰ والطاقات؛ كالبخار والكهرباء والطاقة الشمسية والطاقة الذرية والنووية... وغيرها مما قد يكتشفه الإنسان في المستقبل، وهو سبحانه الذي كَتَب نواميسها، وهو الذي هدىٰ الإنسان إلىٰ اكتشاف قوانين عملها، وكيفية استخراجها واستخدامها في تسيير الآلات والمركبات المتنوعة في البَر والبحر والجو والفضاء.

ثم نقول: ما زالت السفن الشراعية مستخدمة حتىٰ الآن، فما زالت الآية قائمة في حق مستخدميها، ثم هي قائمة في حق مَن يُنجّيهم الله ﷻ من ظلمات البحر وأهواله رُغم ما يقترفون من الآثام، بل قد يَتخذون من بعض السفن المواخر نوادي لملذاتهم، ومواخير لفواحشهم وشهواتهم، فيُمهلهم ليتوبوا، ويعفو عن كثير، وقد يُهلِك بعضهم ليُعتبَر بهم، وتلك نِعمة ظاهرة لمن كان له قلب أو ألقىٰ السمع وهو شهيد.

فهذا- ولله الحمد- قاطعٌ لشبهة البعض في هذه الآية الكريمة. وقد أجيب بأجوبة أخرىٰ، نَذكر منها قولين سائرين في ردود المعاصرين:

الأول- أن المراد بالريح: القوة والطاقة؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

قال الشيخ الشعراوي: «ومن عجائب إنباءات القرآن أن الحق سبحانه حينما تَكلم عن الريح التي تُسيِّر الفلك والسفن، قال الشكليون والسطحيون: «لم نَعُد نُسيِّر السفن بالرياح، بل نُسيِّرها بالطاقة».

ونقول: فلنقرأ قول الحق: ﴿وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ [الأنفال: ٤٦]، و(رِيحُكُمْ) تعني: قوتكم وطاقتكم. فالمراد بالريح: القوة المطلقة، سواء جاءت من هواء، أو من بخار، أو من ماء»(١).

وهذا الوجه محتمل علىٰ بُعْد. وعلىٰ كل فهو عائد إلىٰ معنىٰ ما ذكرنا، غير أن الأول بطريق القياس والاعتبار، والثاني - إن صح - فبطريق النص الظاهر من بعض معاني ألفاظه. والله أعلم.

الثاني - قد يقال: إن وجود الريح لا يَزال ضروريًّا لسير تلك الآلات؛ إذ إن من مكونات الريح الأكسجين اللازم للاحتراق، فيستمر دوران المحركات، وجريان الريح كناية عن وجود الأكسجين وضمان لتجدده.

ولعل هذا ما قَصَده الشيخ السعدي بقوله: «ولا يَنتقض هذا بالمراكب النارية، فإِنَّ مِن شرط مشيها وجود الريح»(٢).

ولكن يُعكِّر علىٰ هذا أن إسكان الريح بإذهاب حركتها، لا بإذهاب ذاتها - لا يُلغِي وجود الأكسجين. كما يُعكِّر عليه إمكانية اختراع البشر لسفن تسير بالمحركات النووية التي لا تَعمل بآلية الاحتراق المعهودة. والله تعالىٰ أعلم.

◆ ◆ ◆

(١) «تفسير الشعراوي» (١٢/ ٧٥٤٠).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن»، للسعدي (ص ٧٥٩).

المطلب الثالث
نَصْب معالم وعلامات للاهتداء في الطرق المتنوعة

مِن نعم الله ﷻ علىٰ عباده ما أقام لهم من المعالم والعلامات التي يهتدون بها في مسالكهم وطرقهم.

وقد أشار إلىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٥، ١٦]، فهذا أيضًا يَخرج مَخرج ذكر المنن والنعم عليهم؛ لأنهم لولا أن جَعَل الله ﷻ أعلامًا في البحار والبراري يَعرفون بها السلوك فيها، لم يستطع أحد معرفة الطرق في البحار والبراري(١).

وكل ما دل علىٰ شيء وأَعْلَم به فهو علامة(٢)، والعلامات ها هنا: الأمارات التي أَلْهَم الله الناس أن يضعوها ويتواطئوا عليها؛ لتكُون دلالة علىٰ المسافات والمسالك المأمونة في البر والبحر، فتتبعها السابلة(٣).

وإنما أُريدَ العموم، ولم يخصص بذلك بعض العلامات دون بعض، فكل علامة استَدل بها الناس علىٰ طرقهم وفجاج سبلهم في البَر والبحر، والليل والنهار، فداخل في المراد بالعلامات، كالجبال والنجوم والشمس والقمر والرياح التي يَعرفون مهابها، وطَعْم الماء يَعرفون به الطريق الـمُفضِي إلىٰ بقاع مُعيَّنة، وبعض الدواب التي لا توجد إلا في أراضٍ أو بحار بعينها، فيَجعلون رؤيتها علامة علىٰ

(١) «تأويلات أهل السُّنة»، لأبي منصور المَاتُريدي (٦/ ٤٨٨).

(٢) «المُحرَّر الوجيز» لابن عطية (٣/ ٣٨٥).

(٣) انظر: «التحرير والتنوير» لابن عاشور (١٤/ ١٢٢).

وصولهم إلىٰ وجهتهم بتلك الأراضي(١). وحكىٰ الفخر الرازي أنه رأىٰ جماعة يشمون التراب، وبالرائحة يتعرفون الطرق(٢). ويَدخل فيها ما استحدثه الإنسان من علامات المرور وإرشاداته وإشاراته علىٰ اتجاهات الطرق ومواقع المُدن، والمسافات بين المعالم، ونحو ذلك.

وجملة: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ تَصلح أن يكون المراد بها الاهتداء إلىٰ المقاصد في الأسفار برسم الطرق، وإقامة المراسي علىٰ الأنهار، واعتبار المسافات. وكل ذلك من جَعْل الله تعالىٰ وتسخيره لهم؛ لأن ذلك حاصل بإلهامه. وتَصلح أن يكون المراد الاهتداء إلىٰ الدين الحق وهو دين التوحيد؛ لأن في تلك الأشياء دلالة علىٰ الخالق المنفرد بالخلق(٣).

ووُجِّه الالتفات من الخطاب في قوله: ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ **إلىٰ الغَيبة في قوله:** ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ إلىٰ أن المقصود بالثاني قريش خصوصًا، وقد كانت تُكْثِر أسفارها لطلب المال، ومَن كثرت أسفاره كان علمه بالمنافع الحاصلة من الاهتداء بالنجوم أكثر وأتم. وتقديم النجم وإقحام الضمير للتخصيص، كأنه قيل: وبالنجم خصوصًا هؤلاء خصوصًا يهتدون، فالاعتبار بذلك والشكر عليه ألزم لهم وأوجب عليهم(٤).

ووَجَّهه **ابن عاشور** بأن أخص مَن يهتدي بالنجوم هم البحارة؛ لأنهم لا

(١) انظر: «جامع البيان»، لابن جرير الطبري (١٤/ ١٩٤)، و«تأويلات أهل السُّنة»، للمَاتُريدي (٦/ ٤٨٨)، و«المُحرَّر الوجيز»، لابن عطية (٣/ ٣٨٥).

(٢) «التفسير الكبير»، لفخر الدين الرازي (٢٠/ ١٩١).

(٣) انظر: «التحرير والتنوير»، لابن عاشور (١٤/ ١٢٢).

(٤) انظر: «الكشاف»، للزمخشري (٣/ ٤٢٩)، و«التفسير الكبير»، للفخر الرازي (٢٠/ ١٩١)، و«أنوار التنزيل وأسرار التأويل»، للبيضاوي (٣/ ٢٢٢، ٢٢٣).

يستطيعون الإرساء في كل ليلة، فهم مضطرون إلىٰ السير ليلًا، وهي هداية عظيمة في وقت ارتباك الطريق علىٰ السائر؛ ولذلك قُدِّم المتعلق في قوله تعالىٰ: ﴿وَبِٱلنَّجۡمِ﴾ تقديمًا يفيد الاهتمام، وكذلك بالمُسنَد الفعلي في قوله تعالىٰ: ﴿هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾. وعدل عن الخطاب إلىٰ الغَيبة التفاتًا يومئ إلىٰ فريق خاص، وهم السيارة والملاحون؛ فإن هدايتهم بهذه النجوم لا غير[(١)].

ويمكن أن يقال: إن العلامات الظاهرة يَعرفها كل أحد، فما يخلو المخاطبون من إقرارها. وأما جميع النجوم فلا يهتدي بها إلا العَالِمون بمطالعها ومغاربها، والفرق بين الجنوبي والشمالي منها، وذلك قليل في الآخِرين. وأما الثريا فلا يهتدي بها إلا مَن يهتدي بجميع النجوم[(٢)].

ويؤيده وروده بالخطاب في قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٨٧] لأن المهتدين بعض المخاطبين، وهم منتفعون بعلم أَدِلّائهم من البُصَراء بمواقع النجوم، وكيفية الاهتداء بها في ظلمات البَر والبحر، فكان العلماء بهذا أبصر بتفصيل تلك الآيات من غيرهم؛ ولذا خُتمت الآية بقوله تعالىٰ: ﴿قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧]. والله أعلم.

فلو شاء الله تعالىٰ لجَعَل الأرض بلا مَعالِم ولا علامات، ولكنه سبحانه نَوَّع تضاريسها، فسَهَّل الاهتداء في طرقها، وأجرىٰ ناموس الفَلَك علىٰ سُنة مطردة وقانون مستقيم، فكانت الشمس دالة علىٰ الاتجاهات نهارًا، والنجوم دالة عليها ليلًا. وهذه نعمة عظيمة لمن تأملها.

---

(١) «التحرير والتنوير» (١٤/ ١٢٢).

(٢) انظر: «أحكام القرآن»، لابن العربي (٣/ ١٢٨).

ثم لما تَقدَّم البشر في العلوم التطبيقية، هداهم الله ﷻ إلىٰ العلم ببعض قوانين الأرض وببعض خصائص دورانها، وموقعها من أجرام السماء، فاستغلوها في تصميم نُظُم المِلاحة ونُظُم تحديد المواقع؛ كنظام التموضع العالمي (Global position system GPS)، ونُظُم رسم الخرائط المتطورة ... ونحو ذلك. وغني عن القول: إن هذه القوانين قد اكتشفوها ولم يخترعوها، واكتشافهم لها نعمة من الله ﷻ وتوفيق.

وقد أشارت سورة (النَّحْل) إلىٰ ذلك أيضًا، في قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ﴾ [النحل: ٧٨]. فأودع فيهم القدرة علىٰ الاكتشاف والابتكار والاختراع- بما هَيَّأ لهم من فِطَر سليمة، وعقول مستنيرة، وقدرة علىٰ النظر والتعلم، والقياس، والتركيب والتجريب، وفوق كل ذلك هداهم إلىٰ اللغة التي يَكتبون بها أفكارهم ويتبادلونها، ولولا ذلك ما استطاعوا أن يصوغوا قانونًا، ولا أن يصلوا إلىٰ شيء من تلك المخترعات والمبتكرات.

ومما يَدخل في هذا الضرب من النعمة- وهو كذلك- مما يمكن أن يستفاد من محاكاة الكائنات الحية: هداية النَّحْل؛ كيف أنها تهتدي في سبلها، ولا تضل الطريق إلىٰ بيوتها، قال تعالىٰ: ﴿فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾ [النحل: ٦٩]، يعني: مُذلَّلة لكِ، فلا يَتوعر عليها مكان سَلكتْه. ويحتمل أن تكون الذُّلل من صفة النَّحْل؛ لأنها تنقاد وتذهب حيث شاء صاحبها(١).

وجدير بالذكر: أن للنَّحْل طرقًا حَيرت العلماء، ولا تَزال تحيرهم، كيف تهتدي للعودة إلىٰ خلاياها بعد أن تبتعد عنها في أثناء جمعها للغذاء مسافات قد تصل لأكثر من خمسة أميال، وهي مسافة كبيرة جدًّا مقارنة بحجمها الصغير!

(١) انظر: «جامع البيان»، لابن جرير الطبري (١٤/ ٢٨٨)، و«النكت والعيون»، للماوردي (٣/ ١٩٩).

ويعزو بعض الباحثين ذلك إلىٰ قدرة النَّحْل علىٰ الاستفادة من حركة الضوء والشمس، ثم تَصنع حركات مخصوصة تدل بعضها بعضًا علىٰ أماكن الغذاء ومسالك العودة.

وبعضهم يعزوه لقدرة أدمغتها الفائقة علىٰ رسم خرائط لمساراتها ومواقع خلاياها، أو لكيماويات مُعيَّنة تفرزها فتدلها علىٰ الطرق التي سلكتها قبل، أو لقدرات جينية خاصة، أو غير ذلك مما تشير إليه الأبحاث الحديثة.

الأمر الذي حدا ببعض الباحثين إلىٰ قوله: «إنني منبهر بحقيقة أن هذه الحشرات ذات أدمغة بحجم حبة الأرز، ولديها عدد أقل من الخلايا العصبية بقدر مئة ألف مرة من دماغ الإنسان، ورغم ذلك تُسجِّل بدقة طرقها الملتوية، البالغة عدة كيلومترات في الغالب، ومِن ثَم لا تواجه مشكلة في الطيران المباشر إلىٰ بيتها مرة أخرىٰ، وهي مهمة لا يمكننا– نحن البشر– إتقانها إلا بمساعدة أجهزة (GPS) علىٰ الرغم من أدمغتنا الضخمة»[1].

فكان في مسالك النَّحْل وسُبلها التي تفردت السورة الكريمة بالنص عليها نعمتان:

الأولىٰ– ما يستفيده البشر من محاكاة النَّحْل في كيفية اهتدائها في سبلها المسلوكة. وقد سبق الإشارة إلىٰ نظيره في الكلام عن المحاكاة الحيوية.

الثانية– أن اهتداء النَّحْل وغيرها من الكائنات في سُبلها فيه أمان للبشر. وسيأتي بيانه في ثنايا البحث إن شاء الله.

(1) How bees find their way home. Available at this link: https://www.lunduniversity.lu.se/article/how-bees-find-their-way-home. Last visit: 4 /11 /2020.

المطلب الرابع

الهداية بالكائنات إلى السُّبل غير الظاهرة

لعل في قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٧٩] إشارة إلىٰ نعمة الانتقال الجوي التي قَرَّبَتْ للبشر البعيد، وجعلت العالم الفسيح قرية واحدة.

ونَظَرُ البشر إلىٰ الطير المُسخَّر في جو السماء عاد عليهم بفوائد عظيمة، مَهَّدَتْ لهم سبيل الطيران، ثم طَوَّرَتْه إلىٰ ما نراه اليوم من تقدم هائل، وما زالت تَعِد بالكثير، فمن هذه الفوائد:

الفائدة الأولىٰ: أنها وَجَّهَتْ فِكر البشر نحو الطيران. وأغلب الظن أن البشر ما كانوا ليفكروا في الطيران لولا أنهم رأوا الطير في جو السماء غادية رائحة، وُحْدانًا وأسرابًا، صافاتٍ وقابضات، تطير بيُسر، وتحط بسلام. فكان من المنطقي أن يتطلع البشر إليها متأملين أن يطيروا مثلها.

الفائدة الثانية: ومع تفكر البشر في طيران الطير تنبهوا إلىٰ صلاحية القوانين الطبيعية التي أودعها الله تعالىٰ في جو الأرض، لأن تحتمل طيران البشر إذا استطاعوا أن يكتشفوا تلك القوانين، ثم يطوعوها بما يناسبهم، أو يطوعوا أنفسهم لما يناسبها.

وانظر إلىٰ دقيق نظر الإمام الرازي إذ يقول تعليقًا علىٰ الآية: «هذا دليل آخَر علىٰ كمال قدرة الله تعالىٰ وحكمته، فإنه لولا أنه تعالىٰ خَلَق الطير خلقة معها يمكنه الطيران، وخَلَق الجو خلقة معها يمكن الطيران فيه؛ لما أمكن ذلك»[١].

---

(١) «التفسير الكبير»، للفخر الرازي (٢٠/ ٢٥٢).

وإن القوانين والسُّنن الطبيعية التي فَطَر الله ﷻ عليها الكون، إذ صلحت لطيران الطير، فهي مُعبَّدة لطيران الآلات التي يصنعها البشر، ولو اختَلف بعض تلك القوانين لربَّما تَعسَّر عليهم الطيران أو استحال.

الفائدة الثالثة: ولم تقف قصة البشر مع الطير عند هذا الحد، بل استلهموا طريقة الطيران من طريقة طيران الطير، ووضعوا علمًا مستقلًّا في محاكاة الكائنات الحية، يُسمَّىٰ (علم المحاكاة الحيوية) وموضوعه التأمل في كيفية خَلْق الله تعالىٰ للكائنات، واستلهام ذلك في تصميم الآلات والأدوات التي تساعدهم في مآربهم(١). وهو عِلم قديمٌ قِدَم استلهام ابن آدم طريقة الدفن من الغراب، غير أنه حديث بإرساء مناهجه وقواعده، وتواتر اجتناء فوائده.

(١) عِلم المحاكاة الحيوية يَشمل العديد من المفاهيم التي تَعني نمطًا مُعيَّنًا من أنماط محاكاة نُظُم الكائنات الحية واستلهامها، مثل Bionics، Biomimetic، Biomimicry، Bio-inspiration، فمنها ما يَنصَبّ علىٰ استلهام الهياكل والتصميمات الهندسية. ومنها ما يَنصَبّ علىٰ استلهام النُّظم الحيوية الداخلية والتفاعلات الكيميائية. علىٰ تفاصيل يَعرفها المتخصصون، وليس هذا مجال سردها.

انظر للاستزادة:

Biomimetics: forecasting the future of science, engineering, and medicine. International Journal of Nanomedicine 2015:10 5701–5713.

An overview of biomimetic robots with animal behaviors. Neurocomputing 332 (2019) 339–350.

وفيما يتعلق بمحاكاة الطيور خاصة، واستلهام كيفية طيرانها في تطوير أنظمة الطيران، انظر:

Biomimetic Flight and Flow Control: Learning from the Birds. J.F. Morrison et al. (eds.), IUTAM Symposium on Flow Control and MEMS, 443–447© 2008 Springer. Printed in the Netherlands.

Bird-mimetic Wing System of Flapping-wing Micro Air Vehicle with Autonomous Flight Control Capability. Journal of Bionic Engineering 13 (2016) 458–467.

وعليه، فالنظر ظاهر فيما ذهب إليه الإمام ابن عاشور من أن هذه الآية لم تُعطَف علىٰ التي قبلها، فقال ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ﴾ [النحل: ٧٩]، ولم يقل ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ﴾ لأنها ليس في مضمونها نعمة علىٰ البشر، ولكنها آية علىٰ قدرة الله تعالىٰ وعلمه، بخلاف نظيرتها في سورة (المُلْك): ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَـٰٓفَّـٰتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾ [الملك: ١٩]، فإنها جاءت في سياق آيات كلها مسوقة للدلالة علىٰ قدرة الله ﷻ. ولذلك المعنىٰ عُقبت هذه وحدها بجملة: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٧٩](١).

ومَدخل النظر فيما ذهب إليه: أن الآية الكريمة فيها للـمُتدبِّر ما أشير إليه من النِّعم وغيرها مما يَعلمه البشر(٢)، ومما سيعلمونه في مستقبلهم، ولا يَعلمه إلا الله ﷻ،

(١) انظر: «التحرير والتنوير»، لابن عاشور (١٤/ ٢٣٤).

(٢) **من ذلك**: تعليم الإنسان بعض الطيور وتدريبها لاستخدامها في الصيد وفي نقل الرسائل.

ومنه: ما تضفيه من منظر بهيج علىٰ لوحة السماء، بألوانها وأشكالها البديعة وأصواتها العذبة.

ومنه: التغذي بلحمها وبيضها. ومنه استخدامها للزينة، واستخدام ريشها قديمًا للكتابة، وقديمًا وحديثًا حشوًا للوسائد والسُّرُر، وزينة في بعض الملابس.

ومنه: استخدام زَغَبها حديثًا عازلًا حراريًّا، علاوة علىٰ دورها في حفظ التوازن البيئي؛ لمكانها المميز في السلسلة الغذائية، الناتج أساسًا عن تنوعها وإشرافها من جو السماء علىٰ البيئات المتنوعة للكائنات الأخرىٰ، فهي تَغْشَىٰ ما لا يغشاه كثير من الكائنات غيرها.

ومنه: دَوْرها في نقل حبوب اللقاح بين أزهار كثير من النباتات.

فهذه بعض النِّعم المُرتَّبة - في الجملة - علىٰ تسخير الطير في جو السماء.

ومما يناسب أن نَلفت الفكر إليه في هذا المقام: اهتداء الطيور في سبلها خلال مواسم الهجرة، بحيث تصل إلىٰ أماكن معينة في أوقات معينة من السَّنة. واهتداء حَمام الزاجل في طرقها في أثناء حملها للرسائل، وتعتمد الطيور المهاجرة- وحَمام الزاجل خصوصًا- علىٰ آليات لتحديد المواقع والمسارات، كَشَف العلم - وما زال- عن تعقيدها البالغ. وقد كانت بدَورها مُلهِمًا للبشر في ابتكار كثير من التِّقنيات الحديثة.

فهي امتنان بالمعلوم، وتحضيض علىٰ كشف المخبوء، ولا يَنفي هذا ما ذَكَره الإمام ابن عاشور من أن فيها الإشارة إلىٰ القدرة الإلهية.

ولعل مجيء هذه الآية عقب قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨] تذكير ببعض ما يعود علىٰ الإنسان من منافع جليلة باستخدامه هذه الحواس استخدامًا صحيحًا، وهذا يكون من المؤمن والكافر إن تعاطىٰ المرء أسبابه؛ ولذا قُرئ قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ﴾ [النحل: ٧٩] بالغَيْبة وبالخطاب[(١)].

ولكن موقع النعمة واضح جليّ للمؤمنين بأن فاطر السموات والأرض، وخالق الجو ومُسخِّر الطير ومُمسِكها فيه، ومُنظِّم القوانين ومجريها علىٰ سَنَن واحد- هو الله الواحد القهار، جل ذكره وتبارك اسمه؛ ولذا كان ختام الآية هو: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [النحل: ٧٩]. والله تعالىٰ أعلم. وهذا - لمن يتأمله - أعظم داعٍ للإيمان بالله تعالىٰ؛ كما سيأتي بيانه في المطلب التالي.

◆ ◆ ◆

(١) قرأ ابن عامر ويعقوب وحمزة وخَلَف بالخطاب، والباقون بالغَيْبة. انظر: «النَّشْر في القراءات العَشْر» (٥/ ١٧٧٤).

المطلب الخامس
انتظام القوانين الكونية، وتسخيرها لمنافع البشر

(الإنسان يكتشف القوانين ولا يخترعها) تلك حقيقة قادت كثيرًا من الـملحدين إلىٰ الإيمان بالله تعالىٰ.

وإن متبع الدليل حيث قاده الدليل لَيتساءل: من أين جاءت قوانين الطبيعة؟

يقول (أنتوني فلُو) في رحلته من الإلحاد إلىٰ الإيمان: «أؤمن بأن قوانين الكون المتشابكة المعقدة صعبة التحليل- تعكس ما أسماه العلماء عقل الإله»[(١)].

ولم يَكتفِ (فلو) بهذا، بل كَتَب فصلًا ضافيًا في حجّه الفكري بعنوان (مَن كَتَب قوانين الطبيعة؟) وكان مما قال فيه: «المسألة التي حيرت، ولا تَزال تُحيِّر غالبية العلماء المفكرين: كيف ظهرت قوانين الطبيعة؟!»[(٢)].

ويَنقل (فلُو) عن (بول ديفيز): «إن العلوم الطبيعية لا يمكن أن تَمضي قُدُمًا إلا إذا تَبنَّىٰ العَالِم الطبيعي رؤية دينية أساسية عن كل الوجود. لا أحد يَسأل: من أين أتت قوانين الفيزياء؟ وحتىٰ أكثر العلماء إلحادًا يَقبل كنوع من الإيمان المتأصل بوجود نظام قانوني في الطبيعة، والتي هي مفهومة لنا في جزء منها ... رَكَّز (ديفيز) علىٰ توضيح أن قوانين الفيزياء موجودة فعلًا، وأن دور العلماء هو اكتشافها لا اختراعها»[(٣)].

(١) «هناك إله»، لأنتوني فلو (ص ٩٦).

(٢) السابق (ص ٩٩).

(٣) السابق (ص ١١٠، ١١١).

كانت هذه التساؤلات الفاصلة هي العامل الأساس في الحجّ الفكري لنبي الإلحاد في عصره (أنتوني فلو) فقاده ذلك إلىٰ الإقرار القاطع بأن هناك إلهًا.

وتسخير القوانين نفسه نعمة عظيمة، تَفتح للمتدبر باب التعبد باسم الله الفاطر، فهو الذي فَطَر المخلوقات جميعًا علىٰ نواميس لا تَنتقض، وسُنن لا تتخلف، ولو لم يكن ذلك كذلك ما استطاع الإنسان أن يكتشف قانونًا مُطَّردًا، يُعبِّد به طريقًا في البَر أو البحر أو الجو، ولا أن يَخترع آلة تَسير علىٰ نظام مُحكَم. فالقوانين الحاكمة لسير السفن في الماء، وللطيران في الجو وفي الفضاء المحيط بكوكب الأرض، وبسير المركبات علىٰ الطرق- كلها قوانين تَحكي فطرة الله التي فَطَر الكون عليها.

ولعل انقياد تلك المخلوقات بهذه القوانين هو نوع من السجود المذكور بقوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ۝٤٨ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۝٤٩ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ۩﴾ [النحل: ٤٨- ٥٠].

وقد أشارت آيات السورة الكريمة، وغيرها من الآيات التي تناولت موضوع الطريق- إلىٰ هذه النعمة العظيمة بعبارات الخلق والجَعْل والتسخير، مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ﴾ [النحل: ٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ﴾ [النحل: ١٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾ [النحل: ٧٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ ۝١٢ لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٢-١٤]، فالآية تَذكر صراحة أنه لولا تسخير الله تعالىٰ هذه الطرق وتلك المراكب للبشر، ما كانوا ليستطيعوا تسخيرها، وما كانوا ليطيقوا ذلك.

وقوله تعالىٰ: (مقرنين) يعني مُطيقين وضابطين. تقول: قد أَقْرَنْتُ لهذا: أي

أطقتُه. وفلانٌ مُقْرِن لفلان: أي ضابط له[1]. وقيل: إن اشتقاق اللفظة من قولهم: (أنا قِرْن لفلان) إذا كنتَ مِثله في الشدة. فإذا أردتَ السِّن قلت: (قَرْنه) بفتح القاف[2].

وحاصل المعنىٰ: أن الإنسان ما كان ليَقدر علىٰ استئناس هذه الحيوانات، وهي تَفُوقه قوة، لولا أن سَخَّرها الله ﷻ له.

وانظر بقلب المُعتبِر إلىٰ الحمار الوحشي الذي هو من أقرب الحيوانات شبهًا بالحمار الأهلي، ورغم ذلك لا يستطيع البشر تسخيره للحَمْل والركوب كالحمار الأهلي؛ لأن الله تعالىٰ لم يَفْطُره علىٰ الانقياد كالحمار الأهلي، فلم يُطِق البشر تسخيره حتىٰ الآن، ولن يطيقوا ذلك مستقبلًا، إلا أن يشاء الله ويأذن لهم فيه بما يفتحه عليهم من العلوم والمكتشفات.

وهذا الحيوان المستأنس قد يَنْفِر أو يثور أو يَحْرُن؛ فلا يطيقه البشر، وإن اجتمع له ثُلَّة من أقويائهم.

ونَقَل ابن قُتيبة عن المدائني أن يزيد بن نهشل النهشلي ركب بعيرًا، فقال: اللهم إنك قلتَ: ﴿وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف: ١٣]، وإني لبعيري هذا لـمُقْرِن. فنفَر به فطرحه، وبقيت رِجله في الغرز، فجَعَل يَضرب برأسه كل حَجَر ومَدَر حتىٰ مات[3].

◆ ◆ ◆

(١) انظر: «معاني القرآن»، للفرَّاء (٣/ ٢٨)، و«مجاز القرآن»، لأبي عُبيدة (٢/ ٢٠٢)، و«جامع البيان»، للطبري (٢٠/ ٥٥٩).

(٢) انظر: «تفسير غريب القرآن»، لابن قُتيبة (ص ٣٩٥).

(٣) «عيون الأخبار»، لابن قُتيبة (٢/ ٧١).

المطلب السادس
تذليل السُّبل للكائنات والمخلوقات الأخرى
بما يَنفع البشر

لا تقتصر نعمة تذليل السُّبل علىٰ البشر وحدهم، بل للكائنات سُبلها المسلوكة في حياتها ونشاطها، وكثير منها يُسْدِي للبشر نعمة جليلة في أثناء نشاطه هذا، وتَنقُّله بين النباتات لجمع الغذاء، إذ يَحمل حبوب اللقاح من نبات لآخَر، فتُثمر النباتات وتُنتج المحاصيل.

ومن تلك الكائنات الطيور والحشرات. وقد أشار البحث إلىٰ نعمة هداية الطيور سُبلها، وما يترتب عليه من منافع جمة للإنسان، في المطلب الرابع.

ويأتي النَّحْل في طليعة الحشرات النافعة للإنسان، وبه سُمِّيَتِ السورة الكريمة. والنَّحْل من أهم الكائنات قيامًا بنقل حبوب اللقاح بين النباتات، وتشير الأبحاث العلمية إلىٰ أنه دُون النَّحْل ستتضرر إنتاجية (٨٠٪) من المحاصيل الغذائية حول العالم، وهو ما دَفَع كثيرًا من المتخصصين إلىٰ القول بأنه إن فُرِض انقراض النَّحْل فسينقرض البشر بعده بوقت قليل؛ تأكيدًا علىٰ أهمية تلك الكائنات النافعة للبشر(١).

ولعل هذا بعض ما تُنتجه الفكرة التي حثنا الله ﷻ عليها بقوله: ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ

(١) انظر علىٰ سبيل المثال:
Toward the protection of bees and pollination under global change: present and future perspectives in a challenging applied science. Current Opinion in Insect Science 2019, 35:123–131.

إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٨، ٦٩]، فيضاف هذا إلىٰ النِّعم الظاهرة التي يسوقها الله ﷻ للبشر عن طريق النَّحْل؛ كالعسل وغيره من المنتجات. فسبحان الذي أعطىٰ كل شيء خَلْقه ثم هدىٰ.

◆ ◆ ◆

المطلب السابع
جَعْل الطريق الحسي دلالة على الطريق المعنوي

من بديع النَّظم القرآني أنه يَعبُر بالمتدبر إلىٰ المعنوي عن طريق الحسي(١).

فمثلًا: يُذكِّر الحاجَّ المُتشوِّف لإعداد زاد السفر إلىٰ التزود بالتقوىٰ: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [البقرة: ١٩٧]، ويُرشد عند ذكره لنعمة اللباس والريش وما في أطوائهما من الحفظ والسَّتر والزينة- إلىٰ أن التقوىٰ خير ما يَتوقىٰ به الإنسان ويتجمل: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦]. وهذا في القرآن كثير حقيق ببحثٍ مفرد.

ولـمَّا ذَكَر الله ﷻ في سورة (النَّحْل) نعمة تيسير السبيل، والحيوانات التي يركبونها، ويَبلغون عليها حاجة في صدورهم، وتَحمل أثقالهم إلىٰ البلاد والأماكن البعيدة والأسفار الشاقة؛ عَطَف عليها التذكير بالسُّبل التي يسلكها الناس إليه، فبَيَّن أن الحق منها ما هي مُوصلة إليه، فقال تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [النحل: ٩]، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣](٢).

لأن سبيل الهدىٰ تَحْصُل به السعادة الأبدية. فـ(السبيل): مجاز لما يأتيه الناس من الأعمال من حيث هي موصلة إلىٰ دار الثواب أو دار العقاب. و(القصد): استقامة الطريق، وَقَع هنا وصفًا للسبيل مِن قَبيل الوصف بالمصدر؛ لأنه يقال:

---

(١) انظر: «تفسير القرآن العظيم»، لابن كَثير (٤/ ٥٦٠).

(٢) انظر: السابق.

(طريق قاصد)، أي: مستقيم، و(طريقٌ قَصْد)، وذلك أقوىٰ في الوصف بالاستقامة، كشأن الوصف بالمصادر(١).

ولـمَّا كانوا في أسفارهم يقصدون أسهل الطرق وأقومها وأوصلها إلىٰ الغرض، ومَن عدل عن ذلك كان عندهم ضالًّا سخيف العقل غير مستحق للعدّ في عداد النبلاء؛ نَبَّههم علىٰ أن ما تَقَدَّم في هذه السورة قد بَيَّن الطريق الأقوم الموصل إليه ﷻ، وأخبرهم أنه أوجب هذا البيان علىٰ نفسه فضلًا منه، فقال تعالىٰ: (وعلىٰ)، أي: قد بَيَّن لكم الطريق القاصد، وعلىٰ (الله) الذي له الإحاطة بكل شيء (قَصْد السبيل) أي: بيان الطريق العدل، وعلىٰ الله بيان الطريق الجائر حتىٰ لا يُشَك في شيء منهما، فإن الطريق المعنوية كالحسية، منها مستقيم، مَن سَلَكه اهتدىٰ، (ومنها جائر) مَن سلكه ضل عن الوصول فهلك(٢).

ومنه يَعلم المؤمن أن الهداية إلىٰ الإيمان والحق بيد الله تعالىٰ، وأن سُبُل الاعتقاد منها جائر، كما أن السُّبُل الحسية منها جائر، وأنَّ تَحَرِّي القصد والهداية إلىٰ سبيل الحق وسؤال الله والتضرع إليه بالهداية- مَظِنة الاهتداء، كما كانت دراسة الطرق والخبرة بمسالكها وسؤال الخبراء العالمين بها- مَظِنة الاهتداء فيها.

وإلىٰ نحو هذا المعنىٰ ألمح النبي ﷺ في وصيته لعليٍّ ؓ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**قل: اللهم اهدني وسَدِّدني، واذكر بالهدىٰ هدايتك الطريق، والسداد سداد السهم**»(٣). فأَمَره ﷺ أن يَسأل الله تعالىٰ الهداية والسداد، وأن يكون في ذكره حاضرًا بباله أن المطلوب هداية كهداية مَن رَكِب متن الطريق وأَخَذ في المنهج

(١) انظر: «التحرير والتنوير»، لابن عاشور (١٤/ ١١٢).

(٢) انظر: «نَظْم الدُّرَر في تناسب الآيات والسُّوَر»، للبقاعي (١١/ ١١١، ١١٢).

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» (ح ٢٧٢٥).

المستقيم، وسَدادٌ يشبه سداد السهم نحو الغرض. والمعنىٰ أن يكون في سؤاله طالبًا غاية الهدىٰ ونهاية السداد(١).

ويمكن أن يلمح المُتدبِّر لسورة (النَّحْل) وجوهًا من الشَّبَه بين الطريق الحسي وطريق الهداية، تجعله يَقطع بأن السورة الكريمة أوضحت سبيل الهداية أوضح بيان وأجمعه، فكما جَعَل الله تعالىٰ علامات علىٰ الطرق الحسية، جَعَل علىٰ طريق الخير أَدِلّاء وهم الأنبياء- صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- فقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦]، وأَخَذه بعضهم من قول الله تعالىٰ: ﴿وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ۞١٥ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [النحل: ١٥، ١٦].

قال ابن بَرّجَان: «هذا وإن كان ظاهره تَعداد النعم وإظهار القدرة، فإن معناه أيضًا الدلالة علىٰ معرفة النبوة؛ إذ الجبال والسبل والأنهار والنجوم أمثال للأنبياء والرسل والأولياء والعلماء الذين هم ورثة الأنبياء»(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]، فالمهتدي مَن هداه الله. والذي كَتَب الله عليه الضلالة فليس له من هادٍ، ولو كان أحرص الناس عليه وأقربهم إليه مودة، قال تعالىٰ: ﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ﴾ [النحل: ٣٧].

---

(١) «الكاشف عن حقائق السُّنن»، للطيبي (٦/ ١٩٢٥).

(٢) «تنبيه الأفهام إلىٰ تدبر الكتاب الحكيم»، لابن بَرَّجَان (٣/ ٢٩٨)، وانظر «التحرير والتنوير»، لابن عاشور (١٤/ ١٢٢).

وكما أن قُطاع السبيل يَصُدون عن الطريق الحسي، ويَعيثون فسادًا في أموال السالكين وأعراضهم، فهناك مَن يَصُد عن سبيل الله إرصادًا وإفسادًا: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابًا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفۡسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨]، فعذابهم فوق العذاب؛ لأن عليهم وزرهم وأوزار مَن أضلوهم بغير علم. كما أن قاطع الطريق الحسي يُعَرِّض الناس لأن يَضلوا بسلوكهم طرقًا أخرىٰ يَتوقَّونه بها، فلا يكتفي بإضاعة نفسه ولكنه يُعَرِّض الآخَرين للضياع.

وكما أن أَقْصَر الطرق بين موضعين الخط المستقيم، فلا بد أن تكون السبيل الموصلة إلىٰ الله ﷻ صراطًا مستقيمًا، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠ شَاكِرًا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ ١٢١ وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةًۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٢٢ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠- ١٢٣]، فقد سَبَقك إمام في الطريق فوصل، فإذا اتبعتَ خطاه، وتَقصَّدتَ أنت ومَن تبعكَ طريقته المستقيمة الواضحة، وصلتم لا محالة.

وكما أن مِن إسعاد السائرين في الطريق الحسي تنويع سُبل الإرشادات وبَذْلها لهم، فمَن ضَلَّ بعد ذلك فلا عذر له؛ فكذا يجب أن تتنوع طرائق الإرشاد إلىٰ سبيل الله تعالىٰ: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

ومما يَلتحق بهذا الوجه في غير هذه السورة: أن الله تعالىٰ جَعَل القُفول والعودة في الطريق تذكرة بالرجوع إلىٰ الله، وإليه ألمح قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ ١٢ لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٤].

قال الزمخشري: «**فإن قلتَ**: كيف اتصل بذلك قوله: ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٤]؟

قلت: كم مِن راكب دابة عَثَرَتْ به، أو شَمَسَتْ أو تقحمت، أو طاح مِن ظهرها فهلك! وكم مِن راكبين في سفينة انكسرت بهم فغرقوا.

فلما كان الركوبُ مباشرةَ أَمْرٍ مُخْطِرٍ(١)**، واتصالًا بسبب من أسباب التلف،** كان مِن حق الراكب، وقد اتصل بسبب من أسباب التلف- أن لا ينسىٰ عند اتصاله به يومَه، وأنه هالك لا محالة، فمُنقلِب إلىٰ الله غير منفلت من قضائه، ولا يَدَع ذكر ذلك بقلبه ولسانه؛ حتىٰ يكون مستعدًّا للقاء الله ﷻ بإصلاحه من نفسه، والحذر من أن يكون ركوبه ذلك من أسباب موته في علم الله وهو غافل عنه، ويستعيذ بالله من مقام مَن يقول لقرنائه: (تعالوا نتنزه علىٰ الخيل أو في بعض الزوارق) فيركبون حاملين مع أنفسهم أواني الخمر والمعازف، فلا يَزالون يسقون حتىٰ تميل طُلَاهم(٢)، وهم علىٰ ظهور الدواب أو في بطون السفن وهي تجري بهم، لا يَذكرون إلا الشيطان، ولا يمتثلون إلا أوامره.

وقد بلغني أن بعض السلاطين ركب وهو يَشرب من بلد إلىٰ بلد بينهما مسيرة شهر، فلم يَصْحُ إلا بعدما اطمأنت به الدار، فلم يشعر بمسيره ولا أحس به. فكم بين فعل أولئك الراكبين، وبين ما أَمَره الله به في هذه الآية. وقيل: يَذكرون عند الركوب ركوب الجنازة»(٣).

وقال ابن عاشور: «وخُتِمَ هذا الشكر والثناء بالاعتراف بأن مرجعنا إلىٰ الله ﷻ،

---

(١) مباشرة أمرٍ مُخطِرٍ: أي تعرضًا للهلاك.

(٢) الطُّلىٰ: الأعناق.

(٣) «الكشاف»، للزمخشري (٥/ ٤٢٩، ٤٣٠).

أي: بعد الموت بالبعث للحساب والجزاء. وهذا إدماج لتلقينهم الإقرار بالبعث. وفيه تعريض بسؤال إرجاع المسافر إلىٰ أهله، فإن الذي يَقدر علىٰ إرجاع الأموات إلىٰ الحياة بعد الموت- يُرجَىٰ لإرجاع المسافر سالـمًا إلىٰ أهله.... وفيه إشارة إلىٰ أن حق المؤمن أن يكون في أحواله كلها ملاحظًا للحقائق العالية، ناظرًا لتقلبات الحياة نظر الحكماء الذين يستدلون ببسائط الأمور علىٰ عظيمها»(١).

---

(١) «التحرير والتنوير»، لابن عاشور (٢٥/ ١٧٥).

المطلب الثامن

تأميل البشر بما يُيسِّر لهم الطرق والمسالك في مستقبلهم

فَتَحَتِ السورة الكريمة آفاق الأمل للبشر، أن يأخذوا بأسباب العلم ليكتشفوا أسرار الكون الذي سَخَّره الله لهم، فأشارت إلىٰ ما يستحدثه البشر من المسالك، وسُبُل سَلْكها- بقوله تعالىٰ: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨].

فما حَدَث بعد ذلك من المراكب مُنبَّأ به في هذه الآية، وهذا من وجوه إعجاز القرآن الكريم، إخباره بالمُغيَّبات فتقع علىٰ ما أَخْبَرَ[(١)].

وذِكر الآية في مَعْرِض الامتنان بالمركوبات يدل علىٰ أن منه ما هو من المركوبات، وقد شوهد ذلك في إنعام الله ﷻ علىٰ عباده بمركوبات لم تكن معلومة وقت نزول الآية، كالسيارات، والقطارات، والطائرات[(٢)].

وقد فسرها جمهور المتقدمين بأن المقصود بها ما يخلقه الله ﷻ مما لا يَعلمون من الخلق، أو ما يخلقه الله ﷻ في الجنة مما أعده لأهلها[(٣)].

واعتَرض ابن عاشور بأن ما يخلقه الله من المخلوقات في الجنة خاص بالمؤمنين، فالظاهر أنه غير مقصود من سياق الامتنان العامّ للناس، المسوق لإقامة الحجة علىٰ كافري النعمة. ثم استَظهر أن الآية من معجزات القرآن الغيبية، وأنها إيماء إلىٰ أن الله سيُلهِم البشر اختراع مراكب هي أجدىٰ عليهم من الخيل والبغال

(١) انظر: «التحرير والتنوير»، لابن عاشور (١/ ١٢٩، ١٣٠).

(٢) انظر: «أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن»، للشنقيطي (٢/ ٣٣٥).

(٣) انظر: «جامع البيان»، لابن جرير (١٤/ ١٧٦)، و«النكت والعيون»، للماوردي (٣/ ١٨١)، و«التفسير البسيط»، للواحدي (١٣/ ٢١، ٢٢).

والحمير، كالعجلات والسيارات والطائرات. فكل هذه مخلوقات نشأت في عصور متتابعة لم يكن يعلمها مَن كانوا قبل عصر وجود كل منها(١).

وإنما لم يَذكرها الله بأعيانها؛ لأنه لا يَذكر في كتابه إلا ما يَعرفه العباد أو يَعرفون نظيره. وأما ما ليس له نظير في زمانهم، فإنه لو ذكره لم يَعرفوه ولم يفهموا المراد منه، فيَذكر أصلًا جامعًا يَدخل فيه ما يَعلمون وما لا يَعلمون. كما ذَكَر نعيم الجنة وسَمَّىٰ منه ما نَعلم ونشاهد نظيره؛ كالنخل والأعناب والرمان. وأَجْمَل ما لا نَعرف له نظيرًا في قوله: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوۡجَانِ﴾ [الرحمن: ٥٢]، فكذلك هنا ذَكَر ما نعرفه من المراكب كالخيل والبغال والحمير والإبل والسفن، وأجمل الباقي في قوله: ﴿وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٨](٢).

والفعل (يَخلق) يفيد التجدد والاستمرار، فهو يَصلح للدلالة علىٰ الحال، أي: هو الآن يَخلق ما لا تعلمون أيها الناس، مما هو مخلوق لنفعهم وهم لا يَشعرون به، فكما خَلَق لهم الأنعام والخيل والبغال والحمير، خَلَق لهم ويَخلق لهم خلائق أخرىٰ لا يعلمونها الآن، فيَدخل في ذلك ما هو غير معهود أو غير معلوم للمخاطبين، وهو معلوم عند أمم أخرىٰ؛ كالفيل عند الحبشة والهنود، وما هو غير معلوم لأحد ثم يَعلمه الناس من بعد، مثل دواب الجهات القطبية(٣).

كما يَصلح الفعل للدلالة علىٰ الاستقبال، فيَدخل في عمومه كل ما يخلقه الله ﷻ، وما يُوفِّق البشر إلىٰ ابتكاره في زمن لاحق، فهو سبحانه الخالق له علىٰ التحقيق.

(١) انظر: «التحرير والتنوير»، لابن عاشور (١٤/ ١١١).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن»، للسعدي (ص ٤٣٦).

(٣) انظر: «التحرير والتنوير»، لابن عاشور (١٤/ ١١٠، ١١١).

وفي هذه الآية الكريمة جملة نِعَم عامة، منها:

- بَسْط الأمل فيما وراء ما يصل إليه الإنسان في أي مرحلة من تاريخ البشرية؛ إذ يبقىٰ ما تَعِد به الآية فوق كل غاية يصلون إليها، وبعد كل نهاية.
- إذكاء فضول البشر، وهو باعثهم علىٰ الاستكشاف، وتَقَفِّي أسرار الكون، فيَفتح لهم باب البحث والتجربة والابتكار. وإذا كانت الحاجة أم الاختراع، فالفضول أبوه.
- كَبْح كِبْر البشر، فمهما ظَنَّ أهل الأرض أنهم قادرون عليها، فالمؤمنون بأن الله القاهر فوق عباده يَعلمون أنهم مُقيَّدون في تسخيرها بإذنه، وأنهم مُستخلَفون فيها ليَنظر كيف يَعملون، وأنهم مُستخلَفون فيها إلىٰ حين، وأن إلىٰ ربهم الرُّجْعَىٰ.

ومن الآمال المستقبلية المتعلقة بنعمة الطريق: مزيد تيسير تعبيد الطرق البرية بما مُكِّنوا من مخترعات تشق صخور الجبال، وتَمخُر بحار الرمال، ومزيد تيسير تعبيد الطرق البحرية بشق القنوات، وتيسير السير في البَر والبحر والجو، بأنواع المركبات المستحدثة السريعة المُوطَّأة، وتطوير وسائل الأمان بها، وتطوير سبل الاهتداء، وتعيين المواقع والاتجاهات، واكتشاف آفاق جديدة في المحاكاة الحيوية، واستغلالها في تطوير وسائل الانتقال، وتذليل مصادر الطاقة المستحدثة، والتوسع في طَرْق الفضاء... وغير ذلك مما يَزيد المؤمن إيمانًا بقدرة الخالق الحكيم، وبصرًا بنعمة المنعم الرحيم، وقيامًا بحق تعظيمه وشكره، وطمعًا في مزيد فضله ومَنِّه وإنعامه.

وعلىٰ الجانب الآخر، فقد جَرَتْ سُنة الله ﷻ بأن تَواتُر هذه النِّعم والفتوحات لا يَزيد الكافرين إلا بَطَرًا وكِبرًا، وتوهمًا أنهم قادرون علىٰ كل شيء، وأنهم إنما

أوتوه علىٰ علم عندهم؛ ﴿بَلۡ هِيَ فِتۡنَةٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدۡ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الزمر: ٤٩- ٥٢].

والحمد لله رب العالمين.

الخاتمة

بعد هذا التَّطواف في رحاب نعمة الطريق ووجوهها ومعالمها، وبيان كيف تجلت من خلال الوحي الشريف، وتألقت في سورة (النَّحْل) يَطيب أن أختم الموضوع بخاتمة فيها أهمّ النتائج والتوصيات.

أولًا- أهم نتائج البحث:

١- تُعَد سورة (النَّحْل) من أكثر السور تَعدادًا للنِّعم، أصولها وفروعها. ويمكن استشفاف مَقصِد تعديد النِّعم والتذكير بها في السورة الكريمة من خلال عدة مظاهر:

أ- معنىٰ الاسم المشهور للسورة، وسبب التسمية به.

ب-الأسماء الأخرىٰ للسورة الكريمة: النِّعم والنعيم والآلاء والامتنان، وكلها قائمة علىٰ ملاحظة الإنعام.

ج- كثرة دوران لفظ (نِعم) في السورة، فقد تكررت مادة (نعم) ومشتقاتها في السورة الكريمة ثلاث عَشْرة مرة، وهي أكثر سورة وردت بها.

د- إشارة السورة الكريمة لأصول النِّعم، وربما استوفت شرح فروع بعضها بما لم يَرِد في سورة أخرىٰ.

هـ- بعض فرائد النَّظم القرآني لسورة (النَّحْل) المتناسبة مع كونها سورة النِّعم.

٢-حق الطريق تعبير عن طائفة من الآداب والسلوكيات الشرعية التي أُمِرَ بها مستخدمو الطريق، وكفىٰ بفرض هذه الحقوق نعمة لمن يتأملها، بقيامها تُحفَظ

الحقوق، وتصان الدماء والأموال والأعراض والأوقات، وتَنتظم حركة البشر في سعيهم لقضاء مصالحهم.

٣- وقد أثمر التأمل في نعمة الطريق في القرآن الكريم من خلال سورة (النَّحْل) بيان بعض جوانب تلك النعمة ومعالمها، فمِن ذلك:

أ- نعمة تذليل الأرض، وتمهيدها وبَسْطها.

ب- تسخير طرق البَر والبحر والجو، وتنويع وسائل السير فيها.

ج- نَصْب معالم وعلامات للاهتداء في الطرق المتنوعة.

د- الهداية بالكائنات إلىٰ السُّبل غير الظاهرة.

هـ- انتظام القوانين الكونية، وتسخيرها لمنافع البشر.

و- تذليل السُّبل للكائنات والمخلوقات الأخرىٰ بما يَنفع البشر.

ز- جَعْل الطريق الحسي دلالة علىٰ الطريق المعنوي.

ح- تأميل البشر بما يُيسِّر لهم الطرق والمسالك في مستقبلهم.

ثانيًا- أهم التوصيات:

١- تَبَنِّي العلماء والباحثين والدعاة تثوير وجوه النِّعم وتَدبُّرها في القرآن الكريم، وتقريبها لعموم المسلمين؛ فهو مفتاح النهوض بحقوقها، وباعثُها وناقلها من العادة إلىٰ العبادة، والحامل علىٰ تحري الإتقان والإحسان فيها، وتَرْك التضجر والتململ بالمواظبة عليها، بل يأتيها في كل وقتٍ طَيِّبَ النفس، منشرح الصدر، مُؤمِّل الأجر. وكثيرة هي النِّعم الحقيقة بذلك في القرآن الكريم عامة، وفي سورة (النَّحْل) خاصة؛ كنعمة الوحي، ونعمة تسخير الحيوانات، ونعمة الحواس... وغير ذلك.

٢- مَسَّ البحث بعض الموضوعات الأخرىٰ، التي يَرىٰ الباحث أنها حقيقة بدراسات مستقلة مُعمَّقة، ويرشحها لإخوانه الباحثين، من هذه الموضوعات:

أ- دلالة الفرائد اللفظية علىٰ مقاصد السور القرآنية، وكذا دلائل المواد اللُّغوية الأكثر دورانًا بها.

ب- توجيه فرائد المتشابه اللفظي في ضوء مقاصد السورة.

ج- منهج القرآن الكريم في العبور من المعاني الحسية إلىٰ المعاني المعنوية.

وآخِر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مجلة تدبر

فهرس المصادر والمراجع

أولًا- المراجع العربية:

١- «أحكام القرآن» ابن العربي، أبو بكر، محمد بن عبد الله الـمُعافري (ت ٥٤٣هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٢٤هـ= ٢٠٠٣م).

٢- «أساس البلاغة» الزمخشري، أبو القاسم، محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الطبعة الأولىٰ، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤١٩هـ= ١٩٩٨م).

٣- «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجَكَني (ت ١٣٩٣هـ)، د. ط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م.

٤- «الإحسان في تقريب صحيح ابن حِبان» الأمير علاء الدين علي بن بَلْبان الفارسي (ت٧٣٩هـ)، تحقيق: الشيخ شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولىٰ، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م).

٥- «الأدب المفرد» البخاري، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، الطبعة الأولىٰ، مكتبة المعارف، الرياض، (١٤١٩هـ= ١٩٩٨م).

٦- «البحر المحيط في التفسير» أبو حَيَّان، محمد بن يوسف بن علي الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، د. ط، دار الفكر، بيروت، (١٤٢٠هـ).

٧- «البرهان في علوم القرآن» الزركشي، بدر الدين، محمد بن عبد الله (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي وآخرَيْن، الطبعة الأولىٰ، دار المعرفة، بيروت، (١٤١٠هـ= ١٩٩٠م).

٨- «البرهان في متشابه القرآن» الكِرماني، محمود بن حمزة بن نصر (ت نحو ٥٠٥هـ)، تحقيق: أحمد عز الدين عبد الله خلف الله، الطبعة الثانية، دار الوفاء، المنصورة، مصر، (١٤١٨هـ= ١٩٩٨م).

٩- «التبيان في إعراب القرآن» العُكْبَري، أبو البقاء، عبد الله بن الحسين (ت ٦١٦هـ)، تحقيق: سعد كريم الفقي، الطبعة الأولىٰ، دار اليقين، المنصورة، مصر، (١٤١٢هـ= ٢٠٠١م).

١٠- «التحرير والتنوير» ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، طبعة الدار التونسية للنشر، تونس، (١٩٨٤م).

١١- «التفسير البسيط»، الواحدي، أبو الحسن، علي بن أحمد بن محمد النيسابوري (ت ٤٦٨هـ)، أصل تحقيقه في خمس عَشْرة رسالة دكتوراه، بجامعة الإمام محمد بن سعود، أشرفت علىٰ نشره عِمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولىٰ، (١٤٣٠هـ).

١٢- «التفسير الحديث» دروزة، محمد عزت (ت ١٩٨٤م)، د. ط، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (١٣٨٣هـ).

١٣- «التفسير الكبير = مفاتيح الغيب» فخر الدين الرازي، أبو عبد الله، محمد بن عمر (ت ٦٠٦هـ)، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (١٤٢٠هـ).

١٤- «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» ابن عبد البر، أبو عمر، يوسف بن عبد الله بن محمد، القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفىٰ بن أحمد العلوي ومحمد بن عبد الكبير البكري، د. ط، وزارة عموم الأوقاف والشئون الإسلامية، المملكة المغربية، (١٣٨٧هـ).

١٥- «التوقيف علىٰ مهمات التعاريف» المُنَاوي، زين الدين عبد الرءوف المُنَاوي (ت ١٠٣١هـ)، الطبعة الأولىٰ، عالم الكتب، القاهرة، (١٤١٠هـ = ١٩٩٠م).

١٦- «الجواب الصحيح لمن بَدَّل دين المسيح» ابن تيمية، أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: علي بن حسن وآخرَيْن، الطبعة الثانية، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، (١٤١٩ هـ= ١٩٩٩م).

١٧- «الدر المصون في علوم الكتاب المكنون» السمين الحلبي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدايم (ت ٧٥٦هـ)، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، الطبعة الأولىٰ، دار القلم، دمشق، (١٤١٤هـ = ١٩٩٤م).

١٨- «السراج المنير في الإعانة علىٰ معرفة بعض كلام ربنا الحكيم الخبير» الخطيب الشربيني، شمس الدين؛ محمد بن أحمد الشافعي (ت ٩٧٧هـ)، د. ط، مطبعة بولاق الأميرية، القاهرة، (١٢٨٥هـ).

١٩- «الفروق اللغوية» العسكري، أبو هلال، الحسن بن عبد الله بن سهل (ت نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، د. ط، دار العلم والثقافة، القاهرة، (١٩٩٨م).

٢٠- «الكاشف عن حقائق السُّنن» الطِّيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله (ت ٧٤٣هـ)، د. عبد الحميد هنداوي، الطبعة الأولىٰ، مكتبة نِزار الباز، مكة المكرمة، (١٤١٧هـ = ١٩٩٧م).

٢١- «الكتاب» سِيبَوَيْهِ، أبو بِشر، عمرو بن عثمان (ت ١٨٠هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي، القاهرة، (١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م).

٢٢- «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل =تفسير الزمخشري» الزمخشري، أبو القاسم، محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، الطبعة الأولىٰ، مكتبة العُبيكان، (١٤١٨هـ = ١٩٩٨م).

٢٣- «المُحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» ابن عطية، أبو محمد، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولىٰ، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٢٢هـ).

٢٤- «المُذكَّر والمُؤنَّث» ابن الأنباري، أبو بكر، محمد بن القاسم بن محمد (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عُضيمة، د. ط، طبعة المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف، مصر، (١٤٠١هـ= ١٩٨١م).

٢٥- «المسند» ابن حنبل، الإمام أبو عبد الله، أحمد بن محمد (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخَرِين، الطبعة الأولىٰ، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٤٢١هـ= ٢٠٠١م).

٢٦- «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم» عبد الباقي، محمد فؤاد، د. ط، مطبعة دار الكتب المصرية، (١٣٦٤هـ).

٢٧- «المفردات في غريب القرآن» الراغب الأصفهاني، أبو القاسم، الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الطبعة الأولىٰ، دار القلم- الدار الشامية، دمشق - بيروت، (١٤١٢هـ).

٢٨- «الموسوعة الفقهية الكويتية» صادرة عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت، الطبعة الثانية، دار السلاسل، الكويت، من (١٤٠٤هـ) إلىٰ (١٤٢٧هـ).

٢٩- «النَّشْر في القراءات العَشْر» أبو الخير، محمد بن محمد بن محمد (ت ٨٣٣هـ)، تحقيق: د. السالم محمد الشنقيطي، الطبعة الأولىٰ، مَجْمَع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، (١٤٣٥هـ).

٣٠- «النكت والعيون= تفسير الماوردي» الماوردي، أبو الحسن، علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري (ت ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد عبد المقصود عبد الرحيم، د. ط، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

٣١- «النهاية في غريب الحديث والأثر» ابن الأثير، مجد الدين، أبو السعادات المبارك بن محمد الجَزَري (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، د. ط، المكتبة العلمية، بيروت، (١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م).

٣٢- «الهداية إلىٰ بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه، وجُمَل من فنون علومه» أبو محمد، مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ)، تحقيق: مجموعة باحثين بجامعة الشارقة، بإشراف أ.د. الشاهد البوشيخي، الطبعة الأولىٰ، مجموعة بحوث الكتاب والسُّنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، الإمارات، (١٤٢٩هـ= ٢٠٠٨م).

٣٣- «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» البيضاوي، ناصر الدين، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الطبعة الأولىٰ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (١٤١٨هـ).

٣٤- «تأويلات أهل السُّنة» أبو منصور، محمد بن محمد بن محمود المَاتُريدي (ت ٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، الطبعة الأولىٰ، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٢٦هـ= ٢٠٠٥م).

٣٥- «تفسير ابن أبي حاتم» عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، الطبعة الثالثة، الرياض، مكتبة نِزار مصطفىٰ الباز، الرياض، (١٤١٩هـ).

٣٦- «تفسير السمعاني» أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (ت ٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الطبعة الأولىٰ، دار الوطن، المملكة العربية السعودية، (١٤١٨هـ= ١٩٩٧م).

٣٧- «تفسير الشعراوي» الشعراوي، محمد متولي (ت ١٤١٨هـ)، د. ط، مطابع أخبار اليوم، مصر، د.ت.

٣٨- «تفسير القرآن العظيم= تفسير ابن كثير» ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، الطبعة الثانية، دار طيبة، الرياض، (١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م).

٣٩- «تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن» القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت٦٧١هـ)، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولىٰ، مؤسسة الرسالة، (١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م).

٤٠- «تفسير المهايمي = تبصير الرحمن وتيسير المنان» المهايمي، علي بن أحمد بن إبراهيم (ت ٨٣٥هـ)، د. ط، مطبعة بولاق، مصر، (١٢٩٥هـ).

٤١- «تفسير غريب القرآن» ابن قُتيبة، أبو محمد، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، الطبعة الأولىٰ، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٣٩٨هـ= ١٩٧٨م).

٤٢- «تنبيه الأفهام إلىٰ تدبر الكتاب الحكيم، وتَعرُّف الآيات والنبأ العظيم» ابن بَرَّجَان، عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد اللَّخْمي الإشبيلي (ت ٥٣٦هـ)، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، الطبعة الأولىٰ، دار الكتب العلمية، بيروت، (٢٠١٣م).

٤٣- «تهذيب اللغة» الأزهري، أبو منصور، محمد بن أحمد الهَرَوي (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، الطبعة الأولىٰ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (٢٠٠١م).

٤٤- «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» السعدي، عبد الرحمن بن ناصر

(ت ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الطبعة الأولىٰ، مؤسسة الرسالة، (١٤٢٠هـ= ٢٠٠٠م).

٤٥- «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولىٰ، دار هَجَر، القاهرة، (١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م).

٤٦- «جَمَال القُراء وكمال الإقراء» السخاوي، عَلَم الدين، علي بن محمد بن عبد الصمد (ت ٦٤٣هـ)، تحقيق: عبد الحق عبد الدايم سيف القاضي، الطبعة الأولىٰ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، (١٤١٩هـ= ١٩٩٩م).

٤٧- «جمهرة اللغة» ابن دُرَيْد، أبو بكر، محمد بن الحسن الأزدي (ت ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، الطبعة الأولىٰ، دار العلم للملايين، بيروت، (١٩٨٧هـ).

٤٨- «حاشية الشهاب علىٰ تفسير البيضاوي» شهاب الدين، أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي (ت ١٠٦٩هـ)، الطبعة الخديوية (١٢٨٣هـ)، تصوير دار صادر، بيروت.

٤٩- «دُرة التنزيل وغُرة التأويل» الخطيب الإسكافي، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله (ت ٤٢٠هـ)، الطبعة الأولىٰ، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤١٦هـ= ١٩٩٥م).

٥٠- «دَفْع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب» الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجَكَني (ت ١٣٩٣هـ)، الطبعة الأولىٰ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، (١٤١٧هـ= ١٩٩٦م).

٥١- «رُوح البيان» الإستانبولي، أبو الفداء، إسماعيل حقي بن مصطفىٰ الإستانبولي (ت ١١٢٧هـ)، دار الفكر، بيروت.

٥٢- «زاد المَسِير في علم التفسير» ابن الجوزي، أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولىٰ، دار الكتاب العربي، بيروت، (١٤٢٢هـ).

٥٣- «سُنن ابن ماجه» ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، الطبعة الأولىٰ، دار الرسالة العالمية، (١٤٣٠هـ= ٢٠٠٩م).

٥٤- «سُنن أبي داود» أبو داود، سليمان بن الأشعث، السجستاني الأزدي (ت٢٧٥هـ)، تحقيق:

محمد محيي الدين عبد الحميد، د. ط، المكتبة العصرية ببيروت، د.ت.

٥٥- «صحيح البخاري» البخاري، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ)، الطبعة الأولىٰ، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، (١٤٢٣هـ= ٢٠٠٢م).

٥٦- «صحيح مسلم» الإمام مسلم بن الحَجاج النَّيسابوري (ت ٢٦١هـ)، الطبعة الأولىٰ، طبعة محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، (١٤١٢=١٩٩١).

٥٧- «عيون الأخبار» ابن قُتيبة، أبو محمد، عبد الله بن مسلم الدِّينَوَريّ (ت ٢٧٦هـ)، اعتناء: د. يوسف الطويل، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٢٤هـ= ٢٠٠٣م).

٥٨- «كتاب العين» [مرتبًا علىٰ حروف المعجم] الفراهيدي، أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد البصري (ت ١٧٠هـ)، تحقيق وترتيب: د. عبد الحميد هنداوي، الطبعة الأولىٰ، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٢٤هـ= ٢٠٠٣م).

٥٩- «كشف المعاني في المتشابه من المثاني» ابن جماعة، بدر الدين، محمد بن إبراهيم بن سعد الله (ت ٧٣٣هـ)، تحقيق: د. عبد الجواد خلف، الطبعة الأولىٰ، دار الوفاء، المنصورة، مصر، (١٤١٠هـ= ١٩٩٠م).

٦٠- «كلمة الإخلاص وتحقيق معناها» [مطبوع ضمن مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي] أبو الفرج، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب (ت ٧٩٥هـ)، تحقيق: ناصر النجار، دون طبعة، مكتبة أولاد الشيخ، مصر، (٢٠٠٥م).

٦١- «مباحث التفسير» الرازي، أبو العباس، أحمد بن محمد بن المُظَفَّر (ت ٦٣١هـ)، تحقيق: حاتم بن عابد القرشي، الطبعة الأولىٰ، دار كنوز إشبيليا، الرياض، (١٤٣٠هـ= ٢٠٠٩م).

٦٢- «مجاز القرآن» أبو عُبيدة، مَعْمَر بن المُثَنَّىٰ، التَّيْمي البصري (ت ٢٠٩هـ)، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، (١٣٨١هـ).

٦٣- «مجموع الفتاوىٰ» ابن تيمية، أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مَجْمَع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، (١٤١٦هـ= ١٩٩٥م).

٦٤- «مشكل إعراب القرآن» أبو محمد، مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ)، تحقيق:

د. حاتم الضامن، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٤٠٥هـ).

٦٥- «معاني القرآن وإعرابه»، الزَّجّاج، أبو إسحاق، إبراهيم بن السَّرِيّ بن سهل (ت ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، الطبعة الأولىٰ، عالم الكتب، بيروت، (١٤٠٨هـ= ١٩٨٨م).

٦٦- «معاني القرآن» الفَرَّاء، أبو زكريا، يحيىٰ بن زياد (ت ٢٠٧هـ)، الطبعة الثالثة، عالم الكتب، بيروت، (١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م).

٦٧- «معجم مقاييس اللغة» أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، د. ط، دار الفكر، (١٣٩٩هـ= ١٩٧٩م).

٦٨- «مفتاح دار السعادة، ومنشور ولاية العلم والإرادة» ابن القيم، أبو عبد الرحمن، محمد بن بكر بن أيوب (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، الطبعة الأولىٰ، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، (١٤٣٢هـ).

٦٩- «ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل» الغَرْنَاطي، أبو جعفر، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي (ت ٧٠٨هـ)، تحقيق: سعيد الفلاح، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (١٤٢٨هـ= ٢٠٠٧م).

٧٠- «نَظْم الدُّرَر في تناسب الآيات والسُّوَر» البَقَاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط (ت ٨٨٥هـ)، د. ت، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (١٤٠٤هـ= ١٩٨٤م).

٧١- «هناك إله» أنتوني فلو، ترجمة: جنات جمال، الطبعة الأولىٰ، مركز براهين للأبحاث والدراسات، (٢٠١٧م).

ثانيًا- المراجع الأجنبية:

1. Axel Decourtye, Cédric Alaux, Yves Le Conte, Mickaël Henry, Toward the protection of bees and pollination under global change: present and future perspectives in a challenging applied science, Current Opinion in Insect Science, 2019, 35:123–131. https://doi.org/10.1016/j.cois.2019.07.008.

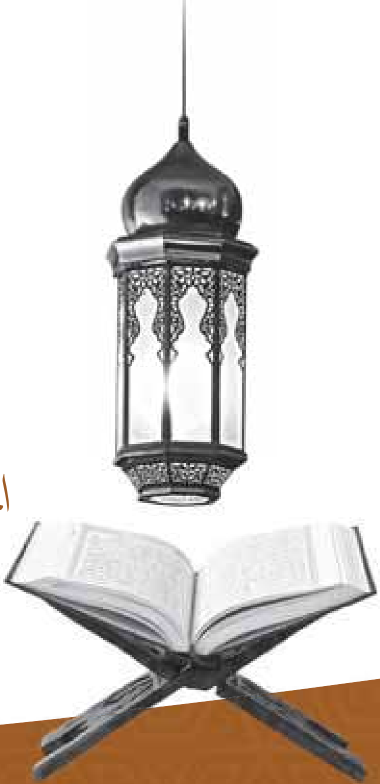
2. Hwang J, Jeong Y, Park JM, Lee KH, Hong JW, Choi J. Biomimetics: forecasting the future of science, engineering, and medicine. Int J Nanomedi-

cine. 2015;10(1):5701-5713. https://doi.org/10.2147/IJN.S83642

3. Ranjan Vepa. Biomimetic Flight and Flow Control: Learning from the Birds. J.F. Morrison et al. (eds.), IUTAM Symposium on Flow Control and MEMS, 443–447. © 2008 Springer. Printed in the Netherlands.
4. Stanley Heinze. How bees find their way home. Available at this link: https://www.lunduniversity.lu.se/article/how-bees-find-their-way-home. Last visit: 4/11/2020.
5. Widhiarini et al.: Bird-mimetic Wing System of Flapping-wing Micro Air Vehicle with Autonomous Flight Control Capability. Journal of Bionic Engineering 13 (2016) 458–467.
6. Zihang Gao, Qing Shi, Toshio Fukuda, Chang Li, Qiang Huang. An overview of biomimetic robots with animal behaviors. Neurocomputing 332 (2019) 339–350. https://doi.org/10.1016/j.neucom.2018.12.071.

فهرس الموضوعات

مجلة تدبر



الجوانب البلاغية في سورة الفاتحة

دراسة تحليلية

د. محمد وسيم خان

الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية
كلية الآداب والفنون بجامعة حائل
المملكة العربية السعودية

قدم للنشر في: ١٤٤١/١٠/٢٥
قبل للنشر في: ١٤٤١/١١/٢٦
نشر في: ١٤٤٢/٧/١

- حصل على درجة الماجستير من كلية اللغة العربية، بالجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، بأطروحته: مواهب الأديب في شرح مغني اللبيب للأزنيقي (ت: ١٠١٨هـ) - دراسة وتحقيق.
- حصل على درجة الدكتوراه من كلية اللغة العربية، بالجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، بأطروحته: كتاب المغازي في صحيح البخاري - دراسة بلاغية تحليلية.
- **بعض النتاج العلمي:**
  - البلاغة العربية في الدِّراسات الأردية.
  - الدِّلالة الصوتية والصرفية في حديث أم زرع في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ومناهجها - دراسة تطبيقية.
  - دلالات الألفاظ والتراكيب في سورة الفاتحة - دراسة بيانية تحليلية.
- **البريد الإليكتروني:** waseemalmohammadi@gmail.com

مُلخَّص البحث

يتلخص هذا البحث في النقاط التالية:

- اشتمل هذا البحث علىٰ مقدمة أشاد فيها الباحث بأهمية الموضوع، وبَيَّن أسباب اختياره، وتَحدَّث عن الدراسات السابقة في هذا الموضوع، وهدف البحث، وخطته، والمنهج المتبع فيه، وخَتَمه بكلمة الشكر.
- ثم قَسَّم الباحث بحثه إلىٰ ثمانية مباحث؛ لدراسة الجوانب البلاغية في سورة الفاتحة، دراسة تحليلية.
- وقد رَكَّز الباحث علىٰ شرح وتحليل الجوانب البلاغية في سورة الفاتحة، والتي تتلخص في تنوع القراءات، والالتفات، والجَمْع، والحذف، والتقديم والتأخير، والقَصْر، والتَّكرار، والاستعارة. وذلك في ضوء أقوال المفسرين والمعربين، وكلام أهل البلاغة والبيان، وغيرهم من المعنيين باللغة العربية.

وقد مضىٰ الباحث ملتزمًا في دراسته المنهج الوصفي التحليلي، محاولًا من خلاله الوصول إلىٰ الهدف الذي يسعىٰ إلىٰ تحقيقه، وهو دراسة الجوانب البلاغية في سورة الفاتحة دراسة تحليلية، والكشف عن جمالياتها، والإبانة عن دورها في تأدية المعنىٰ المقصود.

- انتهىٰ الباحث من خلال البحث والدراسة للموضوع إلىٰ نتائج رصدها في خاتمة البحث.

- في نهاية البحث ذَيَّل الباحث بحثه بفهرسين مهمين: فهرس قائمة المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات؛ ليَسهل الاستفادة منه.

كلمات مفتاحية: بلاغة، دلالات، قراءات، تقديم، استعارة.

The Rhetorical Aspects in the Surah Al Fatiha (An Analytical Study)

Prepared by:
Dr. Mohammad Waseem Khan[1]
Associate Professor in the Arabic Language Department,
the College of Arts, Hail University
Kingdom of Saudi Arabia
E-mail: waseemalmohammadi@gmail.com

Abstract

This research can be summarized into the following points:

- The research includes an introduction in which he stresses the importance of the topic and accounts for choosing it, referring to relevant literature, the objectives, plan and approach of the research and concluding it with a special word of thanks.
- The researcher divides his research into eight sections to do an analytical study on the rhetorical aspects in the Surah Al Fatiha.
- The researcher focuses on explaining and analyzing the rhetorical aspects in the Surah Al Fatiha, which can be summarized as follows: the diverse readings, reference shifting (Iltifât), pluraliza-

(1) He obtained a Master›s Degree from the College of Arabic Language at the Islamic University in Madinah, with his thesis entitled: The Talents of the Literature in Explaining Mughni Al-Labeeb of Al-Azniki (Died: 1018 AH) – (Study and Investigation). He obtained a PhD degree from the College of Arabic Language at the Islamic University in Madinah, with his thesis entitled: "The Maghazi (Military Expeditions) Book in Sahih Al-Bukhari (An Analytical Rhetorical Study). E-mail: waseemalmohammadi@gmail.com

tion , apocopation, anastrophe, al qasr (restriction) repetition, and metaphor. This is informed by the statements of the Muslim exegetes, Arabists, rhetoric scholars, and others concerned with the Arabic language.

The researcher uses the descriptive analytical approach, through which he tries to reach the goal that he seeks to achieve, that is to say to conduct an analytical study on the rhetorical aspects in the Surah Al Fatiha and demonstrate its figurative features and their role in conveying the intended meaning.

- The researcher reaches certain findings which he mentions at the conclusion of the paper.
- At the end of the paper, the researcher attachés to it two important indexes: a list of sources and references, and an index of subjects, so that they will be easy to learn.

Keywords: Rhetoric, Denotations, Readings, Anastrophe, Metaphor

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقدِّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ رسوله الكريم، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، ومَن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

أما بعد، فهذه دراسة تحليلية للجوانب البلاغية في سورة الفاتحة، تحاول كشف بعض ما فيها من أسرار البيان، وجمال الأسلوب، وبلاغة التعبير، مستعينة بالله ثم بالنظر في كتب علماء التفسير واللغة، ومَن عُنوا ببيان جماليات التعبير القرآني.

وقد تناولتُ فيه الجوانب البلاغية التي برزت في أساليب سورة الفاتحة، فحاولتُ الكشف عن دورها في الإبانة عن المقصود، وأثرها في تحقيق المراد من الكلام الرباني. وقد قمتُ فيه بالتحليل والشرح والبيان، والكشف عما في هذه السورة العظيمة من بلاغة وبيان.

وسورة الفاتحة هي فاتحة الكتاب «وأُم القرآن، والشفاء التام، والدواء النافع، والرقية التامة، ومفتاح الغنىٰ والفلاح، وحافظة القوة، ودافعة الهم والغم، والخوف والحزن لمَن عَرَف مقدارها، وأعطاها حقها، وأَحْسَن تنزيلها علىٰ دائه، وعَرَف وجه الاستشفاء والتداوي بها، والسر الذي لأجله كانت كذلك.

ومَن ساعده التوفيق، وأُعِينَ بنور البصيرة حتىٰ وقف علىٰ أسرار هذه السورة، وما اشتملت عليه من التوحيد، ومعرفة الذات والصفات والأفعال، وإثبات الشرع والقَدَر والمعاد، وتجريد الربوبية والألوهية، والتوكل والتفويض إلىٰ مَن له الأمر

كله، وله الحمد كله، وبيده الخير كله، وإليه يُرْجَع الأمر كله... أغنته عن كثير من الأدوية والرُّقىٰ»[1].

وقد رجعتُ في دراسة هذه الجوانب إلىٰ كتب التفسير والإعراب، والمعاجم والبلاغة، والمؤلفات الأخرىٰ التي عُنِيَتْ بدراسة هذه السورة دراسة بيانية، تَكشف عن جمالياتها.

وحاولتُ أن أقوم بدراسة الجوانب البلاغية في السبع المثاني دراسة بلاغية تحليلية، كاشفًا عما فيها من جمال الأسلوب وروعة البيان، ووقفتُ لديها حَسَب ما ساعدني فهمي في ضوء أقوال العلماء من المفسرين واللُّغويين. وهو في الحقيقة جهد متواضع شاركتُ به في خدمة هذا الكتاب العظيم، وأسأل الله القَبول.

أهمية الموضوع: يكفي لأهمية هذا الموضوع أنه متعلق بالقرآن، بل بأُم القرآن، يَكشف عن بعض ما اشتملت عليه هذه السورة العظيمة من المعاني الجليلة والمطالب العالية، ويُنقِّب عن بعض ما احتوت عليه من ألوان البلاغة والبيان.

وتتلخص أهميته في النقاط التالية:

١- أن الموضوع متصل بالقرآن الكريم اتصالًا مباشرًا، يَبحث فيه، ويَكشف عن بعض جمالياته.

٢- أنه متعلق بسورة عظيمة من سور القرآن، وهي سورة الفاتحة، التي هي فاتحة الكتاب وأُم القرآن.

٣- أنه يَبحث في جانب يتصل بإعجاز القرآن الكريم.

٤- هذه دراسة تحليلية للجوانب البلاغية في السَّبْع المثاني، والدراسات

---

(١) «زاد المعاد»، لابن القيم (٤/ ٣٤٧).

التحليلية لسور القرآن توضحها للقارئ أحسن توضيح، وتُقرِّبه إلىٰ ما فيه من المعاني والبيان المعجز أحسن تقريب، كما تنمي الذوق وتربيه أحسن تربية.

أسباب اختيار الموضوع:

هذه الأسباب السابقة الكاشفة عن أهمية هذا الموضوع، ورغبتي في دراسة آيات القرآن دراسة تحليلية تنمي الذوق، وتساعدني علىٰ الوقوف عند دقائق القرآن اللُّغوية، وجماليات القرآن البيانية- دفعتني إلىٰ اختيار هذا الموضوع للدرس والبحث.

أهم الدراسات السابقة:

توجد دراسات عديدة حول سورة الفاتحة، لها صلة بالموضوع، ومن أهمها:

١- «أضواء علىٰ الإعجاز البلاغي في سورة الفاتحة»، للدكتور صالح بن محمد آل أبو بكر الزَّهراني: لقد سَلَّط الدكتور الصالح في هذا البحث النفيس الأضواء علىٰ الإعجاز البلاغي في سورة الفاتحة في مبحثين:

فأما المبحث الأول: (من الدلائل البلاغية العامة لإعجاز السورة) فقد تناول فيه دلائل الإعجاز للسورة، كدلالة التسمية بأُم القرآن، ودلالة التسمية بسورة الكنز، ودلالة التسمية بسورة الشفاء والشافية...، وغيرها.

وأما المبحث الثاني: (من بلاغة الكلمات والتراكيب في السورة) فقد تناول فيه السورة علىٰ طريقة التفسير البياني، حيث أَخَذ آية آية، وقام بشرح وبيان ما فيها من بلاغة وإعجاز. ورَكَّز هنا كثيرًا علىٰ دلالات الألفاظ والتراكيب وبلاغة الأسلوب، حتىٰ انتهىٰ من السورة.

وجملة ما تناول الباحث في هذا البحث من المظاهر البلاغية البارزة- غير

الدلائل العامة علىٰ إعجاز السورة، ودلالات الألفاظ والتراكيب-: حُسن الافتتاح، والإيجاز، والالتفات، والقَصْر، والجَمْع، والتجانس، والاستعارة، والفواصل المؤثرة، والتأكيد، والإطناب.

ويتشابه بحثي مع هذا البحث في أربعة مظاهر بلاغية، تناولها الدكتور في المبحث الثاني من بحثه، وهي: (الالتفات، والقَصْر، والجَمْع، والاستعارة).

والناظر في هذه المظاهر الأربعة في البحثين- يجد أن بحثي يختلف عن بحثه من ناحية الشرح والتحليل اختلافًا واضحًا، كما يختلف عنه في منهج الدراسة.

عِلمًا بأن هذه المظاهر الأربعة تناولها الدكتور في صفحتين، بل أشار إلىٰ بعضها في سطرين فقط. بينما تناولتُها في بحثي في عَشْر صفحات في مباحث مستقلة.

٢- «البلاغة في سورة الفاتحة، دراسة تحليلية بلاغية»، للباحث محمد سبحان يحيىٰ: هذا البحث أَعَدَّه الباحث محمد سبحان يحيىٰ لاستكمال الشروط المقررة للحصول علىٰ درجة علمية (درجة سَرجانا). وهو بَحْث مختصر، يقع في خمسين صفحة علىٰ طريقة التفسير البياني.

وجميع ما تناوله الباحث -بعد ذكر عناصر البلاغة وأقسامها وعلومها- من مسائل بلاغية في عرض البيانات وتحليلها، كالإنشاء والخبر، والتقييد، والفصل والوصل- غير داخل في بحثي.

٣- «تفسير سورة الفاتحة، تفسيرها- فضائلها- مقاصدها- موضوعاتها- فوائدها- بلاغة آياتها- مسائلها الفقهية»، إعداد القسم العلمي بمؤسسة الدُّرَر السَّنية: هذا التفسير الموجز يتناول سورة الفاتحة من نواحٍ عدة كما هو ظاهر من اسمه، ومنها بلاغة آياتها التي تناولها في سبع صفحات فقط بإيجاز شديد.

وقد تناول فيها: حُسْن الافتتاح، واسمية الجملة، والتخصيص بالإضافة، والتقديم والتأخير، والالتفات، والتَّكرار، والجَمْع، وفِعل الأمر، والتعدية، والتصريح بعد الإبهام، والتوكيد، وتَناسُب الفواصل.

ويتشابه بحثي مع هذا البحث في أربعة مظاهر بلاغية: (التقديم والتأخير، والالتفات، والتَّكرار، والجَمْع).

إلا أن الناظر في هذه المسائل البلاغية التي تتشابه في الدراستين في الظاهر- يجد أنهما تختلفان في منهج الدراسة، وأسلوب التناول، والمضمون والمغزىٰ؛ إذ هذه الدراسة تتناولها باختصار شديد في نقاط محددة في أقل من ثلاث صفحات، ودراستي تتناولها في ثلاث عَشْرة صفحة. كما أن هذه الدراسة تتناول هذه المسائل في جوانب تختلف عن بحثي في أغلبها أسلوبًا ومضمونًا، وشرحًا وتحليلًا وتفصيلًا.

٤- «دلالات الألفاظ والتراكيب في سورة الفاتحة، دراسة بيانية تحليلية»، للدكتور محمد وسيم خان: وقد اقتَصر فيها الدكتور علىٰ دلالات الألفاظ والتراكيب، وبلاغة الأسلوب، وما في السورة من بيان وبلاغة وإعجاز في هذا الجانب فقط، دون الجوانب البيانية والمظاهر البلاغية الأخرىٰ.

٥- «مظاهر البلاغة في سورة الفاتحة من خلال كتاب «نَظْم الدُّرَر في تناسب الآيات والسُّوَر» لبرهان الدين البَقَاعي»، للباحثة هاجر الفتوح: وهو بحث موجز أشبه بمقال، يقع أصله في ست صفحات فقط. وقد تَناولتْ فيه الباحثة بعض المظاهر البلاغية في سورة الفاتحة من خلال كتاب «نَظْم الدُّرَر» للبَقَاعي علىٰ طريق التفسير البياني، فذَكرتْ أولًا دلالات التسمية للسورة في صفحتين، ثم تَناولتْ أوجه الإعجاز البلاغي في السورة في أربع صفحات، معتمدة علىٰ البَقَاعي في «نَظْم الدُّرَر».

وهو يختلف عن بحثي في أسلوبه ومضمونه اختلافًا كبيرًا، ولا يتشابهان إلا فيما سردتُ من خلال الشرح والتفسير البياني سردًا، عن تقديم (إياك) وتكراره، وتقديم العبادة علىٰ الاستعانة، ونُون الجَمْع في (نعبد) و(نستعين)، والاستعارة في (الصراط) باختصار شديد، لا يتجاوز كله عَشَرة أسطر. هذا مع الاختلاف في أسلوب التناول والمضمون ذاته.

٦- «من غريب بلاغة القرآن الكريم في سورتي الفاتحة والبقرة»، للدكتور عادل أحمد صابر الرُّويني: هذا الكتاب عبارة عن أسئلة وأجوبة تتعلق بسورتي الفاتحة والبقرة، وهي بلاغية وغير بلاغية. وهذا يعني أن العنوان لم يكن دقيقا من قبل المؤلف. ثم البلاغية منها تَنْصَبّ علىٰ جانب الدلالة والبيان كما هو شأن التفاسير البيانية، وما جاء فيها من مسائل بلاغية معروفة، فضِمن الأسئلة والأجوبة عَرَضًا.

أما بحثي، فهو دراسة منهجية لجوانب بلاغية بارزة في سورة الفاتحة، فهما مختلفان في الأسلوب والمضمون والمنهج اختلافًا كبيرًا.

هدف البحث:

يهدف هذا البحث إلىٰ دراسة الجوانب البلاغية في سورة الفاتحة دراسة تحليلية، والكشف عن جمالياتها، والإبانة عن دورها في تأدية المعنىٰ المقصود.

خطة البحث:

اشتملت خطة البحث علىٰ مقدمة، وثمانية مباحث، وخاتمة، وفهرس.

المقدمة: وفيها بيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهم الدراسات السابقة، وهدف البحث، وخطة البحث، ومنهجه، وكلمة الشكر.

المبحث الأول: بلاغة القراءات.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول- القراءات الواردة في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ودلالاتها البلاغية.

المطلب الثاني- القراءات الواردة في قوله تعالىٰ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، ودلالاتها البلاغية.

المبحث الثاني: بلاغة الالتفات.

المبحث الثالث: بلاغة الجَمْع.

المبحث الرابع: بلاغة الحذف.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول- حَذْف العامل في قوله تعالىٰ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

المطلب الثاني- الحذف في قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

المبحث الخامس: بلاغة التقديم والتأخير.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول- تقديم ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ علىٰ ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾.

المطلب الثاني- تأخير ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ عن ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

المطلب الثالث- تقديم ﴿إِيَّاكَ﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾:

المطلب الرابع- تقديم (العبادة) علىٰ (الاستعانة) في قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

المطلب الخامس- تقديم ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ علىٰ ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.

المبحث السادس: بلاغة القَصْر.

المبحث السابع: بلاغة التَّكرار.

المبحث الثامن: بلاغة الاستعارة.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي تَوصَّل إليها الباحث من خلال البحث والدراسة.

الفهرس: ويشمل قائمة المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

منهج البحث: اتبعتُ في دراسة هذا الموضوع المنهج الوصفي التحليلي، وذلك بإبراز الجوانب البلاغية في سورة الفاتحة، والكشف عنها بعد التأمل فيها، مع شرحها وتوضيحها، وبيان ما لها من أثر واضح في أداء المقصود الرباني، وذلك بالرجوع إلىٰ المصادر والمراجع المتعلقة بالموضوع من كتب التفاسير واللغة، والبلاغة والبيان.

والتزمتُ في أثناء تطبيقه بمراعاة ضوابط البحث العلمي، كما يلي:

١- خَرَّجْتُ الآيات القرآنية بذكر السورة والآية.

٢- خَرَّجْتُ القراءات القرآنية من مصادرها.

٣- خَرَّجْتُ الأحاديث النبوية من مصادرها، مع بيان الصحة والضعف.

٤- وَثَّقْتُ المسائل اللُّغوية والبيانية والبلاغية من مصادرها.

٥-اعتمدتُ في الشرح والتحليل علىٰ مصادر التفسير واللغة والبلاغة، ومراجعها.

٦- ضَبَطْتُ ما يحتاج إلىٰ ضبط.

٧- راعيتُ القواعد الإملائية الحديثة في كتابة البحث.

٨- وَضَعْتُ علامات الترقيم في مكانها المناسب.

كلمة الشكر: أشكر الله ﷻ أولًا وآخرًا علىٰ ما وفقني للقيام بهذا العمل المبارك، المتعلق بكتابه العزيز.

كما أقدم جزيل الشكر ووافر الامتنان لكل مَن له يد بيضاء كريمة في إخراج هذا العمل في هذه الصورة، فجزاهم الله أيضًا خير ما يجازي به عباده الصالحين.

وفي الختام، أدعو الله أن يرزقنا الفَهْم والبصيرة، ويهدينا إلىٰ الصراط المستقيم، ويَجعل القرآن ربيع قلوبنا، ويثبتنا علىٰ تلاوته، والتأمل فيه، ويلهمنا رشدنا، ويوفقنا لما يحبه ويرضاه.

كما أدعو الله أن يَجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، ويرزقه القَبول، ويوفقني في الدنيا والآخرة، إنه ولي التوفيق.

المبحث الأول:

بلاغة القراءات

القراءات القرآنية لا تقتصر علىٰ كونها رحمة من الله بعباده، تُسَهِّل الأداء والقراءة والنقل، وتُعِين علىٰ الحفظ والفَهْم؛ بل تتعدىٰ إلىٰ فوائد أخرىٰ تتعدد، ومنها فوائد بلاغية تشتمل عليها، ودلالات بيانية تتضمنها هذه القراءات، فتُبْرِز إعجاز القرآن الكريم، ويعلو بها كعبه لِما فيها من إيجاز ومجانبة الطول.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول- القراءات الواردة في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ ودلالاتها البلاغية:

١- ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ برفع الدال، وهي قراءة متواترة[(١)].

وعلىٰ هذه القراءة تكون الجملة خبرية، تدل علىٰ ثبوت هذه الصفة ودوامها؛ لأن الجملة الخبرية تدل علىٰ الثبوت والدوام، كما هو مُقَرَّر عند البلاغيين.

٢- (الحمدَ لله) بفتح الدال، وهي قراءة شاذة[(٢)].

---

(١) وهي قراءة الجمهور، وقد أَجْمَع عليها السبعة، وتتابعت قراءة القراء وعلماء الأمة عليها.
انظر: «معاني القرآن»، للفَرَّاء (١/ ٣)، و«جامع البيان»، للطبري (١/ ١٣٩)، و«معاني القرآن وإعرابه»، للزَّجَّاج (١/ ٥١)، و«معاني القراءات»، للأزهري (١/ ١٠٨)، و«البحر المحيط»، لأبي حَيَّان (١/ ٣١).

(٢) وهي قراءة هارون العَتَكي، ورؤبة بن العَجَّاج، وسُفيان بن عُيينة، ولغة قيس، والحارث بن أسامة.
انظر: «إعراب القرآن»، للنَّحَّاس (١/ ١٧)، و«إعراب القراءات الشواذ»، للعُكْبَري (ص٨٧)، و«البحر المحيط»، لأبي حَيَّان (١/ ٣٢).

وعلىٰ هذه القراءة يكون التقدير: (أحمد الحمدَ لله) فتكون الجملة فعلية تدل علىٰ التجدد والحدوث؛ لأن الجملة الفعلية تدل علىٰ التجدد والحدوث، كما هو مُقرَّر عند البلاغيين.

٣- (الحمدِ لله) بإتباع الدال لكسرة اللام التي بعدها؛ لِثِقل الضمة التي بعدها كسرة، وهي أيضًا قراءة شاذة(١).

والجملة الاسمية هنا أَوْلَىٰ من الفعلية؛ لأن الفعلية تدل علىٰ التجدد والحدوث، والاسمية تدل علىٰ الدوام والثبوت، وهي أقوىٰ وأثبت للمعنىٰ، وأدل علىٰ ثبات الحمد واستمراره(٢).

وقد يقال- والله تعالىٰ أعلم-: إن المعنيين مرادان؛ فإن المحامد كلها ثابتة لله ودائمة له، وهي متجددة ومستمرة إلىٰ يوم القيامة إن شاء الله تعالىٰ.

إلا أن الزَّجَّاج رحمه الله لَمَّا رأىٰ في قراءة الرفع من المعاني ما لا يوجد في النصب، قال بعدما ذَكَر بعض ميزات قراءة الرفع المتواترة: «وقد رُوي عن قوم من العرب (الحمدَ لله) و(الحمدِ لله)، وهذه لغة مَن لا يُلتفَت إليه، ولا يُتشاغَل بالرواية عنه»(٣).

وقال الطبري: «ولذلك من المعنىٰ تتابعت قراءة القراء وعلماء الأمة علىٰ رفع

---

(١) وهي قراءة لإبراهيم بن أبي عبلة، كما رُويت أيضًا عن زيد بن علي، والحسن البصري. كما أنها لغة تميم، وبعض بني ربيعة وغَطَفان.

انظر: «إعراب القرآن»، للنَّحَّاس (١/ ١٨)، و«المحتسَب»، لابن جني (١/ ٣٧)، و«إعراب القراءات الشواذ»، للعُكْبَري (ص٨٧)، و«البحر المحيط»، لأبي حَيَّان (١/ ٣١)، و«القراءات الشاذة»، لعبد الفتاح القاضي (ص٢٤).

(٢) انظر: «التحرير والتنوير»، لابن عاشور (١/ ١٥٨).

(٣) «معاني القرآن وإعرابه»، للزَّجَّاج (١/ ٥١).

الحمد من ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ دون نصبها، الذي يؤدي إلىٰ الدلالة علىٰ أن معنىٰ تاليه كذلك: أحمد لله حمدًا. ولو قرأ قارئ ذلك بالنصب، لكان عندي محيلًا معناه، ومستحقًّا العقوبة علىٰ قراءته إياه كذلك إذا تعمد قراءته كذلك، وهو عالم بخطئه وفساد تأويله»[(١)].

وقال أبو حيان: «وقراءة الرفع أمكن في المعنىٰ؛ ولهذا أَجْمَع عليه السبعة؛ لأنها تدل علىٰ ثبوت الحمد واستقراره لله تعالىٰ، فيكون قد أخبر بأن الحمد مستقر لله تعالىٰ... ومَن نَصَب فلا بد من عامل، تقديره: (أحمد الله) أو (حَمِدْتُ الله) فيتخصص الحمد بتخصيص فاعله، وأَشْعَر بالتجدد والحدوث»[(٢)].

وقد يقول قائل: (الحمدَ لله) أولىٰ من ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ بتقدير: احمدوا الحمدَ لله؛ لأن فيه أمرًا ملزمًا.

فيقال: إن قراءة الرفع تكون هنا أيضًا أَوْلَىٰ من النصب؛ وذلك لأن الأمر بالشيء لا يَعني أن المأمور عنه بالأمر مستحق للفعل، فقولك: (امدح زيدًا) لا يعني أن زيدًا مستحق للمدح، بل قد يكون المأمور بنفسه غير مقتنع بما أُمِر به. وهذا أمر حاصل، بخلاف الرفع فإنه يفيد ثبوت الشيء واستقراره علىٰ جهة الاستحقاق. وحتىٰ لو أفاد الأمر أفاد علىٰ جهة الثبوت والدوام، نحو: (صَبْر جميل)، أي: اصبر.

فكان ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ بالرفع أَوْلَىٰ من (الحمدَ لله) بالنصب في الإخبار والأمر.

كذلك، فإن ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ أَوْلَىٰ من (أحمدُ الله) و(نحمدُ الله) و(حمدًا لله) علىٰ تقدير: (أحمد أو نحمد حمدًا لله) أيضًا؛ وذلك لأنها جمل فعلية مرتبطة بقائل معين أو بقائلين معينين، وبزمن معين، بخلاف ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ فإنه غير مرتبط بذلك.

---

(١) «جامع البيان»، للطبري (١/ ١٣٩).

(٢) «البحر المحيط»، لأبي حَيَّان (١/ ٣١).

فالله محمود قبل حمد الحامدين، سواء حَمِدوه أو لم يحمدوه، وهو محمود من الأزل إلىٰ الأبد، غير مرتبط حمده بزمن معين(١).

كما أن ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ بالألف واللام منبئ عن أن المعنىٰ: جميع المحامد لله، ولو أُسقِطتا لما دل إلا علىٰ أن حمد قائل ذلك لله(٢).

هذا علاوة علىٰ ما تدل عليه الجملة الاسمية من الثبوت والدوام، والفعلية علىٰ الحدوث والتجدد كما سبق.

كذلك في ذكر الحمد مع لفظ الجلالة دلالة أخرىٰ، لم توجد لو جاء بمتعلق آخَر، فلو قال: (الحمد للخالق)، أو (الحمد للقادر) لتوهَّم المُخاطَب أن الحمد إنما استحقه الله ﷻ لأجل هذه الصفة؛ لأن اللام للاستحقاق.

فإذا قيل: (الحمد لله) أفاد استحقاق الذات له. وإذا قيل: (الحمد للخالق) أفاد استحقاق الذات الموصوفة بتلك الصفة له. ومعنىٰ الاستحقاق الذاتي: ما لا يلاحظ معه خصوصية صفة(٣).

المطلب الثاني- القراءات الواردة في قوله تعالىٰ: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾، ودلالاتها البلاغية:

قُرئ ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ و﴿مَلِك يوم الدين﴾(٤)، والمالك مشتق من (المِلْك)،

---

(١) انظر: «التفسير الكبير»، للرازي (١/ ١٧٩).

(٢) انظر: «جامع البيان»، للطبري (١/ ١٣٨).

(٣) انظر: «رُوح المعاني»، للآلوسي (١/ ١٠٣، ١٠٤).

(٤) قرأ عاصم والكِسائي: (مالك يوم الدين) بإثبات الألف. وقرأ الباقون من السبعة: (مَلِك يوم الدين) بإسقاط الألف.

انظر: «السبعة في القراءات»، لابن مجاهد (ص ١٠٤)، و«الحجة في القراءات السبع»، لابن خَالَوَيْهِ، (ص ٦٢)، و«الحجة للقراء السبعة»، لأبي علي الفارسي (١/ ٧، ٨).

والـمَلِك مشتق من (الـمُلْك).

قال ابن فارس: «الميم واللام والكاف أصل صحيح، يدل علىٰ قوة في الشيء وصحة. يقال: أَمْلَك عجينَه: قَوَّىٰ عجينَه، ومَلّكتُ الشيءَ قَوَّيته... والأصل هذا. ثم قيل: مَلَك الإنسان الشيء يَملِكه مِلْكًا، والاسم المِلْك؛ لأن يده فيه قوية صحيحة»[(١)].

ومنه (المالك) و(المَلِك) لأن (المالك) له قوة في مملوكه، و(المَلِك) له قوة في مملكته.

و(المالك) و(المَلِك) يجتمعان في أمور، ويفترقان في أمور، والمالك أعم من المَلِك في المفهوم العام، قال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران: ٢٦]، فجعَلَ الـمُلْك مِلْكًا للمَالِك.

والله ﷻ مَلِك ومَالِك متصرف قويّ:

فهو مَلِك، بل مَلِكُ الملوك، كل ما في الأرض والسموات وما بينهما تحت أمره ونهيه، له هيبة وجلال، وجبروت وكبرياء، بيده ملكوت كل شيء، وهو علىٰ كل شيء قدير.

كما أنه مالك متصرف يتصرف فيمن يملكهم كما يشاء، وهو قاهر عليهم، لا يمكن لهم أن يَخرجوا من سلطته، ومن واجباتهم السمع له والطاعة والوقوف عند حده. وبيده رِزقهم وكِسوتهم[(٢)].

وعلىٰ هذا، فقد جَمَعَتِ القراءتان من المعاني والدلالات ما لا يتأتىٰ في قراءة واحدة.

وانظر أيضًا: «جامع البيان»، للطبري (١/ ١٤٨)، و«البحر المحيط»، لأبي حَيَّان (١/ ٣٣)، و«الدر المصون»، للسمين الحلبي (١/ ٤٧).

(١) «مقاييس اللغة»، لابن فارس، مادة (مَلَك) (٥/ ٣٥١، ٣٥٢).

(٢) انظر: «التفسير الكبير»، للرازي (١/ ١٩٢-١٩٥).

المبحث الثاني:

بلاغة الالتفات

الالتفات: هو التعبير عن معنىٰ بطريق من الطرق الثلاثة- الغَيبة والخطاب والتكلم- بعد التعبير عنه بطريق آخَر منها(١).

وهو من محاسن الكلام، ووَجْه حُسنه أن الكلام إذا نُقِل من أسلوب إلىٰ أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وأكثر إيقاظًا للإصغاء إليه من إجرائه علىٰ أسلوب واحد(٢).

ونلاحظ هنا أنه حَصَل في قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ انتقال من أسلوب- وهو أسلوب الغَيبة- إلىٰ أسلوب آخَر- وهو أسلوب الخطاب-، وهذا مما يُسمَّىٰ في البلاغة بـ(الالتفات).

قال الزّمخشري: «**فإن قلتَ**: لِـمَ عدل عن لفظ الغَيبة إلىٰ لفظ الخطاب؟

قلتُ: هذا يُسَمَّىٰ الالتفات في علم البيان، قد يكون من الغَيبة إلىٰ الخطاب، ومن الخطاب إلىٰ الغَيبة، ومن الغَيبة إلىٰ التكلم... وذلك علىٰ عادة افتنانهم في الكلام وتَصرُّفهم فيه. ولأن الكلام إذا نُقِل من أسلوب إلىٰ أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظًا للإصغاء إليه من إجرائه علىٰ أسلوب واحد.

وقد تختص مواقعه بفوائد، ومما اختَص به هذا الموضع أنه لما ذَكَر الحقيق

---

(١) انظر: «الإيضاح»، للقزويني (ص ٨٤).

(٢) انظر: «الكشاف»، للزمخشري (١/ ٥٦).

بالحمد، وأجرىٰ عليه تلك الصفات العظام، تَعَلَّق العلم بمعلوم عظيم الشأن، حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات، فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات، فقيل: إياك يا مَن هذه صفاته، نخص بالعبادة والاستعانة، لا نعبد غيرك ولا نستعينه؛ ليكون الخطاب أدل علىٰ أن العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة إلا به»(١).

وقال أبو حَيَّان: «وفائدته(٢) في ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ أنه لما ذَكَر أن الحمد لله المتصف بالربوبية والرحمة، والـمُلْكِ، والمِلْكِ لليوم المذكور؛ أقبل الحامد مخبرًا بإثر ذكره الحمد المستقر له منه ومن غيره- أنه وغيره يعبده ويخضع له. وكذلك أتىٰ بالنون التي تكون له ولغيره، فكما أن الحمد يستغرق الحامدين، كذلك العبادة تستغرق المتكلم وغيره.

ونظير هذا أنك تَذكر شخصًا متصفًا بأوصاف جليلة، مخبرًا عنه إخبار الغائب، ويكون ذلك الشخص حاضرًا معك، فتقول له: (إياك أقصد)، فيكون في هذا الخطاب من التلطف علىٰ بلوغ المقصود ما لا يكون في لفظ (إياه)»(٣).

وقال الخطيب القزويني بعدما ذَكَر كلام الزمخشري في محاسن الالتفات: «وقد تختص مواقعه بلطائف، كما في سورة الفاتحة، فإن العبد إذا افتَتح حَمْد مولاه الحقيق بالحمد عن قلب حاضر، ونَفْس ذاكرة لِما هو فيه بقوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ الدال علىٰ اختصاصه بالحمد، وأنه حقيق به؛ وَجَد من نفسه لا محالة مُحرِّكًا للإقبال عليه.

فإذا انتَقل علىٰ نحو الافتتاح إلىٰ قوله: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ الدال علىٰ أنه

---

(١) «الكشاف»، للزمخشري (١/ ٥٦، ٥٧).

(٢) أي: الالتفات.

(٣) «البحر المحيط»، لأبي حَيَّان (١/ ٣٩).

مالك للعالمين، لا يَخرج منهم شيء عن ملكوته وربوبيته؛ قَوِيَ ذلك المُحرِّك.

ثم إذا انتقل إلىٰ قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ الدال علىٰ أنه مُنعِم بأنواع النعم جلائلها ودقائقها؛ تضاعفت قوة ذلك المُحرِّك، ثم إذا انتقَل إلىٰ خاتمة هذه الصفات العظام، وهي قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ الدال علىٰ أنه مالك للأمر كله يوم الجزاء؛ تناهت قوته، وأوجب الإقبال عليه وخطابه بتخصيصه بغاية الخضوع والاستعانة في المهمات»[(١)].

وللالتفات هنا محاسن أخرىٰ، منها:

١- أنه ذَكَر ذلك توطئة للدعاء في قوله: ﴿ٱهۡدِنَا﴾[(٢)].

٢- أنه لما وُصِف بأنه ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ عُلِم أنه حاضر في كل مكان وزمان بعلمه بأحوالهم، وليس غائبًا؛ وذلك لأنه رب العالمين جميعًا، فلا يغيب عنهم ولا يغيبون عنه، فلما عُلِم حضوره نودي بنداء الحاضر المخاطب[(٣)].

٣- أن الطلب بصيغة الحاضر أقوىٰ من الطلب بصيغة الغائب؛ لِما في الحاضر من الإحساس بقرب وحضور المطلوب منه.

٤- أن الكلام من أول السورة إلىٰ قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ ثناء، وهو أنسب بصيغة الغائب، والكلام من قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ إلىٰ نهاية السورة دعاء، وهو أنسب بصيغة الحاضر[(٤)].

---

(١) «الإيضاح»، للقزويني (ص ٨٦، ٨٧).

(٢) «البحر المحيط»، لأبي حَيَّان (١/ ٣٩).

(٣) انظر: «لمسات بيانية»، للسامرائي (ص ٤٧).

(٤) انظر: «رُوح المعاني»، للآلوسي (١/ ١٢٠).

المبحث الثالث:

بلاغة الجَمْع

وأعني بالجَمْع: صيغ الجَمْع وضميره في: ﴿نَعۡبُدُ﴾ و﴿نَسۡتَعِينُ﴾ و﴿ٱهۡدِنَا﴾ فإنها لافتة للنظر، حيث وضع الجمع موضع المفرد في الظاهر، وإن القارئ وإن كان واحدًا فإنه يخاطب ربه بصيغة الجَمْع.

فإذا تأملنا، وَجَدْنا أن لهذا الاستخدام هنا دلالات وإيحاءات وفوائد، منها ما يلي:

أنه مناسب لقوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ وذلك أنه لما قال: إنه رب الخلائق جميعًا، ومعبودهم الحقيقي، وخالقهم ورازقهم؛ كان الأنسب أن يكون الخطاب أيضًا بصيغة الجمع.

١- أن المقام مقام عبودية وافتقار إلىٰ الرب، وإقرار بالفاقة إلىٰ عبوديته واستعانته وهدايته، فأتىٰ فيه بصيغة ضمير الجَمْع، أي: نحن- مَعاشر عبيدك- مُقِرون لك بالعبودية، ونستعين بك، ونستهديك.

فقد تَضمَّن ذلك من الثناء علىٰ الرب بسَعة مجده، وكثرة عبيده، وكثرة سائليه الهداية- ما لا يتضمنه لفظ الإفراد. وإذا تأملنا أدعية القرآن، وَجَدْنا عامتها علىٰ هذا النمط.

٢- فيه نفع عظيم وخير كبير للداعي؛ فإنه كلما دعا لأخيه دعا له المَلَك المُوكَّل- بمثله.

٣- أن الدعاء كلما كان أعم، كان إلىٰ الإجابة أقرب.

٤- فيه إشارة إلىٰ أن المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

٥- فيه بَثٌّ لرُوح الجماعة، وإشاعة بجمع الكلمة، وتأكيد لمعنىٰ: «يد الله مع الجماعة»(١).

٦- فيه إشارة إلىٰ أنه كلما اجتمعت كلمة المسلمين، وتوحدت صفوفهم؛ كانوا أقرب إلىٰ الهدىٰ والفلاح، وأبعد من الغضب والضلال. وكلما تشتت شملهم، وتمزقت صفوفهم، كانوا أبعد من الهدىٰ والفلاح، وأقرب إلىٰ الغضب والضلال.

٧- فيه دعوة عامة إلىٰ الاجتماع علىٰ الخير، والتعاون علىٰ البر والتقوىٰ؛ وذلك لأن الاجتماع علىٰ الهدىٰ تثبيت وقوة، وأن كثرة السائرين علىٰ الطريق تورث الأُنس وتُهَوِّن مشقة السير. بخلاف الانفراد في السير؛ فإنه يورث الوحشة ويَستجلب الملل.

فإن الإنسان إذا كان معه سالكون لم يستوحش، وكلما كثر السالكون شاع الأمن ورسخت الطُّمأنينة.

أما السالك وحده فإنه قد يستوحش، وقد يضعف وقد يَسقط، وقد تأكله الذئاب، وقد يتعرض لقُطَّاع لطرق.

وهذا الأمر حاصل لمن سلك سُبُل الدنيا، ولمن سلك سبيل المبادئ والقيم سواء بسواء، وهو في الثانية أظهر وأخطر(٢).

---

(١) هذا الحديث أخرجه ابن حِبَّان في «صحيحه» (١٠/ ٤٣٧، ٤٣٨)، برقم: (٤٥٧٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزياداته» (١/ ٦٧٧)، برقم: (٣٦٢١).

(٢) انظر: «بدائع التفسير»، لابن القيم (٢/ ٤٥١، ٤٥٢)، و«التفسير الكبير»، للرازي (١/ ٢٠٦)، و«لمسات بيانية»، للسامرائي (ص ٥٧).

المبحث الرابع:

بلاغة الحذف

الحذف من سنن العرب المشهورة في كلامهم، وهو «باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسِّحر» فلا يتأتىٰ لكل أحد، وإنما يَقدر عليه البلغاء، ويَفطن له الفصحاء، وينتبه له مَن خَبَر الأساليب وجَرَّب الأدب والأدباء(١).

وللحذف دلالاته البلاغية وأسراره البيانية «فإنك ترىٰ به تَرْك الذِّكر أفصح من الذِّكر، والصمت عن الإفادة أَزْيَد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانًا إذا لم تُبِنْ»(٢).

وفيه مطلبان:

المطلب الأول- حَذْف العامل في قوله تعالىٰ: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾:

وتقدير باسم الله: (ابتدائي باسم الله)، أو (أبدأ باسم الله)، أو (باسم الله أبدأ) علىٰ خلاف بين نحاة البصرة والكوفة(٣).

ولهذا الحذف- أعني: حذف العامل في (باسم الله)- فوائد:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «لحذف العامل في ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فوائد عديدة:

(١) انظر: «دلائل الإعجاز»، للجُرجاني (ص ١٤٦).

(٢) «دلائل الإعجاز»، للجُرجاني، (ص ١٤٦).

(٣) انظر: «الدر المصون»، للسمين الحلبي (١/ ٢٢، ٢٣).

منها: أنه موطن لا ينبغي أن يتقدم فيه سوىٰ ذكر الله، فلو ذكرت الفعل- وهو لا يستغني عن فاعله- كان ذلك مناقضًا للمقصود، فكان في حذفه مُشاكَلة اللفظ للمعنىٰ؛ ليكون المبدوء به اسم الله.

ومنها: أن الفعل إذا حُذف صح الابتداء بالتسمية في كل عمل وقول وحركة، وليس فِعل أَوْلَىٰ بها من فعل، فكان الحذف أعم من الذِّكر؛ فإن أي فعل ذَكَرْتَه كان المحذوف أعم منه.

ومنها: أن الحذف أبلغ؛ لأن المتكلم بهذه الكلمة كأنه يَدَّعِي الاستغناء بالمشاهدة عن النطق بالفعل، فكأنه لا حاجة إلىٰ النطق به؛ لأن المشاهدة والحال دالة علىٰ أن هذا وكل فعل إنما هو باسمه تبارك وتعالى، والحَوَالة علىٰ شاهد الحال أبلغ من الحَوَالة علىٰ شاهد النطق»[(١)].

المطلب الثاني- الحذف في قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾:

نلاحظ في قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أنه أَطْلَق فعل الاستعانة فلم يُقيِّد بشيء، فلم يَقُل مثلًا: نستعين علىٰ العبادة أو علىٰ الطاعة أو غير ذلك؛ وذلك لأن الإطلاق يفيد شمول الاستعانة كل شيء يحتاج الإنسان فيه إلىٰ الاستعانة.

فهو يستعين بالله علىٰ طلب العلم الصحيح النافع، ويستعين به علىٰ عبادته علىٰ الوجه الصحيح، ويستعين به علىٰ طلب الرزق، ويستعين به علىٰ قضاء الحاجات... إلىٰ غير ذلك. ولو خصها بشيء لبقيت في غيره مجهولة[(٢)].

---

(١) «بدائع الفوائد»، لابن القيم (١/ ٤٣).

(٢) انظر: «الكشاف»، للزمخشري (١/ ٥٧)، و«رُوح المعاني»، للآلوسي (١/ ١٢٢، ١٢٣)، و«التحرير والتنوير»، لابن عاشور (١/ ١٨٤، ١٨٥).

قال ابن عاشور: «وقد أفاد هذا الحذف الهام[1] عموم الاستعانة المقصورة علىٰ الطلب من الله؛ تأدبًا معه تعالىٰ»[2].

(١) كذا في المطبوع من «التحرير والتنوير» (!)، والوجه: (الحذف المهمّ).

(٢) «التحرير والتنوير»، لابن عاشور (١/ ١٨٤).

المبحث الخامس:

بلاغة التقديم والتأخير

تُمثِّل اللغة جسدًا يتكون من أعضاء تتمثل في الأسماء والأفعال والحروف، ولكل من هذه الثلاثة مكانه المناسب في إطار الجملة التي تتكون منها، وإذا كانت الجملة تتكون من الإسناد، فإن لكل من المُسنَد والمُسنَد إليه في الجملة الاسمية والفعلية- مكانه الذي ينضبط مع قانون اللغة ونُظمها.

ويقع التقديم والتأخير في أساليب متعددة من الكلام العربي، فيضيف معاني جديدة إلىٰ المعاني الأصلية التي يدل عليها الكلام من حيث الوضع اللُّغوي، وتَنْصَبّ هذه المعاني في العناية التي يُبَيِّن مكانها ومن أين جاءت؟ وكيف جاءت؟ ولماذا جاءت؟

وقد أدرك العلماء منذ القديم أهمية التقديم والتأخير في الكلام، وما يهدف إليه المتكلم من ورائه من الأهداف، وما يَرمي إليه البليغ من الأغراض والمقاصد.

فقد نَصَّ سيبويه علىٰ أن العرب يُقدِّمون الذي بيانه أهم لهم، وما هم ببيانه أعنىٰ، وإن كان الجميع يُهمهم ويَعنيهم [١].

وقد أَخَذ الإمام عبد القاهر هذا القول، وحَوَّره ووَسَّع دائرته وأعطاه آفاقًا جديدة لم تُعْهَد قبل [٢] وقال مبينًا أهميته ومشيرًا إلىٰ فضله وعِظم شأنه: «هو بابٌ

---

(١) «الكتاب»، لسِيبَوَيْهِ (١/ ٣٤).

(٢) انظر: «دلائل الإعجاز»، للجُرجاني (ص ١٠٨ وما بعدها).

كثير الفوائد، جَمُّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يَزال يَفْتَرّ لك عن بديعة، ويُفضِي بك إلىٰ لطيفة، ولا تَزال ترىٰ شِعرًا يروقك مَسْمَعه، ويَلطُف لديك موقعه، ثم تَنظر فتجد سبب أَنْ راقك ولَطُف عندك- أَنْ قُدِّم فيه شيء، وحُوِّل اللفظ عن مكان إلىٰ مكان»[1].

وفي هذا المبحث خمسة مطالب:

المطلب الأول- تقديم ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ علىٰ ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾:

لما كان ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ أبلغ عند الجمهور، فلماذا قُدِّم علىٰ ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾؟ مع أن طريقة العرب أنهم يرتقون من الأعم إلىٰ الأخص، ومن القوي إلىٰ الأقوىٰ؟

للإمام الطبري كلام جميل وتوجيه وجيه، ذَكَره في تقديم لفظ الجلالة علىٰ الرحمن، وتقديم الرحمن علىٰ الرحيم، مُفاده: أن من شأن العرب أنهم إذا أرادوا الخبر عن مخبر به أن يُقدِّموا اسمه، ثم يُتبعونه صفاته ونعوته. وهذا هو الواجب في الحُكْم، أن يكون الاسم مُقدَّمًا قبل نعته وصفته؛ ليَعلم السامع الخبر عمن الخبر.

فإذا كان كذلك، قُدِّم لفظ الجلالة لأنه اسم خالص خاص بالله ﷻ، ثم تبعه الرحمن لأنه اسم وصفة، فهو أقل درجة من لفظ الجلالة في الاسمية، فكانت درجته فيها بعد الله، إلا أنه خاص بالله ﷻ، فتَقَدَّم علىٰ الرحيم الذي هو اسم من أسمائه وصفة من صفاته، إلا أنه غير مختص به[2].

وقريب منه ما استخلصه ابن عاشور قائلًا: «قال الجمهور: إن ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ أبلغ من ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ بِناء علىٰ أن زيادة المبنىٰ تُؤْذِن بزيادة المعنىٰ... وعلىٰ رعي هذه القاعدة- أعني: زيادة المبنىٰ تُؤْذِن بزيادة المعنىٰ- فقد شاع ورود إشكال علىٰ

---

(١) «دلائل الإعجاز»، للجُرجاني (ص ١٠٦).

(٢) انظر: «جامع البيان»، للطبري (١/ ١٣٢- ١٣٤).

وجه إرداف وصفه ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ بوصفه ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ مع أن شأن أهل البلاغة إذا أَجْرَوْا وصفين في معنىٰ واحد علىٰ موصوف في مقام الكمال- أن يرتقوا من الأعم إلىٰ الأخص[(١)] ومن القوي إلىٰ الأقوىٰ، كقولهم: شجاع باسل، وجواد فياض، وعالم نِحرير، وخطيب مِصْقَع، وشاعر مُفْلِق.

وقد رأيتُ المفسرين في توجيه الارتقاء من ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ إلىٰ ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ أجوبة كثيرة، مرجعها إلىٰ اعتبار ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ أخص من ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾[(٢)] فتعقيب الأول بالثاني تعميم بعد خاص»[(٣)].

والذي يَظهر- والله تعالىٰ أعلم- أن ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ أعم من ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ باعتبار المُتعلَّق به؛ إذ يتعلق ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ بالمؤمنين وغيرهم، ويتعلق ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ بالمؤمنين فقط.

و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ أعم من ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ باعتبار الصيغة ودلالتها العامة؛ إذ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ أبلغ من ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ عند الجمهور، فروعي جانب المُتعلَّق بهم، وهو الذي يقتضيه السياق؛ لكون المضمون مُتعلِّقًا بهم تعلقًا مباشرًا؛ إذ هو في معرض الحمد والثناء، وإظهار العجز والضعف، والسؤال والدعاء الصادر من عباده الصالحين، وبيان ضلالة اليهود والنصارىٰ، وانحرافهم عن الصراط المستقيم.

هذا مع ما ذَكَره الإمام الطبري في توجيه تقديم لفظ الجلالة علىٰ الرحمن، وتقديم الرحمن علىٰ الرحيم؛ أنه من شأن العرب أنهم يُقدِّمون الأسماء علىٰ الصفات في الإخبار؛ ليَعلم السامع الخبر عمن الخبر.

---

(١) **وهذا حاصل باعتبار آخَر**؛ فإن (الرحمن) أعم؛ إذ يتعلق بالمسلمين وغيرهم. و(الرحيم) أخص؛ إذ يتعلق بالمسلمين فقط. وسيتضح أكثر بما يأتي.

(٢) **يعني- والله أعلم-**: أن (الرحمن) أخص من (الرحيم) باعتبار وقوعه علىٰ مسماه؛ ولذا قُدِّم عليه. وسيتضح أكثر من كلام الطبري الآتي.

(٣) «التحرير والتنوير»، لابن عاشور (١/ ١٧١، ١٧٢).

المطلب الثاني- تأخير ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ عن ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾:

صفتا ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ من الرحمة، والأُولىٰ تفيد التجدد والحدوث؛ لأنها علىٰ (فَعْلان)، والثانية تدل علىٰ الدوام والثبوت؛ لأنها علىٰ (فَعِيل)(١) وكلاهما مقصودان. و﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ عامّ، و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ خاص بالمسلمين في الدنيا والآخرة(٢).

وقد وقعتا بعد قوله: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ فكان وقوعهما بعده أحسن موقع، فإذا عَلِم العبد أن هذا الرب الذي لا رب غيره، وهذا الملك الذي لا مَلِك سواه- رحمن ورحيم بعباده، انبسطت نفسه، وانشرح صدره، وقوي أمله برحمته، وتأكد رجاؤه في عفوه وسماحته.

كما أن فيه إشارة إلىٰ أن الرحمة ينبغي أن تكون صفة الرب بكل ما تحتمل من معانٍ، فالمالك ينبغي أن يكون رحيمًا بما يَملك وبمَن يَملك، والمربي ينبغي أن يكون رحيمًا بمن يربيه، والسيد ينبغي أن يكون رحيمًا بمن يَسُوده، والمصلح ينبغي أن يكون رحيمًا بمن يقوم بإصلاحه.

فالرحمة ينبغي أن تكون صفة للرب، واسعة عليه، سابقة إليه، في جميع شئونه، والشدة والقسوة تكون بعيدة عنه كل البعد(٣).

قال تعالىٰ وهو يصف رسوله الأمين، المربي الأعظم والمصلح الأكبر: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وقال: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

---

(١) انظر: «معاني الأبنية في العربية»، للسامرائي (ص ٧٨-٨٨).

(٢) انظر: «أضواء البيان»، للشنقيطي (١/ ٤٨، ٤٩).

(٣) انظر: «لمسات بيانية»، للسامرائي (ص ٣٤).

المطلب الثالث- تقديم ﴿إِيَّاكَ﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾:

تقديم ﴿إِيَّاكَ﴾ هنا يفيد الحَصْر والقَصْر، أي: قَصْر جميع أنواع العبادة وأصناف الاستعانة علىٰ الله ﷻ. فيكون المعنىٰ: لا نعبد إلا إياك، ولا نستعين إلا بك. أو: نخصك بالعبادة، ونخصك بطلب المعونة. ولو لم يُقدَّم الضمير المنصوب، لما أفاد هذا المعنىٰ[1].

وسيأتي شرحه وبيانه في المبحث التالي، وهو (المبحث السادس: بلاغة القَصْر).

المطلب الرابع- تقديم (العبادة) علىٰ (الاستعانة) في قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾:

أما تقديم العبادة علىٰ الاستعانة فلأمور كثيرة، منها[2]:

١- أن العبادة غاية خلق الإنسان، والاستعانة وسيلة للقيام بها، فقُدِّمَتِ الغاية علىٰ الوسيلة.

٢- أنه قَدَّم ما يستوجب رضا الرب ويستدعي إجابته قبل أن يُطلب منه شيء، فكان القيام بالعبادة مَظِنة استجابة طلب الاستعانة.

٣- أن العبادة حق الله وقسمه، والاستعانة قسم العبد، فقَدَّم حق الله وقسمه علىٰ قسم العبد.

٤- أن قبل هذه الآية ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾، وبعدها ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾

---

(١) انظر: «الكشاف»، للزمخشري (١/ ٥٦)، و«التفسير الكبير»، للرازي (١/ ١٩٦).

(٢) انظر: «الكشاف»، للزمخشري (١/ ٥٧)، و«بدائع التفسير»، لابن القيم (١/ ٤٤)، و«رُوح المعاني»، للآلوسي (١/ ١١٩)، و«التحرير والتنوير»، لابن عاشور (١/ ١٨٦)، و«لمسات بيانية»، للسامرائي (ص ٤٥).

والعبادة أنسب لـ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ لِما فيه من معنىٰ الجزاء. والاستعانة أنسب لـ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ لِما فيه من معنىٰ طلب الهداية.

٥- أن العبادة متعلقة بألوهيته واسمه (الله) والاستعانة متعلقة بربوبيته واسمه (الرب)، فقُدِّمَتِ العبادة علىٰ الاستعانة، كما قُدِّم لفظ الجلالة علىٰ الرب في أول السورة.

٦- أن في تأخير الاستعانة توافقًا مع خواتيم الآيات في السورة.

المطلب الخامس- تقديم ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ علىٰ ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ في قوله تعالىٰ: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾:

نلاحظ في قوله تعالىٰ: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ أنه قَدَّم المغضوب عليهم في الذِّكر علىٰ الضالين، وقد اقتضىٰ السياق ذلك من وجوه، منها:

١- أن المغضوب عليهم هم -كما جاء في الحديث- اليهود، والضالين هم النصارىٰ، واليهود أسبق من النصارىٰ، فناسب ذلك تقدمهم في الذِّكر.

٢- أن المغضوب عليهم أشد جُرمًا وضلالة؛ لأنهم جحدوا بعد علم، بخلاف الضالين فإنهم ضلوا بغير علم. فقُدِّم الأشد والأعظم علىٰ غيره.

٣- أن الإنعام يقابل الغضب ولا يقابل الضلالة، فوضع المقابل بجوار مقابله.

٤- أن وضع الفواصل في الآيات أيضًا اقتضىٰ تأخير الضالين، فجاءت مُناسِبة لها متممة للمعنىٰ(١).

(١) انظر: «البحر المحيط»، لأبي حَيَّان (١/ ٥٠)، و«بدائع الفوائد»، لابن القيم (٢/ ٤٤١، ٤٤٢)، و«لمسات بيانية»، للسامرائي (ص ٦٨-٧٠).

المبحث السادس:

بلاغة القَصْر

القَصْر: تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص. أي: جَعْل شيء خاصًّا بشيء وموقوفًا عليه، بحيث لا يتجاوزه إلىٰ غيره.

والمراد بتخصيص الشيء بالشيء: إثباته للشيء ونَفْيه عن غيره. وعلىٰ هذا فجملة القَصْر تفيد الإثبات والنفي في آن واحد. فإذا قلنا: (ما فاز إلا المجتهد) فقد أفادت هذه الجملة معنيين: إثبات الفوز للمجتهد، ونَفْي الفوز عن غير المجتهد[1].

والقَصْر أسلوب جليل، له دوره في تأدية المعنىٰ علىٰ الوجه المطلوب، وجَعْل الكلام موافقًا لمقتضىٰ الحال؛ وذلك لأن المُتكلِّم يريد في أحايين كثيرة أن يُفرغ شعوره العميق بشيء ما، فيَنزع إلىٰ التعبير عنه بشكل مُؤكَّد وقوي، فيكون أسلوب القَصْرِ هو الطريق الموجز لتحقيق هذا الأمر؛ لأنه من أقوىٰ وسائل التأكيد، فتأكيد القَصْر نابع من ذاته.

كما أن حال المُخاطَب يتطلب أحيانًا إقناعه بفكرة ما، وتمكينها وتقريرها في ذهنه؛ لدَفْع ما لديه من إنكار أو شك، فيكون الأنسب أن يكون خطابه بهذا الأسلوب المميز في تأكيده، وفي قدرته علىٰ الإقناع.

ونرىٰ أن القرآن الكريم والسُّنة النبوية اعتمدا كثيرًا علىٰ أسلوب القَصْر، فساقا كثيرًا من الحقائق الدينية والعَقَدية الكبرىٰ من خلال أدوات القَصْر؛ لأنها تحتاج

(١) انظر: «بغية الإيضاح»، للصعيدي (٢/ ٣).

إلىٰ قوة وحسم وإيجاز وتأكيد[1].

والقصر ينقسم إلىٰ عدة أقسام باعتبارات مختلفة، ويتنوع بتنوع الأساليب والطرق المعروفة لها.

وأشهر أقسامه القصر الحقيقي والإضافي[2]، ومن طرقه المعروفة التقديم المفيد للحصر والقصر والتخصيص.

وقد قَدَّمَتْ سورة الفاتحة نموذجًا رائعًا للقصر الحقيقي؛ للدلالة علىٰ معنىٰ عظيم هو أساس العبودية ومحور التوحيد، والغاية العظمىٰ من خلق الجن والإنس، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾. واستَخدمتْ للقَصْر طريق التقديم؛ إذ تقديم ﴿إِيَّاكَ﴾ هنا يفيد الحصر والقصر، أي: قَصْر جميع أنواع العبادة وأصناف الاستعانة علىٰ الله ﷻ.

فيكون المعنىٰ: لا نعبد إلا إياك، ولا نستعين إلا بك. أو: نخصك بالعبادة، ونخصك بطلب المعونة. ولو لم يُقدَّم الضمير المنصوب، لما أفاد هذا المعنىٰ[3].

وإذا تأملنا في القصر الموجود في الجزأين، وجدنا أنه في الأول حقيقي تحقيقي؛ لأنه لا تجوز العبادة إلا لله، فهي منصرفة له- جل في علاه- بجميع أنواعها، فلا تجوز إلا له، ولا تقام إلا لذاته. ولكن القصر في الجزء الثاني من الكلام حقيقي

---

(١) انظر: «بغية الإيضاح»، للصعيدي (٢/ ٣، ٤)، و«الإيضاح»، للقزويني، بشرح الخفاجي (٣/ ٥).

(٢) القصر الحقيقي: ما يختص فيه المقصور بالمقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع، بحيث لا يتعداه إلىٰ غيره أصلا، كقولنا: لا يعلم الغيب إلا الله؛ فإنه لا يعلم الغيب إلا الله وحده.

والقصر الإضافي: ما يختص فيه المقصور بالمقصور عليه بحسب الإضافة إلىٰ شيء معين، كقولنا: ما زيد إلا شاعر، في رد من ظن أنه كاتب، أو كاتب وشاعر.

(٣) انظر: «الكشاف»، للزمخشري (١/ ٥٦)، و«التفسير الكبير»، للرازي (١/ ١٩٦).

ادعائي سيق للمبالغة، وكأن الاستعانة الحقيقية لا تكون إلا بالله، ولا تتحقق إلا بفضله وكرمه؛ وذلك لأن الاستعانة تقع بين العباد بعضهم ببعض، كما تقع بما أرشد إليه في كلام الله ﷻ؛ حيث قال تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾ [المائدة:٢]، وقال: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥].

إذن القصر المستفاد من التقديم في قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ قَصْر حقيقي تحقيقي، يَصرف جميع أنواع العبادة إلىٰ الله جل في علاه.

والقصر المستفاد من التقديم في قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ قَصْر ادعائي للمبالغة، ومعنىٰ القَصْر هنا: لا نستعين علىٰ عظائم الأمور التي لا يستعان فيها بالناس إلا بالله تعالىٰ(١).

فالتقديم الأول يفيد القصر الحقيقي التحقيقي، والتقديم الثاني يفيد القصر الحقيقي الادعائي.

وهذا الفرق اللطيف بين القصرين هو أحد أسرار تكرار ﴿إِيَّاكَ﴾ في هذا المقام، وعدم الاستغناء عنه بعطف ﴿نَسۡتَعِينُ﴾ علىٰ ﴿نَعۡبُدُ﴾، فلما كان بين القصرين فرق، أعاد ضمير ﴿إِيَّاكَ﴾ مع الجميع، ولم يَستغنِ عن التَّكرار بالعطف(٢).

وسيأتي شرحه وبيانه في المبحث التالي، وهو (المبحث السابع: بلاغة التَّكرار).

(١) انظر: «التحرير والتنوير»، لابن عاشور (١/ ١٨٥).

(٢) انظر: «التحرير والتنوير»، لابن عاشور (١/ ١٨٦).

المبحث السابع:

بلاغة التَّكرار

التَّكرار من الأساليب البليغة التيلا يتفطن لها إلا حُذَّاق العربية، ولا تتيسر إلا لقلة من رجال البلاغة، وهو من الإطناب. وإذا حَلَّ التَّكرار في محله زاد الكلام قوة، وإذا وُضع في موضعه أَثَّر في نفس المتلقي أيما تأثير.

قال الزمخشري: «ولأن في التكرير تقريرًا للمعاني في الأنفس، وتثبيتًا لها في الصدور، ألا ترىٰ أنه لا طريق إلىٰ تحفظ العلوم إلا ترديد ما يراد تحفظه منها؟ وكلما زاد ترديده كان أمكن له في القلب، وأرسخ في الفَهْم، وأثبت للذِّكر، وأبعد من النسيان»(١).

ومن التَّكرار البليغ في سورة الفاتحة تَكرار ﴿إِيَّاكَ﴾ **في قوله تعالىٰ:** ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ **فقد كَرَّر الله ﷻ ضمير** ﴿إِيَّاكَ﴾ **مع الفعلين.**

ولهذا التكرير فوائد كما أشار إليه الآلوسي(٢):

١- التنصيص علىٰ طلب العون منه تعالىٰ، فإنه لو قال سبحانه: (إياك نعبد ونستعين) لاحتمل أن يكون إخبارًا بطلب المعونة من غير أن يُعيِّن ممن يُطلَب.

٢- أنه لو اقتَصر علىٰ واحد، ربما توهم أنه لا يتقرب إلىٰ الله تعالىٰ إلا بالجمع بينهما، والواقع خلافه.

---

(١) انظر: «الكشاف»، للزمخشري (٣/ ٣٣٤).

(٢) انظر: «رُوح المعاني»، للآلوسي (١/ ١٢٢).

٣- أنه جَمَع بينهما للتأكيد، كما يقال: (الدار بين زيد وبين عمرو) وفيه نظر؛ لأن التكرير إنما يكون تأكيدًا إذا لم يكن معمولًا لفعل ثانٍ، و﴿إِيَّاكَ﴾ الثاني في الآية معمول لـ﴿نَسۡتَعِينُ﴾ مفعول له، فكيف يكون تأكيدًا؟

٤- أنه تعليم لنا في تجديد ذكره تعالىٰ عند كل حاجة.

وذهب الآلوسي إلىٰ أن «التَّكرار للإشعار بأن حيثية تعلق العبادة به تعالىٰ- غير حيثية تعلق طلب الاستعانة منه سبحانه، ولو قال: (إياك نعبد ونستعين) لتوهم أن الحيثية واحدة، والشأن ليس كذلك؛ إذ لا بد في طلب الإعانة من توسط صفة، ولا كذلك في العبادة؛ فلاختلاف التعلق أعاد المفعول ليشير بها إليه»(١).

وقال ابن القيم: «ففي إعادة الضمير من قوة الاقتضاء لذلك ما ليس في حذفه، فإذا قلت لمَلِك مثلًا: (إياك أُحِب، وإياك أخاف) كان فيه من اختصاص الحب والخوف بذاته والاهتمام بذكره- ما ليس في قولك: (إياك أُحِب وأخاف)»(٢).

وأما ابن عاشور فقد أشار إلىٰ نكتة بلاغية لطيفة، حيث قال: «وأعيد لفظ ﴿إِيَّاكَ﴾ في الاستعانة دون أن يُعطَف فعل ﴿نَسۡتَعِينُ﴾ علىٰ ﴿نَعۡبُدُ﴾ مع أنهما مقصودان جميعًا، كما أنبأ عنه عطف الجملة علىٰ الجملة؛ لأن بين الحصرين فرقًا: فالحصر في ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ حقيقي، والقصر في ﴿إِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ ادعائي؛ فإن المسلم قد يستعين بغير الله تعالىٰ، كيف وقد قال تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، ولكنه لا يستعين في عظائم الأمور إلا بالله، ولا يُعِدّ الاستعانة حقيقة إلا الاستعانة بالله تعالىٰ»(٣).

(١) «رُوح المعاني»، للآلوسي (١/ ١٢٢).

(٢) «الضوء المنير»، لابن القيم (١/ ٨٦).

(٣) «التحرير والتنوير»، لابن عاشور (١/ ١٨٦).

المبحث الثامن:

بلاغة الاستعارة

إن الاستعارة من أدق أساليب البيان تعبيرًا، وأرقِّها تأثيرًا، وأجملها تصويرًا، وأكملها تأدية للمعنىٰ، فهي فَنٌّ دقيق من فنون البيان، ولَوْن عجيب من ألوانه، ومنظر خلاب من مناظره، وصورة رائعة من صوره، لها مكانة رفيعة في الأساليب البليغة، ودَوْر مهم في إيضاح المعاني وتقريرها، وما بالغنا إذا قلنا: إن الاستعارة رُوح علم البيان، وقَلْب البلاغة العربية.

وقد عَدَّها الإمام عبد القاهر من الأصول التي عليها مدار حُسن الكلام، فقال في بداية حديثه عن التشبيه والتمثيل والاستعارة: «فإن هذه أصول كبيرة، كأن جُلَّ محاسن الكلام-إن لم نَقُل: كُلَّها- متفرعة عنها وراجعة إليها، وكأنها أقطاب تدور عليها المعاني في مُتصرَّفاتها، وأقطار تُحيط بها من جهاتها»(١).

والاستعارة إذا وقعت في محلها، وجاءت مُطابِقة لمقتضىٰ الحال- حَقَّقَتْ في الأسلوب جُل مُقوِّمات البلاغة وعناصر الحُسن والجمال، ومن أهمها: الإيجاز، والمبالغة، والإيضاح والبيان، والتأكيد والتقرير(٢).

وقد حوت سورة الفاتحة نموذجًا رائعًا من الاستعارة، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾.

---

(١) انظر: «أسرار البلاغة»، للجُرجاني (ص٢٧).

(٢) انظر: «كتاب الصناعتين»، للعسكري، (ص٢٦٨)، و«سر الفصاحة»، للخفاجي (ص١٠٨، ١٠٩)، و«أسرار البلاغة»، للجُرجاني (ص٤٢، ٤٣).

ففي قوله ﷻ: ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ استعارة؛ حيث شُبِّه الإيمان أو دين الحق أو ملة الإسلام- بالصراط المستقيم، تشبيهًا لوسيلة المقصود بوسيلة المَقصِد[(١)] فحَذَف المُشبَّه، وصَرَّح بالمُشبَّه به على سبيل الاستعارة التصريحية.

وقد استعير الصراط المستقيم هنا للإيمان أو دين الحق أو ملة الإسلام؛ لأن الجميع يوصل إلى المطلوب، وزاد الاستعارةَ حسنًا وانسجامًا استخدام كلمة الهداية؛ لأن أَصْلها تبيين الطريق للسائر، واشتُهر استعمالهم في مطلق الإرشاد مجازًا واستعارة[(٢)].

ومِن حُسْن الانسجام ودقة الدلالة أيضًا: اختيار كلمة ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ للاستعارة دون كلمة (الطريق) أو كلمة (السبيل) وذلك لأن (صِرَاط) على وزن (فِعَال) وهو من الأوزان الدالة على الاشتمال، فيشتمل على كل السالكين ولا يضيق بهم؛ لرُحْبه وسَعته[(٣)].

والاستعارة هنا تضع الحق والإيمان وملة الإسلام في صورة محسوسة؛ حيث تُوضِّحها وتجليها أمام الأنظار، وتُشخِّص المعنى وتُجسِّده في مَشاهد محسوسة، وكأنه قد جُسِّم حتى رأته العيون[(٤)].

(١) انظر: «رُوح البيان»، لإسماعيل حقي (١/ ٢٠، ٢١)، و«التحرير والتنوير»، لابن عاشور (٦/ ١٥١)، و«علوم البلاغة»، للمَرَاغي (ص٢٧٣)، و«جواهر البلاغة»، للهاشمي (ص٢٦٧).

(٢) انظر: «التحرير والتنوير»، لابن عاشور (٤/ ٢٧)، و«جواهر البلاغة»، للهاشمي (ص٢٦٧).

(٣) انظر: «بدائع الفوائد»، لابن القيم (٢/ ٤١٦، ٤١٧)، و«معاني الأبنية في العربية»، للسامرائي (ص ٦٢).

(٤) انظر: «أسرار البلاغة»، للجُرجاني (ص ٤٣)، و«أفنان البيان»، للشحات (ص٢٠١، ٢٠٢).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام علىٰ رسوله الأمين محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، ومَن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

وبعد، فهذه دراسة تحليلية للجوانب البلاغية في سورة الفاتحة، وقد توصلتُ- ولله الحمد- من خلال الدراسة والبحث في الموضوع، والنظر في المصادر والمراجع المتعلقة به- إلىٰ نتائج، من أهمها:

١- تَشُد السَّبْع المثاني الانتباه إلىٰ الجوانب البلاغية، والألوان البيانية الكثيرة، التي اشتملت عليها مع قِصرها.

٢- تشتمل سورة الفاتحة علىٰ جوانب بلاغية عديدة، تؤدي دورها في تأدية المعنىٰ المقصود وتوضيح المراد.

٣- من الجوانب البلاغية التي اشتملت عليها سورة الفاتحة: بلاغة القراءات، والالتفات، والجَمْع، والحذف، والتقديم والتأخير، والتَّكرار، والاستعارة.

أشكر الله مرة أخرىٰ علىٰ ما وفقني لإنجاز هذا العمل المبارك المتعلق بكتابه العزيز، داعيًا أن ينفعنا به، ويوفقنا دائمًا لِما فيه خير الدنيا والآخرة.

وآخِر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

١- «الإتقان في علوم القرآن»، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، ت: سعيد المندوب، ط/ ١، بيروت، لُبنان، دار الفكر، (١٤١٦هـ).

٢- «أسرار البلاغة»، الجرجاني، الإمام عبد القاهر، قراءة وتعليق: محمود محمد شاكر، ط/ ١، القاهرة، مصر، مطبعة المدني، (١٤١٢هـ).

٣- «إعراب القرآن»، النَّحَّاس، أبو جعفر أحمد بن محمد، ت: عبد المنعم خليل، ط/ ١، بيروت، لُبنان، دار الكتب العلمية، (١٤٢١هـ).

٤- «إعراب القراءات الشواذ»، العُكْبَري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين، ت: محمد السيد عَزُّوز، ط/ ١، بيروت، لُبنان، عالم الكتب، (١٤١٧هـ).

٥- «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن»، الشنقيطي، العَلَّامة محمد الأمين، ط/ ١، مكة المكرمة، السعودية، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، (١٤٢٦هـ).

٦- «أفنان البيان»، الشحات، محمد أبو ستيت، د. ط. طنطا، مصر، التركي للكمبيوتر وطباعة الأوفست، (١٤١٧هـ).

٧- «الإيضاح»، القزويني، محمد بن عبد الرحمن الخطيب، ت: الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، ط/ ١، الرياض، السعودية، مطبعة المعارف للنشر والتوزيع، (١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م).

٨- «البحر المحيط»، الأندلسي، أبو حَيَّان أثير الدين محمد بن يوسف، ت: عبد الرزاق المهدي، ط/ ١، بيروت، لُبنان، دار إحياء التراث العربي، (١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م).

٩- «بدائع التفسير الجامع لِما فسره الإمام ابن قيم الجوزية»، جَمَعه: يسري السيد محمد، ط/ ١، الدمام، السعودية، دار ابن الجوزي، (١٤٢٧هـ).

١٠- «بدائع الفوائد»، الجوزية، الإمام ابن القيم، ت: علي بن محمد العمران، ط/ ٢، مكة

المكرمة، السعودية، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، (١٤٢٧هـ).

١١- «البرهان في تناسب سور القرآن»، الثقفي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير، ت: الدكتور سعيد جمعة الفلاح، ط/ ١، الدمام، السعودية، دار ابن الجوزي، (١٤٢٨هـ).

١٢- «بغية الإيضاح»، الصعيدي، عبد المتعال، ط/ ١، القاهرة، مصر، مكتبة الآداب، (١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م).

١٣- «التحرير والتنوير»، ابن عاشور، محمد الطاهر، د. ط. تونس، دار سَحنون للنشر والتوزيع، د. ت.

١٤- «تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد»، ابن مالك، محمد بن عبد الله، ت: محمد كامل بركات، د. ط. القاهرة، مصر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، (١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م).

١٥- «تفسير القرآن العظيم»، ابن كَثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدِّمشقي، ت: عبد الرزاق المهدي، ط/ ٢، بيروت، لُبنان، دار الكتاب العربي، (١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م).

١٦- «التفسير الكبير = مفاتيح الغيب»، الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، ط/ ٢، بيروت، لُبنان، دار الكتب العلمية، (١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م).

١٧- «جامع البيان عن تأويل آي القرآن =تفسير الطبري»، الطبري، محمد بن جرير، ت: محمود محمد شاكر، ط/ ٢، القاهرة، مصر، دار المعارف، د. ت.

١٨- «الجامع الصحيح»، البخاري، محمد بن إسماعيل، ت: الدكتور مصطفىٰ ديب، ط/ ٣، بيروت، لُبنان، دار ابن كثير، اليمامة، (١٤٠٣هـ).

١٩- «الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي»، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، ت: عبد الله عبد المحسن التركي، ط/ ١، بيروت، لُبنان، مؤسسة الرسالة، (١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م).

٢٠- «جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع»، الهاشمي، أحمد بن إبراهيم، د. ط. بيروت، لُبنان، دار المعرفة، د. ت.

٢١- «حاشية الجُرجاني علىٰ الكَشَّاف للزمخشري»، بهامش «كتاب الكشاف»، د. ط. بيروت، لُبنان، دار المعرفة، د. ت.

٢٢- «الحجة في القراءات السبع»، ابن خَالَوَيْهِ، أبو عبد الله الحسين بن أحمد، ت: عبد العال سالم مكرم، ط/ ١، بيروت، لُبنان، مؤسسة الرسالة، (١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م).

٢٣- «الحجة للقراء السبعة»، الفارسي، أبو علي الحسن بن أحمد، ت: بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي، ط/ ٢، دمشق، سوريا، دار المأمون للتراث، (١٤١٣هـ- ١٩٩٣م).

٢٤- «الدر المصون في علوم الكتاب المكنون»، الحلبي، أحمد بن يوسف السمين، ت: الدكتور أحمد محمد الخراط، طُبع في عدة سنوات، دمشق، سوريا، دار القلم، (١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م).

٢٥- «الدر المنثور»، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، ت: الدكتور عبد المحسن التركي، ط/ ١، القاهرة، مصر، مركز هَجَر، (١٤٢٤هـ).

٢٦- «دلائل الإعجاز»، الجُرجاني، الإمام عبد القاهر، قراءة وتعليق: محمود محمد شاكر، ط/ ٣، القاهرة، مصر، مطبعة المدني، (١٤١٣هـ).

٢٧- «رُوح البيان»، الحنفي، إسماعيل حقي، د. ط. بيروت، لُبنان، دار الفكر، د. ت.

٢٨- «رُوح المعاني»، الآلوسي، شهاب الدين السيد محمود، ت: محمد أحمد الأمد، وعمر عبد السلام السَّلامي، ط/ ١، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي، (١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م).

٢٩- «زاد المعاد في هدي خير العباد»، الجوزية، الإمام ابن القيم، ت: شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، ط/ ٤، بيروت، لُبنان، مؤسسة الرسالة، (١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م).

٣٠- «السبعة في القراءات»، ابن مجاهد، أحمد بن موسىٰ، ت: الدكتور شوقي ضيف، ط/ ٢، مصر، دار المعارف، د. ت.

٣١- «سر الفصاحة»، الخفاجي، ابن سنان، شرح: عبد المتعال الصعيدي، د. ط. القاهرة، مصر، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، (١٣٨٩هـ).

٣٢- «صحيح ابن حِبَّان بترتيب ابن بَلبان»، ت: الأرناؤوط، شعيب، ط/ ٢، بيروت، لُبنان، مؤسسة الرسالة، (١٤١٤هـ- ١٩٩٣م).

٣٣- «صحيح الجامع الصغير وزياداته»، الألباني، محمد ناصر الدين، د. ط. الرياض، المملكة العربية السعودية، المكتب الإسلامي، د. ت.

٣٤- «الضوء المنير على التفسير»، (مباحث تفسيرية من كتب الإمام ابن القيم)، جَمَعه: علي الحمد الصالحي، د. ط. دخنة، القصيم، السعودية، مؤسسة النور للطباعة والنشر، بالتعاون مع مكتبة السلام، الرياض، السعودية، د. ت.

٣٥- «علوم البلاغة»، المَرَاغي، أحمد مصطفىٰ، د. ط. بيروت، لُبنان، دار الكتب العلمية، د.ت.

٣٦- «القراءات الشاذة، وتوجيهها من لغة العرب»، القاضي، عبد الفتاح، د. ط. بيروت، لُبنان، دار الكتاب العربي، (١٤٠١هـ-١٩٨١م).

٣٧- «كتاب سِيبَوَيْهِ»، سِيبَوَيْهِ، عمرو بن عثمان، ت: عبد السلام محمد هارون، ط/ ١، بيروت، لُبنان، دار الجيل، د. ت.

٣٨- «كتاب الصناعتين»، العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، ت: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، د. ط. بيروت، لُبنان، المكتبة العصرية، صيدا، (١٤١٩هـ).

٣٩- «الكَشَّاف»، الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، ت: عبد الرزاق المهدي، ط/ ٢، بيروت، لُبنان، دار إحياء التراث العربي، (١٤٢١هـ- ٢٠٠١م).

٤٠- «لمسات بيانية في نصوص من التنزيل»، السامرائي، الدكتور فاضل صالح، ط/ ٤، عَمَّان، الأردن، دار عمار للنشر والتوزيع، (١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م).

٤١- «المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، والإيضاح عنها»، ابن جني، أبو الفتح عثمان، ت: علي النجدي الناصف وزملائه، ط/ ٢، إستانبول، تركيا، دار سزكين للطباعة والنشر، (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).

٤٢- «معاني الأبنية في العربية»، السامرائي، الدكتور فاضل صالح، ط/ ٢، عَمَّان، الأردن، دار عمار للنشر والتوزيع، (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م).

٤٣- «معاني القرآن»، الفَرَّاء، أبو زكريا يحيىٰ بن زياد، ت: محمد علي النجار وزملائه، ط/ ١، القاهرة، مصر، دار الكتب المصرية للتأليف والترجمة، د. ت.

٤٤- «معاني القرآن وإعرابه»، الزَّجَّاج، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، ت: الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، د. ط. القاهرة، مصر، دار الحديث، (١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م).

٤٥- «معاني القراءات»، الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، ت: الدكتور عيد مصطفىٰ، والدكتور عوض بن حمد القوزي، ط/ ٢، القاهرة، مصر، دار المعارف، (١٤١٧هـ- ١٩٩٦م).

٤٦- «مقاييس اللغة»، ابن فارس، أبو الحسين أحمد، ت: عبد السلام محمد هارون، ط/ ١، بيروت، لُبنان، دار الجيل، (١٤١١هـ-١٩٩١م).

٤٧- «نَظْم الدُّرَر في تناسب الآيات والسُّوَر»، البَقَاعي، برهان الدين إبراهيم بن عمر، ط/ ٣، القاهرة، مصر، مكتبة ابن تيمية، (١٤٢٧هـ).

مجلة تدبر

فهرس الموضوعات

مجلة تدبر

مجلة تدبر



آياتُ الأخذِ بالبأساءِ والضرَّاءِ في سورةِ الأنعامِ (٤٢-٤٥)

«تفسيرٌ واهتداء»

د. مُسْعَدْ بن مُساعِد الحُسَيْني

الأستاذ المشارك بقسم التفسير وعلوم القرآن بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

قدم للنشر في: ١٦/٩/١٤٤١

قبل للنشر في: ٢١/١٠/١٤٤١

نشر في: ١/٧/١٤٤٢

- نال شهادة الماجستير من قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤١٠هـ بأطروحته: «منهج شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في التفسير مع تحقيق جزء من تفسيره».
- كما نال شهادة الدكتوراه من قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤١٧هـ بأطروحته: «الإيضاح في التفسير لقوام السنة الأصفهاني تحقيق ودراسة من سورة الفاتحة إلىٰ نهاية سورة المائدة».

من أعماله المنشورة:

١- (التبيان فيما جاء في الكتاب العزيز من حب الأوطان)

٢- (العدل والإحسان مع المخالف في ضوء القرآن)

البريد الشبكي: mosed.m.h@hotmail.com

مجلة تدبر

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

يعالج البحث -من خلال التعرض لآياتٍ في سورة الأنعام- قضيةً، هي غاية في الأهمية، وهي أخذ العباد بالبأساء -وهي الحاجة والفقر- والضراء -وهي الأمراض والأسقام- بعد إرسال الرسل، وإعراض المرسل إليهم، لعلهم أن يتضرعوا لربهم، ويستكينوا له، ويعودوا إليه، فيرفع بأسَهم، ويُسْبغ الفضل عليهم، والخيرات لديهم، إلا أنهم تمادوا في غيِّهم وضلالهم، ولم ينتفعوا بمواعظ الله وآياته؛ فاستدرجهم الله بالإنعام، ففتح لهم ما كان مغلقًا عليهم من النعم التي يريدون، حتىٰ أشروا وبطروا، فحقت عليهم كلمة العذاب، فأُهلِكوا فجأة جميعهم.

ويهدف البحث إلىٰ التدبر في هذه الآيات التي تحكي حال قومٍ كانوا بهذه المثابة، وما نزل بهم من العذاب الأليم.

وحيث إن هذا من سنن الله الجارية، ففي ضمن ذلك الحذر والتحذير من سلوك حال المستدرجين المهلكين؛ لئلَّا يصيبنا ما أصابهم.

ومنهج البحث في معالجة هذا الموضوع ببيان معنىٰ تلك الآيات، ومقاصدها، وموضع العظة فيها، من خلال استعراض كلام المفسرين، حسبما جاء في المصادر والمراجع الأصيلة؛ لما في ذلك لنا من العظة والعبرة، ولنحذر سلوك سبيلهم؛ لئلَّا يصيبنا مثل ما أصابهم.

◆ **الكلمات الدالة (المفتاحية)** أمم، البأساء، الضراء، التضرع، نسوا، مبلسون.

والحمد لله رب العالمين

lah's warnings and signs. So He decoyed them by endowing them with lavish material possessions and all desirable conveniences until they behaved exultantly, ungratefully and arrogantly. Thereupon those rebellious peoples deserved divine punishment and were unexpectedly annihilated.

The aim of the research is to reflect on these verses which cast light on the state of people who behaved such a way and brought down upon themselves exemplary punishment. Since this is a normative precedent established by Allah, we must beware of the conduct and the example of those wrongdoers who were tempted and doomed to destruction so that we can protect ourselves against their fates. The approach used in this research was expanding on the relevant verses, their objectives, the lessons to be learned from them by reviewing the statements and accounts of the Muslim exegetes according to the original reliable sources and references. All of this is intended to derive parables and serious lessons to exercise caution and avoid the same fate.

Keywords: Nationsdis, Tress, Ailment, Humility, Forgot, Deep, Sorrow

The Quranic Verses Referring to the Affliction with Distress and Ailment in the Surah Al An'âm: (42-45) Commentary and Spiritual Conclusions

Prepared by:

Dr. Musad bin Massad Al-Husseini(1)

Associate Professor at the Department of Interpretation and Qur'anic Sciences, the College of the Noble Qur'an and Islamic Studies, the Islamic University of Medina.

E-mail: mosed.m.h@hotmail.com

Abstract

Through the verses in the Surah Al An'âm, the research addresses an issue of paramount importance, which is afflicting humans with distress that connotes want, poverty and ailment after sending the prophets and the resistance they received from their relevant peoples so that they can plead with and turn to their Lord with submission and humility to eliminate them from their suffering and confer upon them His bestowals and boons. However, those peoples persisted with their obstinacy and deviations without trying to learn from Al-

(1) He obtained a Master's Degree from the Department of Tafseer and Qur'an Sciences at the College of the Noble Qur'an and Islamic Studies at the Islamic University of Madinah in 1410 AH with his thesis entitled: "The Approach of the Sheikh of Islam Muhammad bin Abd al-Wahhab in Tafseer" with the investigation of part of his Tafseer." He also received a PhD Degree from the Department of Tafseer and Qur'an Sciences at the College of the Noble Qur'an and Islamic Studies at the Islamic University of Madinah in the year 1417 AH with his thesis entitled: "Al-Idhah fi Art-Tafseer (Clarification on the Tafseer) by Qiyam As-Sunnah Al-Asfahani, an investigation and study from the Surat Al-Faatihah to the end of Surat Al-Maa'idah."

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام علىٰ نبيِّه الأمين، ومَن سار علىٰ نهجه، واستنَّ بسُنته إلىٰ يوم الدين.

أما بعد:

فإن كتاب الله تعالىٰ قد اشتمل علىٰ أعظم المواعظ، وأنفع القصص التي تضمنت أبلغ العِبر، وأنفع ما يكون لأهل العقل والنظر، ومن ذلك سُنة الله تعالىٰ في الإنذار والإعذار، وسُنته في تصريف الأقدار، لعلَّ ذلك أن يُحْدِث الادِّكار والاعتبار، والتوبة والاستغفار، وكل ذلك من آثار رحمة الرحيم سبحانه، وحكمة الحكيم.

والعباد بأمسِّ الحاجة إلىٰ أن يَعُوا هذه المعاني، ويفيدوا من هذه العِبر والعِظات.

ومن الآيات العظيمة التي تتحدث عن هذا الموضوع: الآيات من سورة الأنعام (٤٢-٤٥)، فقد رأيت فيها مادة علمية، ووعظية، وتربوية؛ فأحببت أن أتعرَّض لدراستها من خلال هذا البحث المتواضع، وعنونت له بـ «**آيات الأخذ بالبأساء والضراء في سورة الأنعام، تفسير واهتداء**».

وقد قسمت البحث إلىٰ: مقدمة، وتمهيد، وتسعة مباحث، وخاتمة:

أما المقدمة، فتشتمل علىٰ ما يلي:

١- خطة الموضوع.
٢- حدود الموضوع.
٣- أهمية الموضوع.
٤- أسباب اختيار الموضوع.

٥- الدراسات السابقة.

وأما التمهيد، فيشتمل علىٰ ما يلي:

١- أهمية دراسة السنن الكونية.

وأما المباحث، فتشتمل علىٰ ما يلي:

المبحث الأول: مناسبة الآية لما قبلها، وما بعدها.

المبحث الثاني: تفسير الآيات.

ويشتمل علىٰ ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تفسير المفردات.

المطلب الثاني: النكت البلاغية، والـمُلَح التفسيرية.

المطلب الثالث: التفسير الإجمالي.

المبحث الثالث: الاعتبار طريق الاهتداء.

المبحث الرابع: الإعذار للعباد قبل العقوبات.

المبحث الخامس: تصريف الأحوال رحمة من الكبير المتعال.

المبحث السادس: أحوال العباد مع البلاء.

المبحث السابع: صلاح الحال الظاهر دون توبة استدراج.

المبحث الثامن: الهلاك بعد الموعظة والنذارة لا مثنوية له.

المبحث التاسع: الله المحمود علىٰ كل حال.

الخاتمة.

الفهارس العامة.

حدود الموضوع:

حدود الموضوع الذي أريد بحثه: الآيات المتعلقة بالأخذ بالبأساء والضراء في سورة الأنعام من الآية (٤٢) إلىٰ الآية (٤٥)، ودراستها دراسة تفسيرية وَفق الخطة المرسومة، مهتديًا في ذلك بما ذكره علماء التفسير حول هذه الآية، مع ما ييسِّره الله من ترتيب وتنسيق، وما يفتح به من استنباطٍ للدروس والعِبر من هذه الآيات، وبالله التوفيق.

أهمية الموضوع:

لهذا الموضوع أهمية بالغة من جوانب عديدة، منها:

١- أنه يعالج موضوعًا لله فيه سُنة جارية في خَلقه؛ مما يوقظ الضمائر، ويُحيي القلوب، ويُلفت الأنظار، فإن سُنن الله لا تتغير، ولا تتبدَّل، وهي جارية علىٰ خَلقه.

٢- أنه يشير إلىٰ القصص القرآني المتميز بعنايته بجانب العِظة والعِبرة، ويلفت النظر إليه لمعرفة ما يدلُّ عليه من سُنن الله الجارية.

٣- الحاجة الماسَّة إلىٰ الدراسات العلمية التي تمسُّ حياة الناس، وتلامس قلوبَهم.

أسباب اختيار الموضوع:

تتلخَّص أسباب اختيار الموضوع فيما يلي:

١- ما تقدم ذكره في أهمية الموضوع.

٢- ما يقتضيه حال العالَـم اليوم الذي استشرىٰ فيه الفساد إلا ما رحم الله، من وجوب النظر، والتأمل، والاعتبار بسُنن الله الجارية، واستقراء التاريخ الإنساني، والقصص القرآني.

٣- قلة الدراسات التي تُعنىٰ بهذا الجانب، وتعالج واقع الناس اليوم، وتلامس حاجاتهم، مهتدية بكتاب ربهم.

٤- الرغبة في المساهمة في إثراء المكتبة الإسلامية في جانب من جوانب الاهتداء بالقرآن الكريم من خلال التدبُّر في الآيات التي أشارت إلىٰ سُنن ربانية، الحاجة لدراستها ماسَّة.

الدراسات السابقة:

الدراسات المتعلِّقة بالسُّنن الإلهية متنوِّعة في موضوعاتها، ومجالات بحثها.

وقد نجد في بعض مؤلَّفات العلماء السابقين ما يمكن إدراجه تحت: «السُّنن الإلهية» بصفة عامَّة، ومن ذلك:

١- «العقوبات الإلهية للأفراد والجماعات والأمم»، لابن أبي الدنيا (ت:٢٨١هـ)، حيث بيَّن فيه أسباب العقوبات الإلهية وأنواعها، وآثار المعاصي علىٰ البَشر، وما تحت أيديهم، مع تطبيق ذلك علىٰ الأمم والأقوام السابقة.

وقد طُبع طبعته الأولىٰ بتحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، عام ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٢- «الذُّنوب وأثرها السيِّئ علىٰ الأفراد والمجتمعات والشعوب»، لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، وقد طُبع طبعته الأولىٰ بتحقيق ودراسة وتخريج: إبراهيم بن عبد الله الحازمي، بدار الشريف، الرياض، السعودية، عام ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٣- «السُّنن الإلهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم.. أصول وضوابط»، للدكتور: مجدي محمد محمد عاشور، وقد طُبع بدار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، عام ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

٤- «السُّنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية»، للدكتور: عبد الكريم زيدان، وقد طُبع بمؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، عام ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٥- «السُّنن الإلهية في السيرة النبوية» للدكتور: رشيد كهوس، وقد طُبع بدار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، عام ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.

٦- «مفهوم السُّنن الإلهية في القرآن الكريم وعَلاقته بمباحث العقيدة» للأستاذ: خالد محمد أبو الفتوح، علىٰ الشبكة العنكبوتية http://almoslim.net/elmy/290530

٧- «السُّنن الإلهية في القرآن الكريم، ودورها في استشراف المستقبل»، عماد خصاونة - خضر قزق، علىٰ الشبكة العنكبوتية https://andalusiat.com

٨- «مفهوم السُّنن الربَّانية في ضوء القرآن الكريم»، للأستاذ الدكتور: رمضان خميس زكي، علىٰ الشبكة العنكبوتية: www.riyadhalelm.com

أهمية دراسة السنن الإلهية:

السُّنن الإلهية «هي ما اطَّرد مِن فِعل الله في معاملة الأمم والأفراد، بعلمٍ وعدلٍ وحكمةٍ، بناءً علىٰ أفعالهم، وسلوكهم، وموقفهم من شرع الله، وأثر ذلك في الدنيا والآخرة»(١).

ولدراسة السُّنن الإلهية أهمية بالغة لأمورٍ، منها:

١ - أنَّ فَهم سُنن الله في خَلقه يُعين المسلم علىٰ فَهم معاني أسماء الله الحسنىٰ، وصفاته العُلىٰ، وأفعاله الجميلة، تأمل قول الله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [الأنفال: ٥٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ

---

(١) انظر: «السنن الإلهية في القرآن الكريم، ودورها في استشراف المستقبل»، عماد خصاونة (ص٦).

مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الروم: ٥٠].

٢- معرفة سُنن الله تُعين علىٰ فَهم التاريخ، وتحليل الأحداث؛ فالظُّلم سببٌ للهلاك، والعدل سببٌ للبقاء والنَّماء، والاجتماع سبب للقوَّة والعِزَّة، والتفرُّق سبب للضَّعف والهلاك... وهكذا.

٣- معرفة السُّنن، والسَّيْر علىٰ هداها سبب للنصر، والعزِّ، والتمكين، والفلاح، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

٤- في معرفة السُّنن ما يرسِّخ في المؤمنين تعظيم الله وحبَّه، فأحكامه عادلة، وأفعاله حكيمة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤].

المبحث الأول:

مناسبة الآيات لما قبلها، وما بعدها

سورة الأنعام من عجائب السور؛ فقد اشتملت علىٰ تقرير التوحيد بأساليبَ شتَّىٰ، كما اشتملت علىٰ محاجَّة المشركين، وبيان ضلالاتهم وجهالاتهم، وحالهم المؤسفة المحزنة مع رسولٍ رؤوفٍ رحيمٍ، فهو يدعوهم للتوحيد، وهم في جهالات وضلالات يسمو عنها العقلاء، ويجمعون مع هذا تكذيبًا واستهزاءً؛ لذا قال تعالىٰ: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

فجاءت آيات هذه السورة تُلفت نظر المشركين إلىٰ عاقبة المكذِّبين قبلهم، وكيف أدَّىٰ بهم كفرُهم وعنادهم إلىٰ هلاكهم وخسرانهم، وتلك آثارهم شاهدة عليهم.

قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَـٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ [الأنعام: ٦].

وقال بعد ذلك: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام: ١١].

فجاءت هذه الآية في هذا السياق للوعظ بحال قومٍ لم ينتفعوا بمواعظ الله؛ فأخذهم أَخْذ عزيزٍ مقتدرٍ، ففي ذلك عِظة وعِبرة.

ففي الآيات موضع البحث يقول تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ۝٤٢ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٤٣ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۝٤٤ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:٤٥].

ففي هذه الآيات تسليةٌ للنبي ﷺ أنه ليس أول من كُذِّب، ولا قومه أول من كذبوا؛ لذا قال تعالىٰ قبل هذه الآيات: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤].

فلا يحزنك قولهم، ولا حالهم، فقد أعذر الله إليهم، ومن يضلل الله فلا هادي له(١).

وقال القرطبي: «وهذه الآية متصلة بما قبلها اتصال الحال بحالٍ قريبةٍ منها، وذلك أن هؤلاء سلكوا في مخالفة نبيِّهم مسلك مَن كان قبلهم في مخالفة أنبيائهم، فكانوا بعرض أن ينزل بهم من البلاء ما نزل بمن كان قبلهم»(٢).

«ولما قدّم التنبيه بإتيان مُطلق العذاب في مُطلق الأحوال بقوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأنعام:٤٠].

وكان الإتيان بالكاف، ثَمَّ مشيرًا -مع إفادة التأكيد- إلىٰ أن ثَمَّ نوع مُهْلة، وأتبعه أن أَخْذ الأمم كان بغتةً، أعقبه بالتنبيه بعذاب خاص، تصورُ شناعته يهد الأركان، ويقطع الكبود، ويملأ الجنان، فإنه لا أشنع حالًا من أصمٍّ أعمىٰ مجنون، فقال مشيرًا -بإسقاط كاف الخطاب مع التعبير بالأخذ الذي عهد أنه للبغت

(١) انظر: «البرهان في تناسب سور القرآن»، للغرناطي (١: ٢١٠)، و«روح المعاني»، للألوسي (٤: ١٤٣).
(٢) «الجامع لأحكام القرآن»، للقرطبي (٦: ٤٢٤).

بالسطوة والقهر- إلىٰ غاية التحذير من سرعة الأخذ، فقال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام:٤٦].

فكانت حقيقة المقترن بالكاف: هل رأيتم أنفسكم، وهذا: هل رأيتم مطلق رؤية لما يدل عليه من الإيماء إلىٰ طلب الإسراع بالجواب خوف المفاجأة بالعذاب»(١).

(١) انظر: «نظم الدرر»، للبقاعي (٧: ١١٧، ١١٨).

المبحث الثاني:

تفسير الآيات، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تفسير المفردات:

﴿أُمَمٍ﴾، أي: جماعات وقرون[١] وأقوام كُثُر.

﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾، أي: أصبناهم إصابة تمكُّن، ليرجعوا ويرعووا، وفي ذلك معنى القهر، وقد ذكر متعلِّق الأخذ هنا؛ لأنه أَخْذ بشيءٍ خاص بخلاف الآتي بُعَيد هذا[٢].

«**البأساء**»: شدَّة الفَقر، والضِّيق في المعيشة.

وهذا قول ابن مسعود ﵁، وقتادة، والضَّحاك، وغير واحد[٣].

ويشهد له قوله تعالىٰ: ﴿وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ [الحج:٢٨].

«**الضراء**»: الأسقام والعِلل العارضة في الأجسام.

وهو أيضًا قول ابن مسعودٍ ﵁، وقتادة، والضَّحاك، وغير واحد.

ويشهد له قوله تعالىٰ مخبراً عن مقالة أيوب ﵇: ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٣].

﴿يَتَضَرَّعُونَ﴾: يدعون الله بِذُلٍّ واستكانةٍ وإنابةٍ، من الضراعة وهي الذّلة، يقال:

---

(١) «جامع البيان»، للطبري (١: ٣٥٤).

(٢) انظر: «التحرير والتنوير»، للطاهر ابن عاشور (٢: ٢٧١)، (٧: ٢٢٧).

(٣) المرجع السابق (٣: ٣٥٠).

ضرع فهو ضارع[1].

﴿فَلَوۡلَآ﴾: هلَّا؛ وهي التي تلي الفعل بمعنىٰ التحضيض، وهذا عتاب علىٰ تَرك الدعاء، وإخبار عنهم أنهم لم يتضرعوا حين نزول العذاب[2].

﴿بَأۡسُنَا﴾: عذابنا[3]، ومنه قوله: ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾ [غافر:٢٩].

﴿قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾، أي: صَلُبت وغلظت، وهي عبارة عن الكفر والإصرار علىٰ المعصية[4] يشهد له ﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗ﴾ [البقرة:٧٤].

﴿نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾: تركوا ما وُعِظوا به، وأعرضوا عنه، وعاملوه معاملة المنسيِّ. وهذا قول ابن عباس، وغير واحد[5].

﴿فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ﴾: فتحنا عليهم كلَّ شيء كان مغلقًا عليهم، فبدَّلنا مكان البأساء الرَّخاء والسَّعَة في العيش، ومكان الضراء الصِّحة والسلامة في الأبدان والأجسام؛ استدراجًا منَّا لهم[6].

﴿أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ﴾، أي: فجأة وهم في غرورهم وغفلتهم وتماديهم، ومعنىٰ الأخذ هنا: الإهلاك، ولذلك لم يذكر له متعلق كما ذكر في قوله آنفًا: ﴿فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾؛ للدلالة علىٰ أنه أَخْذٌ لا هوادة فيه[7].

---

(١) «جامع البيان»، للطبري (١١: ٣٥٥)، و«الجامع لأحكام القرآن»، للقرطبي (٦: ٤٢٥).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن»، للقرطبي (٦: ٤٢٥).

(٣) «جامع البيان»، للطبري (١١: ٣٥٦).

(٤) «الجامع لأحكام القرآن»، للقرطبي (٦: ٤٢٥).

(٥) «الجامع لأحكام القرآن»، للقرطبي (٦: ٤٢٦)، «جامع البيان»، للطبري (١١: ٣٥٧).

(٦) «جامع البيان»، للطبري (١١: ٣٥٨)، وعزاه إلىٰ مجاهد وقتادة وغير واحد.

(٧) «التحرير والتنوير»، للطاهر ابن عاشور (٧: ٢٣١).

ويشبه هذا قوله تعالىٰ -مبينًا سرعة الغِيَر حينما يغتر العباد بحالهم، وينسون ربهم-: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤].

﴿مُّبْلِسُونَ﴾: منقطعون آيسون من كل خيرٍ.

قال القرطبي: «المبلس: الباهت الحزين، الآيس من الخير، الذي لا يحير جوابًا لشدة ما نزل به من سوء الحال، ومن ذلك اشتق اسم إبليس»(١).

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾، أي: استؤصلوا عن آخرهم(٢).

ولا يزال في الشيء بقية حتىٰ يقطع دابره، أي: آخره، فذلك الـمَحْقُ، والهلاك العام.

المطلب الثاني: النكت، والأسرار البلاغية، والملح التفسيرية في الآيات:

﴿وَلَقَدْ﴾: اللام موطئة للقسم، و«قد» للتحقيق، وهذا تأكيد للخبر بمؤكدين، وهو دليل رحمة الله بعباده، فمع أنه لا تضره معصية العاصين، كما أنه لا تنفعه طاعة المطيعين، ولا أصدق منه قيلًا -دون تأكيدٍ- إلا أنه يؤكد الكلام بمؤكدات؛ ليبلغ ذلك مبلغًا في نفوس السامعين لعلهم أن ينتفعوا لمصحلتهم هم.

قوله تعالىٰ: ﴿أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم﴾ في الكلام حذف يدلُّ عليه الظاهر، والتقدير: «أرسلنا إلىٰ أمم من قبلك رسلًا فكذبوا»(٣)، وذلك لأنَّ الأَخْذ

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن»، للقرطبي (٦: ٤٢٧).

(٢) انظر: «جامع البيان»، للطبري (١١: ٣٦٣) و«المحرر الوجيز»، لابن عطية (٢: ٢٩٢).

(٣) انظر: «الجامع لأحكام القرآن»، للقرطبي (٦: ٤٢٤).

مترتِّب علىٰ التكذيب، لا علىٰ إرسال الرسل، وفي تنكير «أمم» دلالة علىٰ كَثرة هذا، وهو أبلغ في التسلية بحال أقوامٍ كُثر أرسل الله إليهم رسلًا فكذبوا(١).

ولما كان أخذهم بالبأساء والضراء مقارنًا لزمن وجود رسلهم بين ظهرانيهم، جاء العطف بالفاء؛ ليدلَّ أن ذلك بمرأىٰ من رسلهم، وقبل انقراضهم؛ ليكون إشارةً إلىٰ تأييد الله رسله، ونصرهم في حياتهم(٢).

قوله تعالىٰ: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ﴾، «لعل» هنا للترجي، وهذا دليل رحمة الله بهم؛ حيث قدم لهم عذابًا هينًا يمكن رفعه؛ ليوقظهم قبل العذاب الأكبر الذي لا يرفع كما قال: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [السجدة: ٢١].

وفيه إنذارٌ لقريش؛ لئلَّا يصيبهم مثل ما أصاب من قبلهم من المكذبين(٣).

قوله تعالىٰ: ﴿فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا﴾ «لولا» هنا التحضيضية، ولكن لما دخلت علىٰ جملة فعلية ماضية، دلَّت علىٰ التوبيخ(٤).

وجاء بـ «لولا» ليفيد أنه لم يكن لهم عُذر في تَرْك التضرع إلا عنادهم، وقسوة قلوبهم، وإعجابهم بأعمالهم التي زيَّنها الشيطان(٥).

قوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ الاستدراك يدلُّ علىٰ أن التذكير لم يُجْدِهم شيئًا، بل زادوا إعراضًا حتىٰ قست قلوبهم.

---

(١) انظر: «مفاتيح الغيب»، للرازي (١٢: ٥٣٣) و«المحرر الوجيز»، لابن عطية (٢: ٢٩١).

(٢) «التحرير والتنوير»، للطاهر ابن عاشور (٧: ٢٢٧).

(٣) انظر: «التحرير والتنوير»، للطاهر ابن عاشور (٧: ٢٢٨).

(٤) المرجع السابق بصحيفته.

(٥) «الكشاف»، للزمخشري (٢: ٢٣).

وقوله: ﴿قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ يدلُّ علىٰ شدَّة إعراضهم؛ حيث صورت بصورة محسوسة، وهي القسوة، كما قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةً﴾ [البقرة: ٧٤].

قوله تعالىٰ: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ يدلُّ علىٰ قُبح ما أتوا، وإنما زيَّنه الشيطان -عدو الإنسان- لهم.

قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ يدلُّ علىٰ إعراضهم عما ذُكِّروا به، إعراضَ مَن لم يقم بقلبه شيء.

كما يدلُّ قوله: ﴿مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ أنَّ الإعراض متعمَّد، والحجة قد قامت، فعرضوا أنفسهم للعقوبة.

قوله تعالىٰ: ﴿فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ «كل» هنا من العام الذي أريد به الخصوص، أي: كلّ شيء كان مغلقًا عليهم، وهم يبتغونه(١).

قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ﴾ دليلٌ أنَّ الأَخذ لهم إنما كان في وقت نشوتهم وغرورهم، ذلك أنكىٰ لهم، وأمكن لاستدراجهم.

قوله: ﴿أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً﴾ دليل علىٰ شدَّة العقوبة، وأنها لم تأتِ بالتدرج، وإنما جاءت فجأةً، وهذا كما تقدَّم أنكىٰ لهم أيضًا.

قوله: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ دليل علىٰ استئصالهم؛ لأنَّ الشيء إذا قُطع دابره، لم يبقَ له بقيَّة، وذلك عذاب الاستئصال.

ولما كان من عادة الغالب من أهل الدنيا أن يفوته آخر الجيوش وشُذَّاذهم، لملل أصحابه من الطلب، وضجرهم من النَّصَب والتعب، وقصورهم عن الإحاطة

---

(١) انظر: «التحرير والتنوير»، للطاهر ابن عاشور (٧: ٢٣٠).

بجميع الأرب، أخبر تعالىٰ أنَّ أَخْذه علىٰ غير ذلك، وأن نَيْله للآخر كنَيْله للأول علىٰ حدٍّ سواء(١).

وفي قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ وضعٌ للظاهر موضع الضمير، والغرض منه بيان سبب أخذهم، وهو ما في صلة الموصول: «ظلمهم».

قوله: ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ دليل علىٰ أنَّ أخْذَ الظالمين مما يحمد عليه الله؛ إذ هو من أجلِّ النِّعم، وأجزل القِسَم؛ لأنه متمشٍّ مع الحكمة الإلهية، والعدل الرباني، والوفاء بوعده لرسله(٢). ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾ [المجادلة: ٢١]، فالحمد لله رب العالمين.

المطلب الثالث: المعنى الإجمالي للآيات:

يخبر تعالىٰ نبيَّه ﷺ خبرًا محققًا، مؤكدًا باليمين، مسليًا لنبيِّه عن تكذيب المكذبين، أنه أرسل إلىٰ أمم غابرة رسلًا كُثُر، فدعوهم إلىٰ ربهم، فأعرضوا، فوعظهم ربُّهم بابتلائهم بأنواع البلايا؛ بشدةٍ في عيشهم، ومرضٍ في أجسادهم؛ لعلهم أن ينكسروا، فيرجعوا لربهم، ويخبتوا إليه، ويَدْعوه بذِلَّةٍ واستكانةٍ.

ولكنهم لتمكُّن الشرّ من نفوسهم، تمادَوا في غيِّهم وضلالهم، وأعرضوا عن ربهم الرحمن، واتبعوا عدوهم الشيطان الذي حسَّن لهم الباطل، فالقلوب فاسدة، والمقاصد فاسدة، فأعرضوا عن الهُدىٰ، واتبعوا الهَوىٰ.

فلمَّا قامت عليهم الحُجة، وأعرضوا عمَّا ذُكِّروا به من آياتٍ بيناتٍ، وعِبَرٍ وعظاتٍ، وكانوا مستحقين للعذاب، استدرجهم فتح الله عليهم من أبواب الخيرات

(١) انظر: «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، للبقاعي (٧: ١١٦).

(٢) انظر: «الكشاف»، للزمخشري (٢: ٢٤).

التي كانوا يؤمِّلون، وكانت مغلقةً عليهم، وهم في غيِّهم وضلالهم، وعدم استكانتهم، أو شكرهم، فلمَّا فرحوا فرحَ بَطَر وأشَر، أخَذَهم الله وهم في نشوتهم وسرورهم مع عدم شكرهم -فجأةً- أَخْذ عزيز مقتدر، فلم يكن لهم وليٌّ يلتجؤون إليه، أو نصيرٌ يعتمدون عليه؛ إذ لم يتعرفوا إلىٰ الله في الرخاء ليعرفهم في الشدَّة، فأيسوا من كل خيرٍ، وانقطعوا من كل صلةٍ، فاستؤصلوا عن آخرهم؛ لظلمهم وبغيهم، وعنادهم، وهذا عدلٌ من القوي العزيز الذي لا يُهْلِك إلا بعد أن يقيم الحُجة، ويعذر من خلقه، فله الحمد والمنَّة علىٰ أفعاله الكريمة، وعزته، وجلاله، فهو الرب، الخالق، المالك، المدبر.

والحمد لله رب العالمين

المبحث الثالث:

الاعتبار طريق الهداية

جاءت هذه الآيات لحِكَمٍ وغاياتٍ عظيمةٍ كما تقدَّم؛ منها: تسلية النبي ﷺ عن تكذيب من كذَّبه من قومه، وأنه ليس بدعًا من الرسل؛ فقد كُذِّب قبله رسلٌ، فما ضرَّهم؛ إذ أدَّوا رسالة ربهم، بل نصرهم الله علىٰ أعدائهم، كما قال في مثل هذه الآيات: ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [الأنعام:١٠].

وقال: ﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الأنعام:٣٤].

والمراد بكلمات الله –والله أعلم– كلماته بنصر رسله وأنبيائه، كما قال: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾ [المجادلة: ٢١]، وقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨]، ومما يدل علىٰ هذا قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧].

وقال سبحانه: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [فاطر:٤].

لذا، قال تعالىٰ لنبيِّه ﷺ: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف:٣٥].

ومن الحِكَمِ لمجيء هذه الآيات أيضًا: تحذير الـمُعْرضين والمكذِّبين عن

إعراضهم وضلالهم، وتذكيرهم بحال سابقة مماثلة لحالهم؛ ليعتبروا بها، فيدعوا -فيتركوا- الإعراض، ويُقْبلوا، وهذا كله يندرج تحت باب جليل القَدر، عظيم النَّفع، وهو الاعتبار بحال من مَضَوا؛ سواء من رُسل الله وما واجهوا، أو الأمم وما استجابوا أو عاندوا، وعاقبة كلٍّ؛ ليكون في ذلك عِبرة، فيُقتدىٰ بالأخيار، ويُتَّقىٰ سبيل الأشرار، ذلك أنَّ سُنن الله في عباده واحدة ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾ [فاطر:٤٣].

لذا، شغل القصص القرآني حيِّزًا عظيمًا من كتاب الله تعالىٰ، وكله يركِّز علىٰ موضع العِظة والعِبرة ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾ [يوسف:١١١].

وقال سبحانه: ﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

يقول الطبري رحمه الله: «فاقصص يا محمد هذا القصص الذي اقتصصتُه عليك من نبأ الذي آتيناه آياتنا، وأخبارَ الأمم التي أخبرتُك أخبارهم في هذه السورة، واقتصَصْت عليك نبأهم، ونبأ أشباههم، وما حلَّ بهم من عقوبتنا، ونزل بهم حين كذَّبوا رسلَنا من نقمتنا علىٰ قومك من قريشٍ، ومَنْ قِبَلَك من يهود بني إسرائيل؛ ليتفكَّروا في ذلك، فيعتبروا ويُنيبوا إلىٰ طاعتنا؛ لئلَّا يحلَّ بهم مثل الذي حلَّ بمن قبلهم من النِّقم والـمَثُلات، ويتدبَّره اليهود من بني إسرائيل، فيعلموا حقيقةَ أمرك، وصحَّة نبوَّتك؛ إذ كان نبأ ﴿ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾ [الأعراف:١٧٥]، من خفيِّ علومهم، ومكنون أخبارهم، لا يعلمه إلا أحبارُهم، ومن قرأ الكُتب ودرَسَها منهم. وفي علمك بذلك وأنت أُمِّيٌّ لا تكتب، ولا تقرأ، ولا تدرس الكتب، ولم تجالس أهل العلم- الحُجَّةُ البينةُ لك عليهم بأنك لله رسول، وأنك لم تعلم ما علِمت من ذلك، وحالُك الحال التي أنت بها إلا بوحيٍ من السماء»(١).

(١) «جامع البيان»، للطبري (١٣: ٢٧٤).

وسُنة الله في خَلقه جارية، وعدله في خَلقه نافذ ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [فصلت:٤٦].

وأيضًا: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٤٨ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلۡعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾ [الأنبياء:٤٨، ٤٩].

فلا غَرْو جاءت هذه الآيات العظيمة التي أنا بصدد تفسيرها؛ لتكون عِبرًا نافعات، وعظاتٍ موقظات لمن آمن بالآيات البيِّنات، فاهتدىٰ بها فيما ينفعه في الحياة، وبعد الممات.

المبحث الرابع:

الإعذار للعباد قبل العقوبات

من دلالات الآيات الكريمات: ما تقرر في غير ما موضعٍ أنَّ الله ﷻ حكمٌ، عدلٌ، ورؤوف، رحيم، لا يعذِّب إلا بعد إقامة الحُجة علىٰ العباد؛ لذا قال هنا: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ﴾ [الأنعام:٤٥]، أي: رُسلًا مبشِّرين ومنذرين، فدعوا أقوامهم، وعلَّموهم، ووعظوهم، وحذَّروهم؛ فأعرضوا، ثم جاءت عقوبات لم تَخْلُ من لطفٍ؛ لأنها ليست عقوبات مطبقة، ولكنها عقوبات موقِظة ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ﴾.

قال تعالىٰ في معرض تقرير هذا المعنىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [الإسراء: ١٥].

وقال: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ [القصص: ٥٩].

وقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٥].

وقال: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ١٣ إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُواْ لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ فَإِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ١٤ فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ١٥ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ

﴿لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَـٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَـٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [فصلت: ١٣-١٧].

ومعنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَهَدَيْنَـٰهُمْ﴾، أي: دَلَلْناهم علىٰ طريق الهدىٰ، وبينَّا لهم ما يأتون، وما يذرون، فهي هداية دلالةٍ وإرشادٍ، وإقامة الحُجة علىٰ العباد، ولكنهم أبَوا وأعرضوا، فأنزل الله بهم بأسَه(١).

وتنزيلًا للآية التي بين أيدينا علىٰ واقع الناس اليوم؛ فقد بيَّن الله لهم المحجة، وأقام عليهم برسالة الإسلام، ونبي الإسلام الحُجةَ، وأبقىٰ فيهم كتابه بهداه وبيانه، محفوظًا بحفظه، دالًّا علىٰ دينه وشرعه، داعيًا إلىٰ توحيده، وعبادته، فمَن أراد السعادة، فهذا بابها مفتوح، وهذا سَنَاها يلوح، ومَن أعرض فقد أردىٰ نفسه، وأضرَّ بها عاجلًا وآجلًا، ولا يجني جانٍ إلا علىٰ نفسه، وله فيمن قبله عِبرة إن كان له قلبٌ أو ألقىٰ السمع وهو شهيد.

---

(١) انظر في هذا: «جامع البيان»، للطبري (٢١: ٤٤٨).

المبحث الخامس:

تصريف الأحوال رحمةً من الكبير المتعال

ذكر الله تعالىٰ في هذه الآيات أن الأمم لما كذَّبوا المرسلين، صرف الله لهم الأحوال، وغيَّر عليهم الحال؛ فأبدلهم بالغنىٰ فقرًا، وبالصِّحَّة سقمًا ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾.

وهذا في حقيقة الأمر رحمة من الله بعباده؛ ليُوقِظهم بموقظات عاجلة قبل أن تَفْجأهم عقوباتٌ دائمةٌ، لذا قال سبحانه: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾، وفي تضاعيف هذا من دلائل رحمة الله الرؤوف الرحيم بعباده ما لا يخفىٰ، فها هو يسوق عباده بخفيِّ ألطافه، ومحكم أقداره إلىٰ مصالحهم هم، من حيث لا يشعرون.

وهذا من ألطاف الله بعباده، وعظيم رحمته بهم، قال تعالىٰ: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف:١٦٨].

قال الطبري: «أي: واختبرناهم بالرَّخاء في العيش، والخفض في الدُّنيا والدَّعة، والسعَة في الرِّزق، وهي (الحسنات) التي ذكرها جلَّ ثناؤه، ويعني بـ(السيئات)، الشدَّة في العيش، والشظف فيه، والمصائب والرزايا في الأموال ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، يقول: ليرجعوا إلىٰ طاعة ربهم، ويُنيبوا إليها، ويتوبوا من معاصيه»(١).

لذا، فقد تنطوي المحنة علىٰ مِنحة، والبلية علىٰ العطيَّة ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء:١٩].

(١) «جامع البيان»، للطبري (١٣: ٢٠٩).

ولهذه الحكمة قال تعالىٰ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم:٤١].

ومن أعظم حِكم الابتلاءات بالمصائب والشدائد: أن يعود العِباد إلىٰ ربهم، قال تعالىٰ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

وفي زماننا هذا أظهر الله لعباده آيةً دالةً علىٰ عظمتِهِ، وجلالِهِ، وقدرتِهِ، وتمامِ ملكه، وعلىٰ عَجز العباد، وضعفهم وقِلة حيلتهم مهما ادَّعوا وتكبَّروا، وبغوا، وتجبروا؛ حيث انتشر في البشرية وباءٌ يسمىٰ «كورونا» حيَّر الأطباء، وأعجز الأقوياء، وبسط نفوذه علىٰ سائر الأرجاء، فَشَلَّ أطراف الحياة، وعزل الناس في بيوتهم، وحال بينهم وبين مصالحهم حتىٰ تضررت معايشهم، فلم تُغْنِ عنهم قوتُهم المزعومة، ولا حضارتهم الموهومة من أمر الله شيئًا.

فأيقظ الله به قلوبًا، وعرف به خلائق لا يحصون قدرة ربهم، بل وردهم إلىٰ ربهم، مُطَّرحين بين يديه، مُفوِّضين الأمر إليه من مسلمٍ وكافرٍ طوعًا وكرهًا.

وتلك -والله- موقظات للعباد، وآياتٌ عظيمةٌ لهم؛ ليرجعوا إلىٰ ربهم، ويؤمنوا به، ويتبعوا نبي الرحمة ﷺ بشرعته العالمية، ورسالته المحمدية؛ لينالوا الحياة الطيبة، والسعادة الأبدية.

المبحث السادس:

أحوال العباد مع البلاء

من الدروس المستفادة من هذه الآيات الكريمة: أنَّ أحوال العباد مختلفة متنوعة عند نزول البلاء، وأَخْذهم بالبأساء والضراء بحسَب حياة القلوب أو موتها، وعلمها أو جهلها، وإقبالها أو إعراضها، وبصيرتها أو عماها؛ حيث قال تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾، وهذا دليل علىٰ أن الضراعة ممكنة، ومن تضرَّع عند البلاء، نفعه تضرُّعه، ورَدَّه للرخاء، وكم من عبد تضرَّع لربه فنجَّاه.

ثم قال تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، وهذا دليل علىٰ حال سيئة لقلوب استحكمت غفلتها، وحقَّت كلمة العذاب عليها.

وعلىٰ هذا، فقلوب العباد عند نزول البلاء العاجل علىٰ نوعين:

النوع الأول:

قلوب حيَّة، أو لا تزال فيها حياة، تنظر بنور ربها، وتتفكر في آلائه، وتعلم ناموسه في الحياة، وأنه لا يظلم الناس شيئًا، وأن الناس أنفسهم يظلمون.

وتستيقن ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء:٧٩]، أي: بسبب ذنوبك.

وتعي قول ربها: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم:٤١].

وقوله: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠]،

فتقف مع نفسها وقفة صِدْق، ويراجع أصحابها أنفسهم، ويصححوا مسارهم، ويتوبوا من ذنوبهم، وينيبوا إلىٰ ربهم، فأولئك الذين عقلوا عن الله، وانتفعوا بمواعظ الله، فعادوا من البلايا بالعطايا، ومن المحن بالمنح، فأنجاهم الله بلطفه ورحمته، وأيقظ قلوبهم بموقظاته وإن أزعجتهم، إلا أنها نذير لما هو أشد وأنكىٰ وأبقىٰ.

وكلما كانت الضراعة أشد، والتوبة أنصح، كان أثرها -بإذن الله- أتم، ومَن صدق الله، صَدَقه الله، ورفع عنه العذاب، وقد ذكر الله لنا أنه رفع العذاب عن قوم يونس لما انعقد عليهم، وخرج نبيُّهم من بين ظهرانيهم فصَدَقوا التوبة، والضراعة، فرحمهم الله، ورفع عنهم العذاب.

قال ابن كثيرٍ ﵀: «والغرض أنه لم توجد قرية آمنت بكمالها بنبيهم ممن سلف من القرىٰ إلا قوم يونس، وهم أهل نينوىٰ، وما كان إيمانهم إلا خوفًا من وصول العذاب الذي أنذرهم به رسولهم بعدما عاينوا أسبابه، وخرج رسولهم من بين أظهرهم، فعندها جأروا إلىٰ الله، واستغاثوا به، وتضرعوا لديه، واستكانوا، وأحضروا أطفالهم ودوابهم ومواشيهم، وسألوا الله تعالىٰ أن يرفع عنهم العذاب الذي أنذرهم به نبيُّهم، فعندها ﵀، وكشف عنهم العذاب، وأُخِّروا، كما قال تعالىٰ: ﴿إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ﴾ [يونس:٩٨].

وقد دل علىٰ هذا الصنف من العباد في الآية قوله: ﴿فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾، وذلك لأن الضراعة نافعتهم، ودافعة العذاب بفضل الله عنهم.

النوع الثاني:

قوم استحكمت الغفلة من قلوبهم، وغلب الران عليها حتىٰ ختم عليها، فلا يزيدها البلاء إلا إعراضًا، وعتوًّا، وتمردًا، وتكبرًا، وهذا الصنف هو المشار إليه

بقوله: ﴿وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٣].

فهم بجهلٍ مركبٍ يجهلون، ويجهلون أنهم يجهلون؛ لأن قلوبهم قد ماتت، وبصائرهم قد عميت، فحالهم حال من وصفهم الله بقوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾ [الصف: ٥].

وحال من وصفهم بقوله: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾[الأعراف:١٧٩].

والإعراض بعد الإعذار هلكة.

وإعراض هؤلاء على أنواع:

* فإما أن ينسبوا ما نزل بهم إلىٰ المصلحين، وإصلاحهم تشاؤمًا وتطيرًا، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا﴾ [النساء: ٧٨].

وكما قال مخبراً عن قوم فرعون الذين كانوا هكذا مع آيات الله ومواعظه ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٣١].

* وإما أن يُعرضوا عن ربهم، ويتوجهوا لغيره ممن لا يضر ولا ينفع من أولياء وأدعياء، أو من أمورٍ ماديةٍ مع الإعراض عن الله تعالىٰ، وتلك لا تُجْدي بمجردها شيئًا. ولهؤلاء نصيب من حال قومهم، وصفهم الله بقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ۝١١ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ۝١٢ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ﴾ [الحج:١٢، ١٣].

فالموفَّق مَن يكون بأحسن المنازل؛ فإن أُعطِي شكر، وإن ابتُلِي صبر، وإن أذنب استغفر، فإذا ما ابتُلِي، اتَّهم نفسه، وأحسن الظن بربه، فعاد باللائمة علىٰ نفسه، وعاد عليها بسياط التأديب والتهذيب ليقومها علىٰ الطريق، وأحسن الظن بربه، فتاب إليه، وأناب إليه، ورجا خيرًا بيديه، وهو القائل في الحديث القدسي: «**أنا عند حُسن ظن عبدي بي**»(١).

(١) رواه البخاري في «صحيحه»، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالىٰ: «ويحذركم الله نفسه» (٩: ١٢١) ح (٧٥٠٤)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الذكر والدعاء، باب الحث علىٰ ذكر الله تعالىٰ (٤: ٢٠٦١)، (٢٦٧٥).

المبحث السابع:

صلاح الحال الظاهر دون توبةٍ؛ استدراج

من الدروس المستفادة من هذه الآية: أن صلاح الحال الظاهر دون توبةٍ وإنابةٍ، وتصحيحٍ للمسار، ما هو إلا استدراج من العزيز الحكيم، وهو دليل علىٰ أنَّ أولئك القوم قد انعقد عذابهم، وحضرت هلكتهم، تأمَّل قول الله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾.

فهؤلاء القوم قد أُخِذُوا بالبأساء والضراء، فلم يتضرعوا، بل تمادوا في غيِّهم؛ فحقَّت كلمة العذاب عليهم؛ إذ أعذر الله منهم، فأوَّل ذلك أن استدرجهم الله، وأمهلهم، ومدَّ لهم ليغتروا، فيأخذهم أَخْذ عزيز مقتدر، كما قال: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء:١٦].

قال الطبري: «أمرنا مترفيها بالطاعة، ففسقوا فيها بمعصيتهم الله، وخلافهم أمره»(١).

وقد جاء في كتاب الله تعالىٰ تقرير هذا المعنىٰ، وهو الاستدراج للمعرضين بعد إقامة الحجَّة عليهم ووعظهم، وذلك ليُؤخذوا علىٰ غِرة؛ ليكون ذلك أنكىٰ لهم، وأوجع وأشد.

فمن أظهر ذلك، هذه الآية، ففيها ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾.

(١) «جامع البيان»، للطبري (١٧: ٤٠٣).

روى الإمام أحمد في «مسنده» أنَّ النبي ﷺ قال: «**إِذَا رَأَيْتَ اللهَ يُعْطِي العَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَىٰ مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ**»، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾(١).

وقد تضافرت عبارات العلماء في تقرير هذا المعنىٰ، فقال الحسن البصري رحمه الله: «مَن وُسِّع عليه، فلم يَرَ أنه يُمْكَر به، فلا رأْيَ له، ومَن قُتِّر عليه فلم يَرَ أنه يُنظَر له، فلا رأْيَ له»، ثم قرأ: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾(٢).

وقال الحسن: «مُكِر بالقوم ورَبِّ الكعبةِ، أُعْطُوا حَاجَتهم، ثُم أُخِذوا»(٣).

وقال قتادة: «بَغَتَ القومَ أَمْرُ الله، وما أَخَذَ الله قومًا قطُّ إلا عند سَلْوَتِهم وغِرَّتِهم ونِعْمتِهم، فلا تَغترُّوا بالله، إنه لا يَغترُّ بالله إلا القومُ الفاسقونَ»(٤).

قال ابن القيم في «عُدة الصابرين»:

«قال سفيان في قوله: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٨٢]: «يُسبغ عليهم النِّعم، ويمنعهم الشكر». وقال غير سفيان: «كلما أحدثوا ذنبًا، أحدث لهم نِعمة»»(٥).

ومن الآيات الدالة علىٰ هذا المعنىٰ، وهي أشبه شيءٍ بآية البحث: قول الله

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣٥: ١٨٣).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥: ٢٣٢).

(٣) المرجع السابق بصحيفته.

(٤) المرجع السابق بصحيفته.

(٥) «عدة الصابرين»، لابن القيم (١: ١٣٢).

تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ٩٤ ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [الأعراف:٩٤، ٩٥].

ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [آل عمران:١٧٨].

وقوله: ﴿أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ٥٥ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ﴾ [المؤمنون:٥٥، ٥٦].

قال القرطبي: «أي: أيحسبون يا محمد أنَّ الذي نعطيهم في الدنيا من المال والأولاد هو ثوابٌ لهم، إنما هو استدراجٌ وإملاءٌ، ليس إسراعًا في الخيرات»(١).

وقال السعدي: «أي: أيظنُّون أنَّ زيادتنا إيَّاهم بالأموال والأولاد دليل علىٰ أنهم من أهل الخير والسعادة، وأن لهم خير الدنيا والآخرة؟ وهذا مقدَّم لهم؟ ليس الأمر كذلك ﴿بَل لَّا يَشۡعُرُونَ﴾ إنما نملي لهم، ونُمهلهم، ونمدهم بالنِّعم ليزدادوا إثمًا، وليتوفر عقابهم في الآخرة، وليغتبطوا بما أوتوا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾»(٢).

فلينظر العاقل في حاله ليعرف هل هو من المنعمين أو المستدرجين، ويعتبر ذلك بحاله مع ربه، فإن كان ذاكرًا شاكرًا منيبًا، فهو من المنعمين، وإن كان بخلاف ذلك، فهو من المستدرجين؛ فليُفِق من غفلته، وليجدد توبته، ويَصْدق في أَوْبته، وبالله التوفيق.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن»، للقرطبي (١٢: ١٣١).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، للسعدي (١: ٥٥٣).

المبحث الثامن:

الهلاك بعد الموعظة والنذارة لا مثنوية له

لا يزال المرء في فسحةٍ من أمره، وسَعةٍ من وقته؛ ليتوب وينيب إلىٰ ربه حتىٰ ينعقد العذاب، ويعاينه، فحينئذٍ لا تنفعه التوبة؛ لأنَّ الغيب قد صار مشاهدًا، وزمن الإمهال قد انقضىٰ، وحل زمن العقوبة والهلاك، والإياس من النجاة، والإبلاس.

ودلالة هذا المعنىٰ لائحةٌ من خلال قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ٤٤ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ﴾ [الأنعام: ٤٤، ٤٥].

فهذا هو الإبلاس، وهو الحسرة، والانقطاع، والإياس من الخير، لنزول عذاب لا مثنوية له، ولا إمهال معه، بل كانت العاقبة الاستئصال، الدال علىٰ الهلاك المستوعب ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ﴾.

وما قُطع رأسه، بقي دابره، أما إذا قُطع دابره، فأيّ شيءٍ يبقىٰ منه؟! إنه الهلاك المسحت.

وقد دل علىٰ هذا المعنىٰ غير ما آيةٍ من كتاب الله تعالىٰ، منها قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ٨٤ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [غافر: ٨٤، ٨٥].

قال ابن كثير رحمه الله: «﴿فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا﴾»، أي: عاينوا وقوع العذاب بهم، ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ﴾، أي: وحدوا الله، وكفروا بالطاغوت، ولكن حيث لا تقال العثرات، ولا تنفع المعذرة، وهذا كما قال فرعون حين أدركه

الغرق: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [يونس:٩٠]، قال الله ﷻ: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [يونس:٩١]، أي: فلم يقبل الله منه؛ لأنَّه قد استجاب لنبيِّه موسىٰ دعاءه عليه حين قال: ﴿وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ [يونس:٨٨]، وهكذا هاهنا قال: ﴿فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦ﴾، أي: هذا حكم الله في جميع مَن تاب عند معاينة العذاب: أنه لا يُقبل؛ ولهذا جاء في الحديث: «**إنَّ اللهَ يَقبَل توبةَ العبدِ ما لم يُغرغر**»(١)، أي: فإذا غرغر، وبلغت الروح الحنجرة، وعاين الملك، فلا توبة حينئذٍ، ولهذا قال: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾(٢).

وقال السعدي: «﴿فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا﴾، أي: عذابنا، أقرُّوا حيث لا ينفعهم الإقرار ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ﴾ من الأصنام والأوثان، وتبرَّأنا من كلِّ ما خالف الرُّسل، من علمٍ أو عملٍ.

﴿فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا﴾، أي: في تلك الحال، وهذه ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ﴾ وعادته ﴿ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦ﴾ أنَّ المكذِّبين حين ينزل بهم بأسُ الله وعقابه إذا آمنوا، كان إيمانهم غير صحيح، ولا منجيًا لهم من العذاب، وذلك لأنَّه إيمان ضرورة، قد اضطروا إليه، وإيمان مشاهدة، وإنما الإيمان النافع الذي ينجي صاحبه هو الإيمان الاختياري الذي يكون إيمانًا بالغيب، وذلك قبل وجود قرائن العذاب.

﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ﴾، أي: وقت الإهلاك، وإذاقة البأس ﴿ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ دينهم ودنياهم وأخراهم، ولا يكفي مجرد الخسارة في تلك الدار، بل لا بدَّ من خسران يشقي في العذاب الشديد، والخلود فيه، دائمًا أبدًا»(٣).

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١٠: ٣٠٠)، وحسنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (١: ٣٨٦).

(٢) «تفسير القرآن العظيم»، لابن كثير (٧: ١٦٠).

(٣) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، للسعدي (١: ٧٤٣).

المبحث التاسع:

الله المحمود على كل حال

من الدروس المستفادة من هذه الآيات: تقرير الحقيقة الثابتة، أنَّ الله تعالىٰ هو المحمود علىٰ كلِّ حالٍ، فلما أخبر الله تعالىٰ بهلاك المعرضين بعد استدراجهم، ختم ذلك بقوله: ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:٤٥].

والحمدُ ثناءٌ علىٰ الله بما هو أهله، وهو أعمُّ من الشكر؛ حيث إنه يكون علىٰ المحاسن والإحسان، أي: علىٰ الصفات اللازمة المتعلقة بالله؛ كالعزَّة والعدل والعلو، والمتعدية وهي الواصلة آثارها إلىٰ العباد؛ كالخلق والرِّزق والإحياء والهداية، ونحو ذلك.

فالله تعالىٰ مستحقٌّ للحمد علىٰ كلِّ حال، وهو المحمود علىٰ إظهار عزَّته وعدله، كما أنه المحمود علىٰ نُصرة أنبيائه وأوليائه، وإهلاك أعدائه.

قال الطبري ﵀: «والثناء الكامل والشكر التام لله ربِّ العالمين علىٰ إنعامه علىٰ رسله، وأهل طاعته بإظهار حججهم علىٰ مَن خالفهم من أهل الكفر، وتحقيق عِدَاتِهم ما وَعَدوهم علىٰ كفرهم بالله، وتكذيبهم رسله مِن نِقم الله، وعاجل عذابه»(١).

وقال الرازي: «قوله: ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فيه وجوهٌ:

الأول: معناه أنه تعالىٰ حمد نفسه علىٰ أنْ قَطع دابرهم، واستأصل شأفتهم؛

(١) «جامع البيان»، للطبري (١١: ٢٦٤).

لأنَّ ذلك كان جاريًا مجرىٰ النِّعمة العظيمة علىٰ أولئك الرُّسل في إزالة شرِّهم عن أولئك الأنبياء.

والثاني: أنه تعالىٰ لما علم قسوة قلوبهم، لزم أن يقال: إنه كلَّما ازدادت مُدة حياتهم، ازدادت أنواع كفرهم ومعاصيهم، فكانوا يستوجبون به مزيد العقاب والعذاب، فكان إفناؤهم وإماتتهم في تلك الحالة موجبًا ألَّا يصيروا مستوجبين لتلك الزيادات من العقاب، فكان ذلك جاريًا مجرىٰ الإنعام عليهم.

والثالث: أن يكون هذا الحمد والثناء إنما حصل علىٰ وجود إنعام الله عليهم في أنْ كلفهم، وأزال العُذر والعلة عنهم، ودبرهم بكل الوجوه الممكنة في التدبير الحسن، وذلك بأنْ أخَذهم أولًا بالبأساء والضراء، ثم نقلهم إلىٰ الآلاء والنَّعماء، وأمهلهم، وبعث الأنبياء والرسل إليهم، فلما لم يزدادوا إلا انهماكًا في الغيِّ والكفر، أفناهم الله، وطهَّر وجهَ الأرض من شرِّهم، فكان قوله: ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ علىٰ تلك النِّعم الكثيرة المتقدمة»(١).

(١) «مفاتيح الغيب»، للرازي (١٢: ٥٣٥).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، والصلاة والسلام علىٰ مَن أرسله ربُّه بالآيات البينات، والحجج القاطعات، والعِبر الموقظات.

وبعد:

فبعد معالجة هذا الموضوع علىٰ عجالةٍ، أخلص للنتائج التالية:

١- أن قصص الأنبياء لها الآثار البالغة في الاعتبار، وهو مجالٌ رحبٌ للدروس والعبر، والوعظ بها.

٢- تصريف الأحوال رحمة من الله، لا ينتفع بها إلا الموفقون.

٣- الإعراض بعد الإنذار، وبعد ظهور العقوبات الموقظة العاجلة مُؤْذنٌ بالهلاك الذريع، والعذاب الأليم.

٤- سُنن الله الجارية في خَلقه لا تتبدَّل، والموفَّق مَن عرف ناموس الحياة، وسُنة الله في خَلقه، وتعامل مع ذلك بشرع الله تعالىٰ؛ ليكون من المفلحين.

٥- لا تزال الحاجة ماسَّة للكثير من الدراسات التي تستلهم الدروس والعبر من القصص القرآني.

مجلة تدبر

فهرس الآيات

م	الآيات	رقمها	السورة	الصفحة
١٢	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾	٤٢	الأنعام	٢٢٢
١٣	﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾	٤٤	الأنعام	٢٤٢
١٤	﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾	٤٤	الأنعام	٢٤٥
١٥	﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾	٤٥	الأنعام	٢٤٥
١٦	﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا﴾	٩٤	الأعراف	٢٤٤
١٧	﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾	١٣١	الأعراف	٢٤٠
١٨	﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾	١٦٨	الأعراف	٢٣٦
١٩	﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾	١٧٩	الأعراف	٢٤٠
٢٠	﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾﴾	١٨٢	الأعراف	٢٤٣
٢١	﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ﴾	١١٥	التوبة	٢٣٤
٢٢	﴿وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾	٨٨	يونس	٢٤٦
٢٣	﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾	٩٠	يونس	٢٤٦
٢٤	﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ﴾	٩٨	يونس	٢٣٩
٢٥	﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾	١١١	يوسف	٢٣٢

م	الآيات	رقمها	السورة	الصفحة
٢٦	﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾	٦	الرعد	
٢٧	﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾	١٥	الإسراء	٢٣٤
٢٨	﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾	١٦	الإسراء	٢٤٢
٢٩	﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾	٤٨	الأنبياء	٢٣٣
٣٠	﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾	١٢	الحج	٢٤٠
٣١	﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾	٥٥	المؤمنون	٢٤٤
٣٢	﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولًا﴾	٥٩	القصص	٢٣٤
٣٣	﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ﴾	٤١	الروم	٢٣٨،٢٣٧
٣٤	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾	٤٧	الروم	٢٣١
٣٥	﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾	٢١	السجدة	٢٢٧
٣٦	﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ﴾	٨٤	غافر	٢٤٥
٣٧	﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا﴾	٨٥	غافر	٢٤٥
٣٨	﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾﴾	٤	فاطر	٢٣١
٣٩	﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾	٤٣	فاطر	٢٣٢

م	الآيات	رقمها	السورة	الصفحة
٤٠	﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾	١٣	فصلت	٢٣٤
٤١	﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ﴾	٤٦	فصلت	٢٣٣
٤٢	﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾	٣٠	الشورى	٢٣٨
٤٣	﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾	٣٥	الأحقاف	٢٣١
٤٤	﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾	٢١	المجادلة	٢٢٩، ٢٣١
٤٥	﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾	٥	الصف	٢٤٠
٤٦	﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾	٨	المنافقون	٢٣١

فهرس الأحاديث والآثار

م	الأحاديث والآثار	القائل	الصفحة
١	«أنا عند حسن ظن عبدي بي».	الرسول ﷺ	٢٤١
٢	«إِذَا رَأَيْتَ اللهَ يُعْطِي العَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا...».	الرسول ﷺ	٢٤٣
٣	«إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر».	الرسول ﷺ	٢٤٦
٤	«البأساء»: شدة الفقر، والضيق في المعيشة.	ابن مسعود رضي الله عنه	٢٢٤
٥	«الضراء»: الأسقام والعلل العارضة في الأجسام.	ابن مسعود رضي الله عنه	٢٢٤

مجلة تدبر

فهرس المصادر والمراجع

١. «البرهان في تناسب سور القرآن»، الغرناطي، أحمد بن إبراهيم الثقفي (المتوفى: ٧٠٨هـ)، د.ط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، ١٤١٠هـ.

٢. «التحرير والتنوير»، ابن عاشور، محمد بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، ط١، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤هـ.

٣. «تفسير ابن أبي حاتم (تفسير القرآن العظيم)»، ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الرازي (المتوفى: ٣٢٧هـ)، ط٣، مكتبة نزار مصطفى الباز - السعودية، ١٤١٩هـ.

٤. «تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)»، ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢٢هـ.

٥. «تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)»، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ.

٦. «تفسير الألوسي (روح المعاني)»، الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥هـ.

٧. «تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)»، فخر الدين الرازي، محمد بن عمر بن الحسن التيمي، (المتوفى: ٦٠٦هـ)، ط٣، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤٢٠هـ.

٨. «تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)»، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.

٩. «تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل آي القرآن)»، الطبري، محمد بن جرير (المتوفى: ٣١٠هـ)، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.

١٠. «تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)»، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن

الأنصاري، (المتوفى: ٦٧١هـ)، ط٢، دار الكتب المصرية - القاهرة، ١٣٨٤هـ.

١١. «السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية»، الدكتور: عبد الكريم زيدان، د.ط، وقد طبع بمؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، عام ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

١٢. «السنن الإلهية في السيرة النبوية»، الدكتور: رشيد كهوس، د.ط، دار السلام، القاهرة، عام ١٤٣٨هـ.

١٣. «السنن الإلهية في القرآن الكريم، ودورها في استشراف المستقبل»، عماد خصاونة - خضر قزق على الرابط: https://andalusiat.com

١٤. «صحيح الإمام البخاري»، البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

١٥. «صحيح الإمام مسلم»، مسلم بن الحجاج النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، د.ط، دار إحياء التراث العربي - بيروت، د.ت.

١٦. «صحيح الجامع»، الألباني، محمد ناصر الدين (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، د.ط، المكتب الإسلامي، ١٤٠١هـ.

١٧. «مسند الإمام أحمد»، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، د.ط، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ.

١٨. «مفهوم السنن الإلهية في القرآن الكريم وعلاقته بمباحث العقيدة»، الأستاذ:خالد محمد أبو الفتوح على الرابط: http://almoslim.net/elmy/290530.

١٩. «مفهوم السنن الربانية في ضوء القرآن الكريم»، الأستاذ الدكتور: رمضان خميس زكي. www.riyadhalelm.com ،

فهرس الموضوعات

مجلة تدبر



الإشَارَاتُ لِمَا فِي مُقَدِّمَةِ الشَّاطِبيَّة مِنَ الآدَابِ وَالتَّوجِيهَات

د. طَارِق بن سَعِيد أبو رُبعَه السِّهْلي الحَربي

الأستاذ المساعد بقسم القراءات بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية

قدم للنشر في: ١٤٤١/٨/١٩
قبل للنشر في: ١٤٤١/١٠/٢١
نشر في: ١٤٤٢/٧/١

- حصل علىٰ درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية، كلية: القرآن الكريم، بأطروحته: العقد الفريد والدر النضيد في رواية قالون بالتجويد، لجمال الدين محمد بن أحمد المِلحاني (ت بعد ٩١٩ هـ)، من أول الكتاب إلىٰ نهاية باب اللامات، دراسة وتحقيق.
- حصل علىٰ درجة الدكتوراه من الجامعة الإسلامية، كلية: القرآن الكريم، بأطروحته: الجوهر النضيد في شرح القصيد، لأبي بكر ابن أيدُغْدِي، الشهير بابن الجندي (ت٧٦٩ هـ)، من أول فرش سورة (ن) إلىٰ آخر الكتاب، دراسة وتحقيق.
- **بعض النتاج العلمي:**

١- تعامل ابن الجوزي مع القراءات في تفسيره زاد المسير (دراسة وصفيَّة تحليليَّة).

٢- قصيدة مفيدة في مخارج الحروف، للإمام: أبي محمد عبد الله بن علي البغدادي، المعروف بـ: سِبْط الخياط (ت ٥٤١ هـ) رحمه الله (دراسةً وتحقيقًا وشرحًا).

- **البريد الشبكي:** Talsehli@hotmail.com

مجلة تدبر

ملخص البحث

يتحدث البحث عن «منظومة الشاطبية»، وما اشتملت عليها من آدابٍ ونصائحَ وتوجيهات؛ وذلك فيما يتعلق بدينه، وسلوكه مع نفسه، أو معاملته مع الآخرين، وما ينبغي عليه اجتنابه.

وجاء منتظمًا الوصاية بالقرآن الكريم، وبيان أنه حبل الله الممدود، وأنه لا يبلىٰ، وكونه شفيعًا لأصحابه، وفيه الغُنية، وضرورة التمسك به، والإخلاص فيه.

والحث علىٰ رفيع الأخلاق كذلك من: التواضع، والصدق، وسلامة الصدر، والصبر، والحرص علىٰ نفع الناس، والوئام، والنصح للمسلمين.

والتحذير من سيِّئها؛ كالغِيبة، وغيرها من الذنوب والمعاصي.

الكلمات المفتاحية: الإمام - الشاطبي - القرآن - أدب.

References to the Proprieties and Guidelines Contained in Muqaddimah Ash-Shaatibiyyah

Prepared by:
Dr. Taariq bin Sa'eed Abu Rub'ah As-Sihli AL-Harbi(1)
Assistant Professor at the Department of Qira'aat, Faculty of the Glorious Qur'an and Islamic Studies, the Islamic University of Medina
E-mail: Talsehli@hotmail.com

Abstract

The research discusses the Shaatibiyyah Poem as well as the proprieties, pieces of advice and guidelines contained therein regarding religious matters, how to deal with one's self and others and the things that are to be avoided.

In a poetic language, Imam Ash-Ashatibi recommends adhering to the Noble Quran, stating that it is the firm rope of Allah, that it can never be outdated, that it will be an intercessor for its adherents, that it is an indispensable value and that it should be duly and devotedly held fast to. He also promotes other good manners like modesty, truthfulness, good-heartedness, patience, helpfulness, peacefulness and loyalty to the Muslim community. At the same time he warns against bad manners such as backbiting and other sins and acts of disobedience.

Keywords: Imam, Ash-Shatibi, Quran, Proprieties

(1) He obtained a Master›s Degree from the College of Arabic Language at the Islamic University in Madinah, with his thesis entitled: The Talents of the Literature in Explaining Mughni Al-Labeeb of Al-Azniki (Died: 1018 AH) – (Study and Investigation). He obtained a PhD degree from the College of Arabic Language at the Islamic University in Madinah, with his thesis entitled: "The Maghazi (Military Expeditions) Book in Sahih Al-Bukhari (An Analytical Rhetorical Study

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، ملك يوم الدين، أفاض الخير على خلقه أجمعين، ووالى عليهم نعمَه كلَّ وقت وحين، والصلاةُ والسلام على سيد الأولين والآخرين، من بُعث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن مِن أعظم المنن، وأجزل العطايا: أن يصطفيك الله للعلم النافع، فيخصَّك بذلك من بين كثير ممن خلق، ويفضلك تفضيلًا، ولا تثبت هذه الفضائل بمجرد الحفظ والتلقين إذا كان عاريًا عن خشية الله والعمل بمقتضاه، ومن المعلوم: أن العلم خير، ومِن الخير ما هو فتنة، قال تعالى: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، فكم من الأقدام زلَّت لمَّا ترادفَت عليها النِّعم! وكم مِن القلوب أعرضَت وتولَّت لمَّا توغلَت في العافية! فعلى هذا: يجب على من أراد النجاةَ أن يُعنى بهذا الأمر أيَّما عناية؛ فلربما يأتيك العطَبُ من طريق تُفجَأ به ولا تتوقعه، والله وحده المستعان، ولا حول ولا قوة إلا به.

واعلم: أن لكل نعمة حقًّا، وفي كل جارحة عبودية، فمن قام بها= زِيد له في الخير، ومن تنكَّب سبيلَ ذلك وأعرض عنه= سُلبت منه العطايا، وكان كما قال الله: ﴿وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢١١﴾ [البقرة]، فالله سبحانه سمى كفرَ النعمة هنا تبديلًا لها؛ لأن من لم يقم بواجبها= اضمحلَّت عنه وذهبت، وتبدَّلَت بالكفر والمعاصي(١)، وقد حذَّرنا الله تعالى من الانغماس في الدنيا واتباع الشهوات -خاصةً في حقِّ مَن اصطفاه الله بالعلم-، وبيَّن أن هذا الضَّرْب من الناس

(١) انظر: تفسير السعدي (٩٤).

قد طُمِسَت بصيرتُه؛ فهو في حجاب عن الفَهم والحكمة، والانتفاع والرفعة، وضرب له مثلًا بأخسِّ الحيوانات، فقال: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦ سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ١٧٧ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِيۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٧٨﴾ [الأعراف]، فهذه الآية هي أشد آية علىٰ العلماء -كما قال عطاء-[(١)].

العِلمُ حُلَّة لا تضاهيها حُلَّة، لا يَمنحه الله إلا لمن يحبه ويرضىٰ عنه، أهلُه أحياء وهم مقبورون، كما أن أهل الجهالة أموات وهم موجودون:

وَتُفْقَدُ إِنْ جَهِلْتَ وَأَنْتَ بَاقٍ ... وَتُوجَدُ إِنْ عَلِمْتَ وَلَوْ فُقِدتَّا[(٢)]

ومن حازه ما فقدَ شيئًا، ومَن فقده= فقدَ الخير:

يَا أَيُّهَا الْعَالِمُ الْمَرْضِيُّ سِيرَتُهُ ... أَبْشِرْ فَأَنْتَ بِغَيْرِ الْمَاءِ رَيَّانُ

وَيَا أَخَا الْجَهْلِ لَوْ أَصْبَحْتَ فِي لُجَجٍ ... فَأَنْتَ مَا بَيْنَهَا لا شَكَّ ظَمْآنُ[(٣)]

وهذه مِن بركات العِلم: سيرةٌ عطِرة مدىٰ الأزمان، ودعوات تصعد، وحسنات تتوالىٰ، وشرف في الدنيا، ورفعة في الآخرة، كما أشار الله إلىٰ ذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٧٦][(٤)].

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٢/ ١٧٣).

(٢) البيت لأبي إسحاق الإلبيري. انظر: ديوانه (٢٧).

(٣) البيتان لأبي الفتح البستي. انظر: عنوان الحِكَم (٤٣).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٥٣٨).

ومِن جملة مَن كتب الله لهم القبول، وأحيا ذكرَهم وهم تحت الأرض: الإمام أبو القاسم الشاطبي رحمه الله، وخيرُ شاهد علىٰ ذلك: قصيدته التي لم تمُت بموته -كما هو شأن الإخلاص؛ يُبقي ولا يُفني-، قصيدةٌ مَن طالعها أيقن أنها كرامة مِن الله أكرمه بها، اشتملت -وبخاصة مقدمتها- علىٰ جملة من الوصايا والآداب والتوجيهات، وهذا هو شأن الربَّانيِّين؛ يحرصون علىٰ النفع؛ لأنهم ورثة الأنبياء عليهم السلام، فحَريٌّ بكل ناصح لنفسه أن يُعنىٰ بها، ويغرزها بالخناجر علىٰ الحناجر، فهو يتكلم بنور الله؛ لأنه من أهل القرآن، وقد قال سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ١٧٤﴾ [النساء]، وقال: ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

والإمام الشاطبي رحمه الله؛ شُهرتُه تُغني عن التعريف به(١)؛ فهو إمام فذٌّ، وجبل أشمُّ، وعالِم نِحرير، وجِهبذ محقِّق، بذل وقتَه في خدمة كتاب الله عز وجل، ولا أدلَّ علىٰ ذلك من قصيدته «الشاطبية» التي مَن نظر فيها= علم مقدار ما آتاه الله مِن العِلم!.

أهمية الموضوع، وأسباب اختياره:

١. احتواء المقدمة علىٰ جملة من الآداب والوصايا القيمة النافعة، والتي ينبغي أن تكون موضعَ اهتمام وعناية.

٢. كونها لإمام جليل، نحسبه صادقًا في بذلها؛ وذلك أدعىٰ لقبولها.

٣. أنها في منظومة مشهورة، لا يستغني عنها طلاب هذا الفن؛ فحريٌّ بهم أن يقفوا علىٰ كل ما فيها -من قضايا علمية، وتوجيهية-.

(١) ولم أترجم له؛ خشية الإطالة، ولأنه -كما ذكرتُ- لا تخفىٰ ترجمته علىٰ أرباب هذا الفن، وهي مستفيضة مشهورة. وانظر في هذا: الإمام أبو القاسم الشاطبي؛ دراسة عن قصيدته: حرز الأماني في القراءات، للدكتور: عبد الهادي عبد الله حميتو.

◆ الدراسات السابقة:

وقفتُ علىٰ بحثَين:

الأول: «قِيَم أدبية في نظم الشاطبية»، للأستاذ الدكتور: محمد محمد خميس.

والثاني: «الدروس المنهجية من منظومة الشاطبية»، للأستاذ الدكتور: عبد الرحيم بن عبد الله الشنقيطي.

وقد بذلَا جهدًا بديعًا لا يُنكره إلا مكابر، فجزاهما الله خيرًا، ومتَّع بهما.

ولكن من خلال الاطلاع عليهما يظهر الفرق بين هذا البحث وبينهما من خلال ما يلي:

أولًا: من حيث العموم:

عدم اقتصارهما علىٰ مقدمة «الشاطبية» فقط[(١)]، بخلاف هذا البحث.

ثانيًا: علىٰ وجه الخصوص:

فالأول: يدور بحثُ فضيلته حولَ براعة الإمام الشاطبي ﵀ في استعمال الألفاظ بما يتناسب مع المعنىٰ المراد، وكذلك في توظيف رموز القرَّاء لغرضَيْ: الدلالة علىٰ المقصود -الذي هو الأصل في تأليفه لها-، والذوق في المعنىٰ؛ بحيث لم تكن تلك الرموزُ جافةً عن المعاني الأدبية، ويُجَلِّي فيها التناسب بين التعبير والمعنىٰ.

وكما ترىٰ؛ فإنه يختلف عن هذا البحث من حيث المقصود، وإن كان في ظاهر الأمر يوجد شيء من التوافق.

---

(١) ولم تكن دراستهما لجميع المنظومة علىٰ الترتيب والاستقصاء، بل نظرة عامة، وإشارة بالمثال المخصص علىٰ العموم، كما هو شأن الأبحاث في الاختصار.

والثاني: تناوَل بحثُ فضيلته الكلامَ علىٰ ثلاثة جوانب: الإعدادي، والعرضي، والتربوي.

فأما الجانب الإعدادي: فاشتمل علىٰ بيانٍ لصنيع الإمام الشاطبي ﵀ في قصيدته؛ من حيث كونها نظمًا، وأنه أدعىٰ للحفظ من المنثور، وكونه نَصَّ علىٰ عنوانها؛ مما يتلمَّح فيه القارئُ الكريمُ فحواها، ويعرف محتواها، ويكون أدعىٰ كذلك للتشبُّث بها، كما تطرَّق إلىٰ الضوابط التي التزمها الإمامُ في قصيدته ليسير عليها؛ لئلا يحصل اللبْس والخلط في فَهمها، وقد جعل بحرَها من الطويل؛ ليسعفه ذلك البحر في الإبحار.

وأما الجانب العرضي: فاشتمل علىٰ دقته في التزام منهجه، ومراعاته للأسلوب الأدبي الرفيع الماتع في تقرير القراءات وعزوها، وخصوصيته في الصياغة العلمية وترتيب المسائل وتقسيمها؛ حيث لم يلتزم بما هو في «التيسير» -الذي هو أصل قصيدته-، وبراعته في الاختصار، وإيراد الإشكالات ومِن ثَم الإجابة عنها، والاحتراز من اللبْس -الذي قد يطرأ بسبب كثرة القراءات وتشعُّبها-، وتَكرار المسائل التي قد تُنسىٰ بسبب طول العهد بها، وتأدبه مع المخالف، وعدم إغفاله مباحثَ علوم القرآن والعربية، وتوجيه القراءات، وأمانته العلمية.

وكما ترىٰ؛ فإن هذين الجانبَين لا عَلاقة بينهما وبين هذا البحث.

وأما الجانب التربوي: فاشتمل علىٰ ذكر جملة من اللطائف التربوية من حيث تزكية النفوس، والاعتماد علىٰ الله تعالىٰ، والحث علىٰ الجد، والتلطف والتشويق في العرض؛ لدفع السآمة، وإتقان العمل.

والفرق بينه وبين هذا البحث: أنه يُعَنْوِن البيتَ بما يتناسب معه، ومِن ثَم يشير إلىٰ مقصود الناظم فيه دون شرح.

وأما هذا البحث: فقد قسَّمتُه إلىٰ أربعة مباحث: في القرآن، وفي الأدب مع النفس، وفي الأدب مع الغير، وفي المحاذير، وتحت كل مبحث جملةٌ من المطالب.

ووضعتُ عُنوانًا لكل مطلب من تلك المطالب علىٰ ما أتلمَّحُه من البيت، ومِن ثَم أقوم بشرحه؛ مُطرَّزًا بالآيات والأحاديث وأقوال السلف وأحوالهم، وربط ذلك بالواقع أحيانًا.

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من: مقدمة، وأربعة مباحث، وفهارس، وذلك علىٰ النحو التالي:

- **المقدمة**: وتحوي بيانًا بأهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وخطة البحث، والمنهج الذي سرتُ عليه.

- **المبحث الأول: الوصاية بالقرآن بالكريم، وفيه ستة مطالب:**

المطلب الأول: القرآن حبل الله ﷻ.

المطلب الثاني: القرآن لا يَخلَق.

المطلب الثالث: القرآن شفيع.

المطلب الرابع: فيه الغُنْية والكفاية.

المطلب الخامس: التمسك به، وعدم هجره.

المطلب السادس: الإخلاص فيه.

- **المبحث الثاني: الأدب مع النفس، وفيه سبعة مطالب:**

المطلب الأول: الالتجاء إلىٰ الله، والتبرؤ من الحول والقوة، وسؤال الله الحماية من الرياء والسمعة.

المطلب الثاني: الجد والحرص، واستفراغ الوسع في طلب العلم.

المطلب الثالث: التواضع، وعدم تزكية النفس.

المطلب الرابع: الصدق.

المطلب الخامس: سلامة الصدر.

المطلب السادس: الصبر.

المطلب السابع: الحرص على الأوقات.

- **المبحث الثالث: الأدب مع الغير، وفيه خمسة مطالب:**

المطلب الأول: ثناؤه على المتقدمين.

المطلب الثاني: الصحبة.

المطلب الثالث: الحرص على نفع الناس.

المطلب الرابع: الوئام والمحبة.

المطلب الخامس: النصح للمسلمين.

- **المبحث الرابع**: المحاذير، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الغِيبة.

المطلب الثاني: الذنوب والمعاصي.

- **الخاتمة**: وفيها أهم ما توصلتُ إليه.
- **الفهارس**.

منهج البحث:

١. كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني.

٢. عزو الآيات بأرقامها إلىٰ سورها في نفس المتن.

٣. تخريج الأحاديث والآثار التي ذكرتها في المتن باختصار، وما كان في الحاشية أشرت إلىٰ موضع وروده فقط.

٤. إذا كان الحديث في «الصحيحين» أو أحدهما= اقتصرت عليه.

٥. أحيانًا أذكر تصحيحَ الإمام الألباني مهمَلًا دون عزو؛ فيُعلَم بهذا أنه في أحد السنن الأربعة التي خرَّجها -وهي التي أحلتُ إليها في التخريج-، وذلك عند رقم الحديث نفسه، وإن كان في غيرها عزوتُه.

٦. إثبات أسماء المصادر والمراجع في الهامش، مع ذكر المؤلف عند أول موضع باختصار، وربما ذكرتها بما اشتُهِرت به، نحو: «تفسير الطبري» بدلًا من: «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، و: «السير» بدلًا من: «سير أعلام النبلاء»؛ لشهرتها بها، وخشيةً من إثقال الحواشي، مع إثبات الاسم الحقيقي والمشهور في قائمة المصادر.

٧. أعبر عن كتاب: «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج»، للنووي بـ: «شرح النووي»؛ اختصارًا.

٨. لا أتطرق للتعريف بالأعلام، ولا الأماكن؛ وذلك طلبًا للاختصار.

٩. قمتُ بتصدير أقوال العلماء بخط غامق؛ ليسهل تمييزه في سرد الكلام.

المبحث الأول

الوصاية بالقرآن بالكريم

المطلب الأول

القرآن حبل الله ﷻ

قال الإمام الشاطبي رحمه الله:

٥. وَبَـعْـدُ فَـحَبْـلُ اللهِ فِـينَا كِـتَـابُـهُ ... فَـجَاهِـدْ بِـهِ حِـبْـلَ الْـعِـدَا مُـتَـحَـبِّـلَا

إن القرآن الكريم هو حبل الله الممدود، قال الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣]، قال ابن مسعود رضي الله عنه: (حبل الله: القرآن)(١)، وقال ﷺ: «أَلَا وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَحَدُهُمَا كِتَابُ اللهِ ﷻ، هُوَ حَبْلُ اللهِ، مَنِ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَىٰ ضَلالَةٍ»(٢)، وقال: «أَبْشِرُوا أَبْشِرُوا، أَلَيْسَ تَشْهَدُونَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ، وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ؛ فَتَمَسَّكُوا بِهِ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا وَلَنْ تَهْلِكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا»(٣).

---

(١) تفسير الطبري (٥/ ٦٤٦).

(٢) رواه مسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه (ح ٦١٧٨).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنَّف، كتاب: فضائل القرآن، في التمسك بالقرآن (١٦/ ٤١٤ - ح ٣٢٠٠٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ١٢٢ - ح ١٧٩٢)، وصحَّح إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٣٣٠ - ح ٧١٣).

ومعنىٰ (حَبل الله):

قيل: عَهدُه، **وقيل**: السبب الموصل إلىٰ رضاه، **وقيل**: نوره الذي يهدي به[(١)].

وفي وصف القرآن بالحَبْل: بيانٌ بأنه يُوصَل به إلىٰ زوال الخوف، والنجاة من الجزَع والذُّعر، وهو السبب الذي مدَّه اللهُ تعالىٰ لعباده؛ ليصلوا به إلىٰ رضاه وكرامته، وفي ذلك حثٌّ علىٰ التمسك به، وشبَّه المعلوم بالمحسوس؛ إبانةً لظهور كونه وُصلةً إليه تعالىٰ وصلة المحسوس بعضها إلىٰ بعض[(٢)].

وهو من أعظم أنواع الجهاد، وقد وصفه الله بأنه جهاد كبير، فقال: ﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ﴿٥٢﴾﴾ [الفرقان]؛ لأن مجاهدة السفهاء بالحُجج أكبَرُ من مجاهدة الأعداء بالسيف، أو لأنه جهاد مع كل الكفرة؛ لأنه مبعوث إلىٰ كافة القرىٰ[(٣)].

والجهاد به يتضمن: المواصلة فيه بلا فتور، وتلاوة ما فيه من القوارع والزواجر، والأوامر والنواهي، والحجج والبراهين والأدلة[(٤)]، **ومن آثار ذلك**: تأثيره علىٰ البواطن تأثيرًا يفوق الظواهر، وقطع آمال الكفار عما يريدونه من المَيل إلىٰ دينهم[(٥)]؛ فمن جاهَد بالقرآن= حماه من الشهوات المُحرِقة، والشبهات المضلَّة.

---

(١) انظر: إكمال المعلم، للقاضي عياض (٧/ ٤٢٠)، ومطالع الأنوار، لابن قرقول (٢/ ٢١٧)، وشرح النووي (١٥/ ١٧٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٦٤٣)، والبغوي (٢/ ٧٨)، والتنوير، للصنعاني (٨/ ١٢٩).

(٣) انظر: أنوار التنزيل، للبيضاوي (٤/ ١٢٨).

(٤) انظر: إبراز المعاني، لأبي شامة (١/ ٤٢)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٤٥٠)، وفتح القدير، للشوكاني (٤/ ١٠٩).

(٥) انظر: محاسن التأويل، للقاسمي (٧/ ٤٣٢)، وبيان المعاني، للعاني (٢/ ٩١).

والجهاد بالقرآن سبب للانقياد والإقرار بفرائض الله، والإذعان للعمل به طوعًا وكرهًا، وهو سبب في نصرِ الحق وقمعِ الباطل، وصرفِ شرَّ الأعداء(١).

وفي الآية إلماحةٌ بأن القرآن أصل العلوم، ومنبع الفهوم، وسلاح يُعجِز الخصوم، وكما **قال السيوطي** رحمه الله: (وإن كتابنا القرآنَ لهو مفجر العلوم ومنبعها، ودائرة شمسها ومطلعها)(٢)، **وقال ابن القيم** رحمه الله:

فَتَدَبَّرِ الْقُرْآنَ إِنْ رُمْتَ الْهُدَىٰ   فَالْعِلْمُ تَحْتَ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ(٣)

◆ ◆ ◆

المطلب الثاني
القرآن لا يَخلَق

قال الإمام الشاطبي رحمه الله:

٦. وَأَخْلِقْ بِهِ إِذْ لَيْسَ يَخْلُقُ جِدَّةً   جَدِيدًا مُوَالِيهِ عَلَىٰ الْجِدِّ مُقْبِلَا

من معجزات القرآن: أنه لا يَخْلَق -أي: لا يَبلىٰ- عن كثرة التَّرداد؛ لأنه كلام الله عز وجل، يُطمئن القلبَ، ويشرح الصدر، ويدل علىٰ الخير، ويحذر من الشر، ويُدخل الجنةَ، وينجي من النار، وقد قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرعد]، ومِن المعلوم: أن القرآنَ ذِكرٌ، وهو أعظمُ الذِّكر، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤﴾ [النحل]، وقال: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحِجر]، وقد جاء: «**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ**

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٧٠)، والسعدي (٦٨٢).

(٢) الإتقان (١/ ٤).

(٣) النونية، البيت: (٧٣٦).

مَأْدُبَةُ اللهِ، فَتَعَلَّمُوا مِنْ مَأْدُبَةِ اللهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ حَبْلُ اللهِ، وَهُوَ النُّورُ الْمُبِينُ، وَالشَّافِعُ النَافِعُ، عِصْمَةٌ لِمَنْ يَتَمَسَّكُ بِهِ، وَنَجَاةٌ لِمَنْ تَبِعَهُ، لا يَعْوَجُّ فَيُقَوَّمَ، وَلا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ، وَلا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَلا يَخْلُقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، اُتْلُوهُ فَإِنَّ اللهَ يَأْجُرُكُمْ عَلَىٰ تِلاوَتِهِ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، أَمَا إِنِّي لا أَقُولُ: أَلِفٌ وَلَامٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ عَشْرًا، وَلَامٌ عَشْرًا»(١).

والمقصود: أنه لا يزول رَونقُه ولذة قراءته وطراوة تلاوته واستماع أذكاره وأخباره من كثرة تَكراره، علىٰ خلاف كلام المخلوقين؛ ولذا كلما زاد العبد من تَكراره= ازداد في حلاوته، وإن لم يفهم معناه(٢).

وقد قال الشاطبي ﷺ في وصفه:

١١. وَخَيْرُ جَلِيسٍ لَا يُمَلُّ حَدِيثُهُ   وَتَـــرْدَادُهُ يَـــزْدَادُ فِـيـهِ تَـجَـمُّـلَا

◆ ◆ ◆

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنَّف، كتاب: فضائل القرآن، في التمسك بالقرآن (١٦/ ٤١٥ – ح ٣٢٠٠٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ١١٥ – ح ١٧٨٦)، وضعَّفه ابن الجوزي في العلل المتناهية (١/ ١٠٢ – ح ١٤٥)، والألباني في السلسلة الضعيفة (١٤/ ٧٨٥ – ح ٦٨٤٢)، والحديث وإن كان ضعيفًا إلا أنه حق، ومطابق لوصف القرآن.

(٢) انظر: تحفة الأبرار، للبيضاوي (١/ ٥٣٥)، والكاشف، للطيبي (٥/ ١٦٥٨)، وقوت المغتذي، للسيوطي (٢/ ٧٢٩)، ومرقاة المفاتيح، للقاري (٤/ ١٤٧٣).

المطلب الثالث

القرآن شفيع

قال الإمام الشاطبي رحمه الله:

١٠. وَإِنَّ كِتَابَ اللهِ أَوْثَقُ شَافِعٍ ....

ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**اِقْرَءُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ**»(١)، فهذا فيه بيان أن القرآن كله يشفع لأصحابه، وقد جاء النَّص بسور مخصوصة أيضًا، منها:

١. البقرة وآل عمران، قال ﷺ: «**اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ: الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ**»(٢).

والزهراوان: تثنية زَهراء، بمعنىٰ: منيرة، ومضيئة شديدة الإضاءة؛ وذلك لهدايتهما قارئَهما وتنوير قلبه، أو لِما يسبب له أجرُهما من النور يوم القيامة، فكأنهما بالنسبة إلىٰ ما عداهما عند الله مكانَ القمرين من سائر الكواكب، أو لِما فيهما من المعاني المنيرة، وقيل: شُبِّهتا بالقمرين لاشتهارهما.

ولا شك أن نور كلام الله أشد وأكثر ضياء، وكل سورة من سور القرآن زهراء؛ لِما فيها من نورِ بيانِ الأحكام والمواعظ وغير ذلك من الفوائد، ولِما فيها من شفاء

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الصلاة، باب: صلاة المسافرين (٢٥٢).

(٢) نفس الحديث السابق.

الصدور وتنوير القلوب وتكثير الأجر لقاريها.

والغَيايَة: كل شيء يُظل الإنسانَ فوق رأسه من السَّحابة والغبرة، والمقصود: سحابتان تُظلان قارئهما عن حَرِّ الموقف وكرب ذلك اليوم.

وفِرْقان من طير صواف: القطيعان، أي: طائفتان منها، باسطات أجنحتها متصلًا بعضها ببعض.

والحديث ذكر ثلاثة أمثلة: الغمامة، والغياية، والطير، وهي لبيان أقسام القارئين:

فالأول: لمن يقرؤهما ولا يفهم المعنىٰ.

والثاني: للجامع بين التلاوة ودراية المعنىٰ.

والثالث: لمن ضم إليهما التعليم والإرشاد.

ويحاجان: يدافعان عنه الجحيم والزبانية(١).

٢. سورة المُلك، قال ﷺ: «**إِنَّ سُورَةً مِنَ الْقُرْآنِ، ثَلاثِينَ آيَةً، شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّىٰ غُفِرَ لَهُ، وَهِيَ**: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾»(٢).

وهنا أبهم أولًا، ثم بيَّن، وفي هذا تعظيم وتفخيم لشأنها(٣).

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: (نِعْم الشفيعُ القرآنُ لصاحبه يوم القيامة)(٤).

(١) انظر: إكمال المعلم (٣/ ١٧٣)، وتحفة الأبرار (١/ ٥٢٣)، والتيسير، للمناوي (١/ ١٩٣)، والتنوير (٢/ ٦٠٦)، ومرعاة المفاتيح، للمباركفوري (٩/ ٣٥).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٨٢٧٦)، والترمذي (٢٨٩١) وحسَّنه، وحسَّنه الألباني.

(٣) انظر: الكاشف (٥/ ١٦٦٧)، والتنوير (٣/ ٦١٨).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنَّف، كتاب: فضائل القرآن، في التمسك بالقرآن (١٦/ ٤٢٩ - ح ٣٢٠٤٢).

ولا ريب أن هذا الفضلَ منوطٌ بمن قرأه متدبِّرًا، عاملًا بما فيه، متأدبًا بآدابه، مُحِلًّا لحلاله، محرِّمًا لحرامه(١).

المطلب الرابع
فيه الغُنية والكفاية

قال الإمام الشاطبي رحمه الله:

١٠ .... وَأَغْـنَـى غَـنَـاءٍ وَاهِـبًـا مُـتَـفَـضِّـلَا

فالقرآن هداية وكفاية، وكفايتُه لا نظير لها في كل الأمور، وقد قال عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت]، وهذا عام في كل أوجه الكفاية؛ الدلائلية وغيرها، **قال الشنقيطي** رحمه الله: (فإنكاره -جل وعلا- عليهم عدمَ الاكتفاء بهذا الكتاب عن الآيات المقترحة يدل علىٰ أنه أعظم وأفخم من كل آية، وهو كذلك؛ ألا ترىٰ أنه آية واضحة، ومعجزة باهرة، أعجزَت جميعَ أهل الأرض، وهي باقية تتردد في آذان الخَلق غضَّةً طرية حتىٰ يأتي أمر الله، بخلاف غيره من معجزات الرسل -صلوات الله عليهم وسلامه-؛ فإنها كلها مضت وانقضت)(٢)، وقال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يونس]، وقال ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ: إِنِّي تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُم بِهِ لَنْ تَضِلُّوا: كِتَابَ اللهِ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي**»(٣).

(١) انظر: التنوير (٢/ ٦٠٦)، ومرقاة المفاتيح (٤/ ١٤٦٠).

(٢) أضواء البيان، للشنقيطي (٢/ ٢٢٥).

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب: المناقب، باب: مناقب أهل بيت النبي ﷺ (٣٧٨٦)، وصححه الألباني.

ومن هنا: فإن المُحاجَّة بالقرآن لا يقوم لها مُعارِض، وهي الأصل في هذا الباب، قال الله تعالىٰ: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾ [ق]، فمن رام هداية نفسه وصلاحَها فعليه بكتاب الله ﷻ؛ ففيه الهُدىٰ والنور، والخير والفلاح، ولشدة احتياج البشرية إليه= حمِد الحقُّ ﷻ نفسَه علىٰ نعمة إنزاله، فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴿١﴾﴾ [الكهف].

(تنبيه): لا يَعني هذا إقصاءَ السُّنَّة[(١)]؛ فهي وحي كما القرآن، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم]، وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر]، وجعل الله طاعة رسوله ﷺ طاعةً له، فقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وتأملْ في قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩]، كيف كرَّر فعلَ الأمر بالطاعة مع طاعته وطاعة رسوله ﷺ؛ ليبيِّن أن وجوب طاعة رسوله ﷺ مطلقة ولو لم يأت في القرآن ما يدل عليها[(٢)]، وقال ﷺ: (**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلاَ يُوشِكُ رَجُلٌ شَبعانُ عَلَىٰ أَرِيكَتِهِ، يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ، فَمَا وَجَدتُم فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فأَحِلُّوه، ومَا وجدتُم فيه مِن حَرَام فحَرِّمُوه**)[(٣)]، وقال: (**لاَ أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَىٰ أَرِيكَتِهِ، يَأْتِيهِ الأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ، فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللهِ اتَّبَعْنَاهُ**)[(٤)]، **وقال الزُّهري** رحمه الله: (مِن الله الرسالة، وعلىٰ الرسول البلاغ، وعلينا التسليم)[(٥)].

---

(١) كما تخبَّط بذلك: القرآنيُّون، وهم علىٰ غير هُدىٰ.

(٢) انظر: الرسالة التبوكية، لابن القيم (٤٣ - ٤٤).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١٣٠ - ح ١٧٢١٣)، وأبو داود، باب: لزوم السُّنَّة (٤٦٠٤)، وصححه الألباني.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٦٠٥)، وصححه الألباني.

(٥) رواه البخاري في صحيحه تعليقًا، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَاتِهِ﴾ (٥/ ٢٠٩)، وخلق أفعال العباد، له (٧٦)، وشرح السنة، للبغوي (١/ ٢١٧).

المطلب الخامس
التمسك به، وعدم هجره

قال الإمام الشاطبي رحمه الله:

١٥. فَيَا أَيُّهَا الْقَارِي بِهِ مُتَمَسِّكًا   مُجِلًّا لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ مُبَجِّلَا

قال الله عز وجل في كتابه: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠﴾ [الفرقان]، ففي الآية الكريمة إنذار عظيم لكل هاجر لكتاب الله تعالىٰ؛ حيث كان خصمُه في هذه القضية: رسولَ الله ﷺ، **قال الشنقيطي** رحمه الله: (معنىٰ هذه الآية الكريمة ظاهر، وهو: أن نبينا ﷺ شكَا إلىٰ ربه هجرَ قومه -وهم: كفار قريش- لهذا القرآن العظيم، أي: تَرْكهم لتصديقه والعمل به، وهذه شكوىٰ عظيمة، وفيها أعظم تخويف لمن هجر هذا القرآن العظيم فلم يعمل بما فيه من الحلال والحرام والآداب والمكارم، ولم يعتقدْ ما فيه من العقائد ويعتبِرْ بما فيه من الزواجر والقَصص والأمثال)[(١)].

وقد أطلق ﷺ الأمر بقراءته في قوله: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ**»، وهذا فيه: حثٌّ علىٰ قراءته في كل وقت، وعلىٰ كل حال؛ لإطلاق الأمر بذلك[(٢)].

وفي هذا تنبيه علىٰ خطورة هجره، وقد قال ﷺ: «**تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ؛ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الإِبِلِ فِي عُقُلِهَا**»[(٣)]، وقال: «**اسْتَذْكِرُوا الْقُرْآنَ؛ فإنه**

---

(١) أضواء البيان (٦/ ٣٥٠).

(٢) انظر: شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين (٤/ ٦٣٦).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: استذكار القرآن وتعاهده (٥٠٣٣)، ومسلم، كتاب: الصلاة، باب: صلاة المسافرين (٢٣١).

أَشَدُّ تَفَصِّيًا(١) مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ»(٢).

◆ ◆ ◆

المطلب السادس
الإخلاص فيه

قال الإمام الشاطبي رحمه الله:

٢٤. .... وَلَيْسَ عَلَىٰ قُرْآنِهِ مُتَأَكِّلَا

وهنا يشير الإمام رحمه الله إلىٰ ضرورة الإخلاص، وأن يكون قصدُه ومبتغاه: وجهَ الله وحده، ولا يطلب من ورائه مأكلةً ولا رئاسة؛ فهذا هو الهلاك بعينه، وطالب العلم متىٰ نزل إلىٰ ما في أيدي الناس، وتملَّق لهم= ذهبَت بركةُ علمه، وعاد سعيُه وبالًا عليه، ومدْحُهم ذمًّا؛ ولذا أوصىٰ الله كلَّ أنبيائه أن يستغنوا عما في أيدي الناس؛ لأن أجرهم علىٰ الله، فكل نبي قال لقومه: ﴿لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾، وقال نوح عليه السلام لقومه: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾[هود: ٢٩].

وهكذا الكُمَّل من عِباد الله، كما فعل موسىٰ عليه السلام مع المرأتين: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴿٢٤﴾﴾[القصص]، والخَضِر لمَّا بنىٰ الجدار لليتيمَين، ولمَّا بنىٰ السدَّ ذو القَرنين؛ فإنهم عرضوا عليه خراجًا مقابل بنائه،

(١) بالفاء والصاد المهملة، أي: تفلُّتًا وذهابًا، **والمعنىٰ**: أنه شبَّه من يتفلَّت منه بعض القرآن بالناقة التي انفلتت من عُقُلِها. انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن (٢٤/ ١٣٧).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: استذكار القرآن وتعاهده (٥٠٣٢) واللفظ له، ومسلم، كتاب: الصلاة، باب: صلاة المسافرين (٢٢٨).

والمراد بالنَّعَم هنا: الإبل خاصة؛ لأنها التي تُعقَل. انظر: شرح النووي (٦/ ٣١٨).

ف: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ [الكهف: ٩٥]، ومِن جميل ما يُذكر هنا: **قول الحسن البصري** رحمه الله: (لا يزال الرجلُ كريمًا علىٰ الناس حتىٰ يطمع في دنياهم؛ فيستخفُّون به ويكرهون حديثَه)(١)، وقيل لبعض أهل البصرة: (مَن سيِّدُكم؟ قال: الحسن، قال: بِمَ سادكم؟ قال: احتجْنا لعلمه واستغنىٰ عن دنيانا)(٢)، وحدَّث عيسىٰ بنُ يونس السَّبيعيُّ المأمونَ؛ فأمر له بعشرة آلاف، فقال عيسىٰ: لا أقبل علىٰ حديث رسول الله ﷺ شربةَ ماء؛ فزاده المأمون عشرة آلاف أخرىٰ، فلم يَقبلها، وقال: لو ملأت هذا المسجدَ لي ذهبًا لم أقبله(٣).

فهؤلاء -من تمام إخلاصهم- لم يكونوا يقبلون شيئًا مقابل تعليمهم؛ خشيةَ أن تدخل الدنيا في قلوبهم؛ فتتعكَّر نواياهم(٤).

ومن أخطر الأمور: التأكُّل بالقرآن، وعدم الإخلاص فيه، وطلب البلوغ به إلىٰ مطامعَ دنيوية دَنِيَّة، وتعجُّل الأجر في الدنيا من مالٍ أو شُهرة أو غير ذلك، وبيَّن سبحانه سوءَ هذا الفعل، وأنه يقود إلىٰ الصدود، فقال: ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٩﴾ [التوبة]، وقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا

---

(١) انظر: فيض القدير، للمناوي (١/ ٤٨١)، وانظر: جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر (١/ ٢٤٢).

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: الحث علىٰ طلب العلم، لأبي هلال العسكري (٧٤).

(٤) ومعلوم أن المال إذا جاء من غير استشراف= فلا بأس بأخذه وقبوله، بل هو محمود مبارَك، ففي الصحيحين: قال ﷺ لحكيم بن حزام رضي الله عنه: «**يَا حَكِيمُ: إِنَّ هَذَا المَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ؛ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ**»، وقال عمر رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يعطيني العطاء، فأقول: أعطه مَن هو أفقر إليه مني، فقال ﷺ: «**خُذْهُ، إِذَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا المَالِ شَيْءٌ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلَا سَائِلٍ فَخُذْهُ، وَمَا لَا فَلَا تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ**».

قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ [آل عمران]، تأملْ: ﴿قَلِيلًا﴾؛ فمهما كثرت في عينك فهي قليلة؛ لأنك بهذا تبيع الباقي بالفاني، والنفيس بالخسيس، والله المستعان.

وعن سهل بن سعد الساعديِّ رضي الله عنه، قال: خرج علينا رسولُ الله ﷺ يومًا ونحن نقترئُ(١)، فقال: «**الْحَمْدُ لله، كِتَابُ الله وَاحِدٌ، وَفِيكُمُ الْأَحْمَرُ، وَفِيكُمُ الْأَبْيَضُ وَفِيكُمُ الْأَسْوَدُ، اِقرَؤُوهُ قَبْلَ أَنْ يَقْرَأَهُ أَقْوَامٌ يُقِيمُونَهُ كَمَا يُقَوَّمُ السَّهْمُ؛ يَتَعَجَّلُ أَجْرَهُ وَلا يَتَأَجَّلُهُ**»(٢)، وعن خيثمة ابن أبي خيثمة البصري رحمه الله، **قال**: كان رجل يطوف ويقرأ سورة يوسف فيجتمع الناس عليه، فإذا فرغ سأل(٣)، فقال الحسن: كنتُ مع عمران بن حصين فمر به السائل، فقام فاستمع لقراءته، فلما فرغ سأل، فقال عمران: إنا لله وإنا إليه راجعون(٤)، اذهب بنا؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَلْيَسْأَلِ اللهَ بِهِ، فَإِنَّهُ سَيَجِيءُ قَوْمٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ فَيَسْأَلُونَ بِهِ النَّاسَ**»(٥)، **وقال عمر بن الخطاب** رضي الله عنه: (قد أتىٰ عليَّ زمان وأنا أحسب من قرأ القرآن يريد به وجه الله، فقد خُيِّل لي الآن بأَخَرةٍ أني أرىٰ قومًا قد قرؤوه يريدون به الناسَ، فأَريدوا اللهَ بقراءتكم، وأَريدوا اللهَ بأعمالكم)(٦)، **وقال الآجُرِّي** رحمه الله: (فأما من قرأ القرآن للدنيا ولأبناء

(١) افتعال من القراءة، أي: نقرأ القرآن.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب: الصلاة، باب: ما يجزئ الأميَّ والأعجميَّ من القراءة (ح ٨٣١)، وصححه الألباني.

(٣) أي: سأل الناس شيئًا مقابل قراءته.

(٤) وذلك لابتلاء القارئ بهذه المصيبة -التي هي: السؤال عن الناس بالقرآن-، أو لابتلاء عمران بمشاهدة هذه الحالة الشنيعة، وهي مصيبة. انظر: تحفة الأحوذي، للمباركفوري (٨/ ٢٣٦).

(٥) أخرجه الترمذي، كتاب: فضائل القرآن، باب: ما جاء في تعليم القرآن (ح ٢٩١٧).

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنَّفه، كتاب: فضائل القرآن، باب: من كره أن يتأكَّل بالقرآن (١٦/ ٤١٢ - ح ٣١٩٩٥)، والبيهقي في شعب الإيمان، باب: في تعظيم القرآن، فصل: في ترك المباهاة بالقرآن (٥/ ٧٢ - ٢٣٧٩)، وحسَّن المحققُ إسنادَه.

الدنيا؛ فإن مِن أخلاقه أن يكون حافظًا لحروف القرآن، مضيِّعًا لحدوده، متعظِّمًا في نفسه، متكبرًا على غيره، قد اتخذ القرآنَ بضاعةً، يتأكَّل به الأغنياءَ، ويستقضي به الحوائج، يعظِّم أبناءَ الدنيا، ويحقر الفقراء، إنْ علَّم الغنيَّ رفَق به؛ طمعًا في دنياه، وإنْ علَّم الفقيرَ زجره وعنَّفه؛ لأنه لا دنيا له يطمع فيها)[١].

(١) أخلاق أهل القرآن، للآجري (٨٧).

المبحث الثاني

الأدب مع النفس

المطلب الأول

الالتجاء إلى الله، والتبرؤ من الحول والقوة، وسؤال الله الحماية من الرياء والسمعة

قال الشاطبي رحمه الله:

١. بَـدَأْتُ بِبِسْمِ اللهُ فِي النَّظْمِ أَوَّلَا   تَـبَـارَكَ رَحْـمَـانًـا رَحِـيـمًـا وَمَـوْئِـلَا

وقال:

٤٣. وَنَـادَيْـتُ أَللَّهُمَّ يَـا خَيْرَ سَامِعٍ   أَعِـذْنِـي مِـنَ التَّسْمِيعِ قَـوْلًا وَمِفْعَلَا

قارِنْ هذا مع قوله في الخاتمة:

١١٦٠. وَقَـدْ وَفَّـقَ اللهُ الكَرِيمُ بِمَنِّهِ   لِإِكْـمَـالِـهَـا حَـسْـنَـاءَ مَـيْـمُـونَـةَ الْـجِـلَا

وقوله:

١١٦٣. وَتَمَّتْ بِحَمْدِ اللهِ فِي الْخَلْقِ سَهْلَةً   مُـنَـزَّهَـةً عَـنْ مَـنْـطِـقِ الْـهُـجْـرِ مِـقْـوَلَا

فانظرْ كيف التجأ إلىٰ الله واستعان به، ونسب الفضل إليه؛ ابتداءً وانتهاءً!، فوالله ما نِيلت الخيراتُ إلا بهذا، ولا فُتح علىٰ العبد إلا به، وفي الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، وقد أوصىٰ النبيُّ ﷺ معاذَ بنَ جبل رضي الله عنه فقال له: «**أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ! لا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَىٰ ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ**

عِبَادَتِكَ»[(١)]، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه: «**وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ**»[(٢)]، ولقد صدق من قال، وأجاد في المقال:

إِذَا كَانَ عَوْنُ اللهِ لِلْمَرْءِ مُسْعِفًا ... تَهَيَّا لَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ مُرَادُهُ

وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَوْنٌ مِنَ اللهِ لِلْفَتَىٰ ... فَأَوَّلُ مَا يَجْنِي عَلَيْهِ اجْتِهَادُهُ[(٣)]

ولو أردتُ ذكرَ أمثلةٍ علىٰ الْتِجاء الرسول ﷺ بربِّه؛ لطال بي المقام، ولزمني استعراض كل لحظة من لحظات حياته ﷺ؛ إذْ كان لا ينفك عن ذلك طَرفةَ عين!.

ولقد كان السلف يلجؤون إلىٰ الله ليعلمهم، وقد قال سبحانه: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾ [البقرة]، وصدق الإمام أحمد رحمه الله لما **قال**: (إنما العلم مواهب يؤتيه الله مَن أحب مِن خلقه، وليس يناله أحد بالحسَب)[(٤)]، **وقال**: (العِلم مواهب مِن الله، ليس كل أحد يناله)[(٥)].

وكان شيخ الإسلام رحمه الله يقول: (إنه ليقف خاطري في المسألة والشيء أو الحالة التي تُشكل عليَّ؛ فأستغفر الله تعالىٰ ألفَ مرة أو أكثر أو أقل حتىٰ ينشرح الصدر، وينحل إشكالُ ما أشكل -قال-: وأكون إذْ ذاك في السوق أو المسجد أو الدرب أو المدرسة، لا يمنعني ذلك من الذِّكر والاستغفار إلىٰ أن أنال مطلوبي)[(٦)]، **وكان**

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٤٤ - ٢٤٥)، وأبو داود، كتاب: الصلاة، باب: في الاستغفار (١٥٢٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٣٢٠ - ح ٧٩٦٩).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب: صفة القيامة (٢٥١٦)، وصححه الألباني.

(٣) ذكره الأتيوبي في ذخيرة العقبىٰ (٣٩/ ٤٠٢).

(٤) انظر: طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلىٰ (١/ ٧٥).

(٥) انظر: المصدر السابق (١/ ٣٢٣).

(٦) انظر: العقود الدرية، لابن عبد الهادي (١٠ - ١١).

يقول: (ربما طالعت علىٰ الآية الواحدة نحو مائة تفسير!! ثم أسأل الله الفَهمَ، وأقول: يا مُعلِّمَ آدم وإبراهيم علِّمني، وكنتُ أذهب إلىٰ المساجد المهجورة ونحوها، وأمرِّغ وجهي في التراب، وأسأل الله تعالىٰ، وأقول: يا معلِّم إبراهيم فهِّمني)(١).

ووالله ما قصَد اللهَ أحدٌ إلا وجد بُغيتَه، ونال تحفتَه، وانفتحت في وجهه المغاليق، (كان جعفر ابن محمد يقول: أَستلطِفُ اللهَ لكل عسير؛ فإن تيسير العسير علىٰ الله يسير، جلَّ ثناؤه وتقدست أسماؤه)(٢)، هذا الإمام ابن الجوزي رحمه الله قد فتح الله عليه أبواب العلوم، حتىٰ صار يَغرف من كل فنٍّ!، لمَّا ذَكر فضائلَ الله عليه في أبواب العلوم، وأبواب العبادات، وفي نفع الخلق ودعوتهم -وذكر من ذلك الشيءَ الكثيرَ-، **ختَم ذلك بقوله لولده موصيًا**: (وها أنا قد ترىٰ ما آلَتْ حالي إليه، وأنا أجمعه لك في كلمة واحدة، هي قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢])(٣).

وهذا الإمام ابن القيم رحمه الله، **يقول في مقدمة كتابه: «مفتاح دار السعادة»**: (وسميته: «مفتاح دار السعادة، ومنشور ولاية أهل العِلم والإرادة»؛ إذْ كان هذا من بعض النُّزُل والتُّحَف التي فتح الله بها عليَّ حين انقطاعي إليه عند بيته، وإلقائي نفسي ببابه مسكينًا ذليلًا، وتعرُّضي لنفحاته في بيته وحولَه بُكرةً وأصيلًا؛ فما خاب من أنزل به حوائجَه، وعلَّق به آمالَه، وأصبح ببابه مقيمًا، وبحِماه نزيلًا)(٤).

ومن نواقض ذلك كله: الرِّياء والسُّمعة؛ فإنه ما تسربل بها أحد إلا بعُد عن الله

---

(١) المصدر السابق (٣٨).

(٢) الآداب الشرعية، لابن مفلح (١/ ٤٤٨).

(٣) لفتة الكبد إلىٰ نصيحة الولد (٣٧).

(٤) مفتاح دار السعادة (١/ ١٧٠).

وتوفيقه، وصدق الشاعر أبو الحسن التهامي لما قال:

ثَــوْبُ الــرِّيَــاءِ يَـشِـفُّ عَـمَّـا تَـحْـتَـهُ وَإِذَا الْـتَـحَـفْـتَ بِـهِ فَـإِنَّـكَ عَــارِ(١)

وقد سُئل الإمام أحمدُ رحمه الله عن الإخلاص، **فقال**: (بهذا ارتفع القوم!)(٢).

◆ ◆ ◆

المطلب الثاني

الجد والحرص، واستفراغ الوسع في طلب العلم

قال الشاطبي رحمه الله:

٤٣. وَهُـنَّ الَّلوَاتِي لِلْمُوَاتِي نَصَبْتُهَا مَنَاصِبَ فَانْصَبْ فِي نِصَابِكَ مُفْضِلَا

قارِنْ هذا مع قوله:

٥٧. .... فَــزَاحِــمْ بِــالــذَّكَــاءِ لِـتَـفْـضُـلَا

الله تعالىٰ يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت]، وقال ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»(٣)، **وقال أبو الدرداء** رضي الله عنه: (إنما العِلم بالتعلُّم)(٤)، ولقد عانىٰ الأئمة، وتحملوا المشاقَّ في سبيل العلم

---

(١) انظر: ديوانه (٣١١)، بيت: (٣٣).

(٢) انظر: طبقات الحنابلة (١/ ٦١).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: العلم، باب: من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين (١/ ٢٠٠ - ح ٧١)، ومسلم، كتاب: الزكاة، باب: النهي عن المسألة (ح ٢٣٨٦).

(٤) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٣٥٠ - ٤٤٣)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/ ٤٦١).

وطلب رضا الله؛ فرَفَع الله ذِكرَهم، وشَكَر سعيَهم، وأنالَهم مرادَهم، **قال مكحول** رحمه الله: (طفتُ الأرضَ كلَّها في طلب العلم)[1]، **وقال ابن المقرئ** رحمه الله: (مشيتُ بسبب نسخة مُفَضَّل بن فَضالة سبعين مرحلة، ولو عُرضتْ على خبَّاز برغيفٍ لم يقبلها)[2]، **وقال أبو علي الوَخْشي** رحمه الله: (رحلتُ، وقاسيتُ الذلَّ والمشاقَّ، ورجعتُ إلى وَخْش...، لقد كنتُ بعسقلان أسمع من ابن مصحِّح، وبقيتُ أيامًا بلا أكل، فقعدتُ بقرب خبَّاز؛ لأشم رائحة الخُبز، وأتقوى بها!)[3]، **وقال ابن الجوزي** رحمه الله: (ينبغي لطالب العلم أن يكون جُلَّ هِمَّته مصروفًا إلى الحفظ والإعادة، فلو صح صرْفُ الزمانِ إلى ذلك= كان الأَولى، غير أن البَدن مطية، وإجهاد السَّير مظنة الانقطاع، ولمَّا كانت القُوى تَكِلُّ؛ فتحتاج إلى تجديد، وكان النَّسخ والمطالعة والتصنيف لا بد منه -مع أن المُهم: الحِفظ-؛ وجب تقسيم الزمان على الأمرين: فيكون الحفظ في طرفي النهار وطرفي الليل، ويوزع بالباقي بين عملٍ بالنَّسْخ والمطالعة، وبين راحةٍ للبدن وأخْذٍ لِحَظِّه)[4].

ومن لطيف ما يُذكَر هنا: أن الإمام الشاطبي بدأ منظومته بشاطِبةَ -في الأندلس-، وأنهاها بالقاهرة -في مصر-[5]!.

---

(١) انظر: السير، للذهبي (٥/ ١٥٨).

(٢) انظر: السير (١٦/ ٤٠٠).

(٣) انظر: السير (١٨/ ٣٦٧).

(٤) صيد الخاطر (٣٥٣).

(٥) انظر: غاية النهاية، لابن الجزري (٢/ ٩٢٠).

المطلب الثالث
التواضع، وعدم تزكية النفس

الإمام الشاطبي رحمه الله له حقٌّ علينا، وقد نادىٰ بأن تُتلقىٰ قصيدتُه بالقبول، والظن الحسن الجميل، وأن يُغضَّ الطرْفُ عن الزلل والخلل، وأن يُصلِح الخللَ -إن وُجد- مَن اكتملتْ عنده الأهلية، وقال -راجيًا منك أن تعذره-: إنه قد اجتهد، والمجتهد لا يعدم الأجر؛ سواء أصاب أو أخطأ، فقال رحمه الله:

٧٥. أَخِي -أَيُّهَا الْمُجْتَازُ نَظْمِي بِبَابِهِ ... يُنَادَىٰ عَلَيْهِ كَاسِدَ السُّوْقِ- أَجْمِلَا

٧٦. وَظُنَّ بِهِ خَيْرًا وَسَامِحْ نَسِيجَهُ ... بِالإِغْضَاءِ وَالْحُسْنَىٰ وَإِنْ كَانَ هَلْهَلَا

٧٧. وَسَلِّمْ لإِحْدَىٰ الْحُسْنَيَيْنِ إِصَابَةٌ ... وَالُاخْرَىٰ اجْتِهَادٌ رَامَ صَوْبًا فَأَمْحَلَا

٧٨. وَإِنْ كَانَ خَرْقٌ فَادَّرِكْهُ بِفَضْلَةٍ ... مِنَ الْحِلْمِ ولْيُصْلِحْهُ مَنْ جَادَ مِقْوَلَا

قارِنْ هذا مع قوله:

٨٨. يَعُدُّ جَمِيعَ النَّاسِ مَوْلًى لِأَنَّهُمْ ... عَلَىٰ مَا قَضَاهُ اللهُ يُجْرُونَ أَفْعُلَا

٨٩. يَرَىٰ نَفْسَهُ بِالذَّمِّ أَوْلَىٰ لِأَنَّهَا ... عَلَىٰ المَجْدِ لَمْ تَلْعَقْ مِنَ الصَّبْرِ وَالأَلَا

وقوله في الخاتمة:

١١٦٥. وَلَيْسَ لَهَا إِلَّا ذُنُوبُ وَلِيِّهَا ... فَيَا طَيِّبَ الأَنْفَاسِ أَحْسِنْ تَأَوُّلَا

١١٦٦. وَقُلْ رَحِمَ الرَّحْمَنُ حَيًّا وَمَيِّتًا ... فَتًىٰ كَانَ لِلإِنْصَافِ وَالْحِلْمِ مَعْقِلَا

١١٧٦. عَسَىٰ اللهُ يُدْنِي سَعْيَهُ بِجَوَازِهِ ... وَإِنْ كَانَ زَيْفًا غَيْرَ خَافٍ مُزَلَّلَا

فانظرْ كيف هضَم نفسَه ورآها أَولىٰ بالذم والعيب، وأنها مقصِّرة لم تبلغ العلياء، واعتبر العيبَ الذي يُؤخَذ علىٰ قصيدته هذه، هو: أنها له!!، ثم وصَفَ نظمَه هذا بالرداءة والخطأ، وهو مَن هو في العلم والصلاح والتقوىٰ، وقد نفع الله بقصيدته هذه خلائقَ لا يُحصَون، فرحمه الله تعالىٰ برحمته الواسعة.

وهذا هو شأن أهل العلم: يتواضعون، ويذمُّون أنفسَهم ويهضمونها، ويتلمَّسون العفوَ من القارئ الكريم، وهذه مسألة مهمة لكل مَنْ مَنَّ الله عليه بالتصنيف أو التحديث، وهي: الحذر من الزَّهو والإعجابِ بما خطَّتْه اليدُ، أو نطقتْ به الشفاه؛ فكل خير وفضل إنما هو من الله وحده، قال الله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، ومَن حاد عن هذا الأصل= وقع في هاوية الإعجاب، وانجرف في سيله العَرِم، وما أجمل ما قاله الشيخ حافظ الحَكَمي رحمه الله:

وَالْعُجْبَ فَاحْذَرْهُ إِنَّ الْعُجْبَ مُجْتَرِفٌ ... أَعْمَالَ صَاحِبِهِ فِي سَيْلِهِ الْعَرِمِ[(١)]

كان مَخلد بن الحسين رحمه الله إذا ذُكِر عنده أخلاقُ مَن سلف ينشد:

لا تَعْرِضَنَّ بِذِكْرِنَا فِي ذِكْرِهِمْ ... لَيْسَ الصَّحِيحُ إِذَا مَشَىٰ كَالْمُقْعَدِ[(٢)]

قال سعيد المؤدِّب رحمه الله: قلت لأبي بكر الخطيب -عند قدومي-: أنت الحافظ أبو بكر؟ قال: (انتهىٰ الحفظ إلىٰ الدارقطني)[(٣)].

لمَّا حرَّر ابنُ القيم رحمه الله الكلامَ في مسألة الرجاء -في كلامٍ لشيخ الإسلام الهَروي-، **قال:** (وهذا غاية جهد المقِلِّ في هذا الموضع؛ فمن كان عنده فضلُ

---

(١) المنظومة الميمية، البيت: (٧٢).

(٢) انظر: حلية الأولياء، لأبي نُعيم (٨/ ٢٦٦).

(٣) انظر: السير (١٨/ ٢٨١).

علم فلْيَجُدْ به، أو فلْيعذر ولا يبادر إلىٰ الإنكار؛ فكم بين الهدهد وسليمان نبيِّ الله -صلىٰ الله علىٰ نبينا وعليه وسلم؟- وهو يقول: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ﴾ [النمل: ٢٢]، وليس شيخ الإسلام(١) أعلم من نبي الله، ولا المُعترِض عليه(٢) بأجهلَ من هدهد، وبالله المستعان، وهو أعلم)(٣).

ولما ذكر الخلافَ في مسألة الجنة التي أُهبِط منها آدمُ عليه السلام؛ هل هي جنة الخلد المعروفة، أو هي من جنان الأرض؟ **قال في نهاية كلامه** -متواضعًا لا متعاليًا-: (فهذا موقفُ نظرِ الفريقين، ونهايةُ إقدامِ الطائفتين؛ فمن كان عنده فضلُ علم في هذه المسألة فلْيَجُدْ به؛ فهذا وقت الحاجة إليه، ومن علِم منتهىٰ خطوتِه، ومقدارَ بضاعتِه= فلْيَكِلِ الأمرَ إلىٰ عالمه، ولا يرضىٰ لنفسه بالتنقيص والإزراء عليه، ولْيكن من أهل التُّلول الذين هم نَظَّارة الحرب، إذا لم يكن من أهل الكَرِّ والفَرِّ والطعْن والضرب؛ فقد تلاقتِ الفحول، وتطاعنَتِ الأقران، وضاق بهم المجال في حلبَة هذا المَيدان:

إِذَا تَـلاقَـىٰ الْـفُـحُـولُ فِـي لَـجَـبٍ   فَكَيْفَ حَالُ الْبَعُوضِ فِي الْوَسَطِ)(٤)

ولمَّا فرغ من كتابه: «مدارج السالكين» **قال**: (فيا أيها القارئ له: لك غُنْمُه، وعلىٰ مؤلفه غُرْمه، ولك ثمرته، وعليه تَبِعَته؛ فما وجدتَ فيه مِن صواب وحقٍّ فاقبلْه، ولا تلتفت إلىٰ قائله، بل انظر إلىٰ ما قال لا إلىٰ مَن قال)(٥).

---

(١) يعني به: الهروي -صاحب منازل السائرين-.

(٢) يريد نفسَه.

(٣) مدارج السالكين (٢/ ٢٨٣).

(٤) مفتاح دار السعادة (١/ ١٤٠ - ١٤٢).

(٥) مدارج السالكين (٤/ ٥٥٤).

وقال في مقدمة «المفتاح»: (هذا وإنما أُودع من المعاني والنفائس رهنٌ عند متأمِّله ومُطالِعه، له غُنْمه، وعلىٰ مؤلفه غُرْمه، وله ثمرته ومنفعتُه، ولصاحبه كدره ومشقتُه، مع تعرُّضه لطعن الطاعنين، ولاعتراض المنافسين، وهذه بضاعته المُزْجاة، وعقله المكدود يُعرَض علىٰ عقول العالمين، وإلقاؤه نفسَه وعِرْضَه بين مخالب الحاسدين، وأنياب البُغاة المعتدين، فلك أيها القارئ صفوُه، ولمؤلفه كدرُه، وهو الذي تَجشَّم غراسَه وتعبَه، ولك ثمرُه، وها هو قد استُهدِف لسهام الراشقين، واستعذَر إلىٰ الله من الزلل والخطأ، ثم إلىٰ عباده المؤمنين)(١).

وأختم بنقلَين متينَين للذهبي رحمه الله، **قال**: (إيثار الخمول(٢) والتواضع وكثرة الوجَل= من علامات التقوىٰ والفلاح)(٣)، **وقال**: (مَن طلب العلم للآخرة= كَسره علمُه، وخشع قلبُه، واستكانت نفسُه، وكان علىٰ نفسه بالمرصاد؛ فلا يفترُ عنها، بل يحاسبها كلَّ وقت ويثقِّفها؛ فإنْ غفل= عنها جَمَحَتْ عَن الطريق المستقيم وأهلكتْه، وَمن طلب العلم للفخر والرياسة، ونظر إلىٰ المسلمين شزرًا، وتحامَقَ عليهم وازدرىٰ بهم= فهذا من أكبر الكِبر، ولا يدخل الجنة مَن كان في قلبه مثقالُ ذرَّةٍ مِن كبر، فلا حول ولا قوة إلا بالله)(٤).

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١٧١).

وانظر له أيضًا: شفاء العليل (١/ ١٨)، وحادي الأرواح (١/ ١٦ - ١٧)، وروضة المحبين (١/ ٢٢ - ٢٣)، وطريق الهجرتين (١/ ١٠ - ١١)، وعدة الصابرين (١١).

(٢) أي: عدم الشهرة.

(٣) السير (١١/ ٢٢٦).

(٤) الكبائر (١٩٧).

المطلب الرابع

الصدق

قال الشاطبي رحمه الله:

٧٩. وَقُلْ صَادِقًا ....

أمر الله عز وجل المؤمنين بالصدق، وأن يكونوا مع أهله، وجعله قرينَ التقوىٰ، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التوبة]، وتأملْ قولَه تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ٣٣﴾ [الزمر]، مع قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة]؛ كيف جعل الصدقَ سبيلًا إلىٰ بلوغ مرتبة التقوىٰ، والتقوىٰ طريقًا للعلم!.

وبيَّن صلى الله عليه وسلم أنه يقود إلىٰ كل خير وفضيلة، فقال: «**إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَىٰ البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَىٰ الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّىٰ يَكُونَ صِدِّيقًا**»(١)؛ فهو منزلة عظمىٰ، وطريق أقْوم، وله أثره البالغ في العلم ونشره؛ فاللسان آلة البيان، وبه يكون نشر العلم وبالبَنان، ولا ينبغي لمن أنطقه الله بتوحيده وذِكره، ومنَّ عليه بعلمه أن يَحيف عنه إلىٰ الكذب، بل يجب عليه المداومة برعاية تلك النعمة بلزوم الصدق.

قال الأوزاعي رحمه الله: (تَعلَّمِ الصدقَ قبل أن تَعلَّمَ الحديثَ)(٢)، **وقال وكيع** رحمه الله:

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الأدب، باب: قول الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ (٤/ ٣٣٩ – ح ٦٠٩٤)، ومسلم، كتاب: البر والصلة، باب: قبح الكذب، وحسن الصدق وفضله (ح ٦٥٨٠).

(٢) انظر: الجامع لأخلاق الراوي، للخطيب (٢٠٠).

(هذه صناعةٌ[(١)] لا يرتفع فيها إلا الصادق)[(٢)]، **وقال المرُّوذي** رحمه الله: (سُئل أحمد بن حنبل: بِمَ بلغ القومُ حتىٰ مُدِحوا؟ قال: بالصِّدق)[(٣)]، **وقال عبد الرحمن بن مهدي** رحمه الله: (لو أن رجلًا همَّ أن يكذب في الحديث= أسقطه الله عز وجل)[(٤)].

ومن المسلَّم به: أن العلم من أعظم المنائح والهِبات، ولا يضعه الله في قلب فاجر، **ومن المقرَّر:** أن من ترَك الصدق= وقع في الكذب، وحينها: سيركب في قافلة الفجور، والعياذ بالله، قال ﷺ: «**وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَىٰ الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَىٰ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا**»[(٥)]؛ فبه يتميَّز أهل الشر من أهل الخير.

ومن آثاره في العلم:

١. قوة حجة صاحبه، **قال عنه ابن القيم** رحمه الله: (ولا واجَه باطلًا إلا أرْداه وصرعه، مَن صال به لم تُردَّ صولتُه، ومن نطق به علَت علىٰ الخصوم كلمتُه)[(٦)].

٢. صيانته من الاسترسال مع شهوات النفس المهلكة وأهوائها، **قال ابن القيم** رحمه الله: (قال بعضهم: لَم يشمَّ روائحَ الصدق عبدٌ داهَنَ نفسَه أو غيرَه)[(٧)].

٣. به يبلغ العبد مُناه، ويصل إلىٰ منتهاه، فمن سأل اللهَ الشيءَ بصدق بلَّغه

---

(١) أي: العلم.

(٢) انظر: الجامع لأخلاق الراوي (٢٧٨).

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) انظر: المصدرين السابقين.

(٥) هو بقية الحديث السالف ذكرُه.

(٦) مدارج السالكين (٢/ ٦٢٧).

(٧) المصدر السابق (٢/ ٦٣٧).

إياه، قال ﷺ: «**مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا أُعْطِيَهَا، وَلَوْ لَمْ تُصِبْهُ**»، وفي رواية: «**مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ= بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَىٰ فِرَاشِهِ**»(١)، وعلىٰ هذا فِقِسْ؛ فمَن صدق في العِلم= رُزِقَه.

ومن بركات العلم، وأسباب ذيوعه: صدق حامله؛ فالنفوس مجبولة علىٰ الطمأنينة إلىٰ الصدق وأهله.

ومعنىٰ: (**وَقُلْ صَادِقًا**): قل قولًا صادقًا، فـ: (**صَادِقًا**) هنا حال(٢).

المطلب الخامس
سلامة الصدر

قال الشاطبي رحمه الله:

٨٠. وَعِــشْ سَــالِـمًـا صَــدْرًا ... .

إبراهيم عليه السلام أدرك عِظَمَ هذه المنزلة في النجاة من الخزي الأعظم، فقال: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء]، فمهما مُتِّع العبدُ بأنواع النِّعم، وصنوف الملاذِّ؛ فإنها لا تنفعه إن لم يتحَلَّ بهذه الخَصلة، وهذا ما فطن إليه الخليل عليه السلام حينما نفىٰ الانتفاع بحطام الدنيا، ويجلِّي لك هذا جيدًا قولُه تعالىٰ عن أهل الجنة: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحِجر]، فانظرْ كيف عدَّ سلامة الصدر من نعيم أهل الجنة؟!.

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الجهاد، باب: استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالىٰ (ح ٤٩٠٦ – ٤٩٠٧).

(٢) انظر: الدرة الفريدة، لابن النجيبين (١/ ٢٠٤)، وإبراز المعاني (١/ ١٢٣).

وقد أثنىٰ الله ﷻ علىٰ مَن هذه صفتُه، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾ [الحشر]، وكان من دعاء النبي ﷺ: «**وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا**»(١).

قال ابن القيم ؒ: (فمَن أحب أن يقابل اللهُ إساءتَه بالإحسان= فلْيُقابلْ هو إساءةَ الناس إليه بالإحسان)(٢)، ويجب أن تتسع صدورُ المسلمين علىٰ كل الخَلق، وبالأخص: طلبة العلم فيما بينهم؛ فهذا هو اللائق بهم، فلا يَليق بعِلْية القوم التراشقُ والتناحُر، وهكذا كان الرَّعيل الأول ؆، فخلافهم لا تباغُض فيه؛ لأنهم يريدون وجه الله، **قال طارق بن شهاب** ؓ: (كان بين خالد وسعد كلام؛ فذهب رجل يقع في خالد عند سعد، فقال: مَهْ؛ إن ما بيننا لم يبلغ دِينَنا)(٣)، **وقال يونس الصدفي** ؒ: (ما رأيتُ أعقلَ من الشافعي، ناظرتُه يومًا في مسألة، ثم افترقنا، ولقيني؛ فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسىٰ، ألا يستقيم أن نكون إخوانًا وإن لم نتفق في مسألة؟!)(٤).

ومَن سلِم صدرُه= سلِم دينُه؛ فالصدر إن كان ممتلئًا بما لا يُرضي الله= غادرَتْ منه الحكمة، وانقشعَتْ عنه الأنوار، وكتاب الله أجلُّ مِن أن يكون في قلبٍ ممتلئٍ خبثًا، مشحونٍ بُغضًا، والله المستعان.

---

(١) أخرجه ابن حبان (٥/ ٣١٠ – ح ١٩٧٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٧/ ٦٩٥ – ح ٣٢٢٨).

(٢) مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٤٩).

(٣) انظر: صفة الصفوة (١/ ١٦٤).

(٤) انظر: السير (١٠/ ١٦).

المطلب السادس

الصبر

قال الشاطبي رحمه الله:

٨١. وَهذَا زَمَانُ الصَّبْرِ مَنْ لَكَ بِالَّتِي   كَقَبْضٍ عَلَىٰ جَمْرٍ فَتَنْجُو مِنَ الْبَلَا

أمر الله عز وجل نبيَّه ﷺ بالصبر، وبيَّن له أنه لا قِوام له بتحقيقه إلا بمعونته سبحانه، فقال له: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]، فالصبر مِنَّةٌ عظمىٰ، ونعمة كبرىٰ؛ فهو نور يستضيء به صاحبُه في الدنيا والآخرة، ولا تعثَّر مَن تعثَّر ووقع في حبائل الشبهات، وغرق في بحار الشهوات إلا بعد أن انفكَّتْ عنه العناية الإلهية، واللطف الربَّاني، وترحَّل عنه الصبر؛ فمشىٰ في دياجير الظلام، ومِن هنا وصَف الشارعُ الصبْرَ بأنه: ضياء، قال ﷺ: «**وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ**»[1]؛ فلا يزال الصابرُ مستضيئًا، مهتديًا، مستمرًّا علىٰ الصواب[2]، وقد جاء وصف الصلاة بأنها: (نور)، وجاء وصف الصبر بأنه: (ضياء)، وهو أبلغ؛ فالضياء أقوىٰ من النور، وقد قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا﴾ [يونس: ٥]؛ وذلك أن الصبر أوسع من الصلاة؛ لأن كل واحدة من الواجبات والمحظورات تحتاج إلىٰ الصبر، بل مناط جميع أمور الدِّين علىٰ الصبر، ولمَّا كانت الأعمال كلها لا بدَّ لها من الصبر، ولا يتم إلا به= كان ضياءً للمتصِف به، يقوده إلىٰ كل طاعة، وتذوده عن كل معصية، ولأن فيه حرارة ومرارة؛ فهو شاق علىٰ الإنسان؛ لِما يُلابسه من المشقة والمعاناة[3].

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الطهارة، باب: فضل الوضوء (ح ٥٣٣).

(٢) انظر: شرح النووي (٣/ ٩٧).

(٣) انظر: التنوير (٧/ ١٨١)، ومرعاة المفاتيح (٢/ ١١٦)، وشرح الأربعين النووية، لابن عثيمين (٢٤٨).

وأشار الناظم ﵀ هنا إلىٰ حديث: (**يَأْتِي عَلَىٰ النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَىٰ دِينِهِ كَالقَابِضِ عَلَىٰ الجَمْرِ**)(١)؛ لأنه يفيض الشر، ويخفىٰ الخير، ويَقِلُّ أعوانُه، ويؤذَىٰ الباقي علىٰ الحق، ويكثر أهلُ البدع، ويُعَدُّ المعروفُ منكرًا، والمنكرُ معروفًا؛ فشبَّه الصابرَ علىٰ دينه كالقابض علىٰ الجمر مِن تشبيه المعقول بالمحسوس(٢)، ففيه: بيانٌ لشدة الحال، وغُرْبة أهل الدين والصلاح، والله المستعان(٣).

وقارِنْ هذا مع قوله:

٨٧. هُوَ المُجْتَبَىٰ يَغْدُو عَلَىٰ النَّاسِ كُلِّهِمْ ... قَـرِيـبًـا غَـرِيـبًـا مُـسْـتَـمَـالًا مُـؤَمَّـلَا

◆ ◆ ◆

المطلب السابع
الحرص على الأوقات

قال الشاطبي ﵀:

٨٣. .... فَيَا ضَيْعَةَ الأَعْمَارِ تَمْشِي سَبَهْلَلَا

وهذا من أعظم ما يجب أن يُعنىٰ به كلُّ عاقل، فكيف بطالب العِلم؟! ومتىٰ ما اختلَّ هذا البابُ عندك؛ فكبِّر علىٰ نفسك أربعًا، فـ:

الْـوَقْـتُ أَنْـفَـسُ مَـا عُـنِـيتَ بِحِفْظِهِ ... وَأَرَاهُ أَسْـهَـلَ مَـا عَلَيْك يَـضِـيـعُ(٤)

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب: الفتن (ح ٢٢٦٠)، وصححه الألباني.

(٢) انظر: التنوير (١١/ ١٩٢).

(٣) وانظر: نونية ابن القيم، فصل: فيما أعد الله تعالىٰ من الإحسان للمتمسكين بكتابه وسنة رسوله ﷺ عند فساد الزمان (٢٨٩)؛ فقد ذكر أبياتًا في هذا الشأن.

(٤) البيت للوزير ابن هبيرة. انظر: الآداب الشرعية (٢/ ٣٦٥).

والمسألة مسألة توفيق من الله، فمَن أراد الله به الخيرَ= عمَر وقتَه به، ومن أُريد به غير ذلك= رأيتَه متخبِّطًا في أوقاته، يقضيها بما لا فائدة منه، وربما بما يعود عليه بالضرر، والله الموفق، فالأوقات أعمار، من فرَّط فيها إنما يفرِّط في عمره، فـ(الوقتَ الوقتَ للتحصيل؛ فكن حِلْفَ عمل، لا حِلْفَ بطالة وبطَر، وحِلْسَ مَعْمَل، لا حِلْسَ تَلَّةٍ وسمَر)[(١)].

والعاقل يغتنم وقتَه قبل أن يُحال بينه وبين ما يُعيقُه عن كسب الخير؛ ولذا كانت من وصايا الرسول ﷺ: «**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَوِ الدُّخَانَ، أَوِ الدَّجَّالَ، أَوِ الدَّابَّةَ، أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ، أَوْ أَمْرَ الْعَامَّةِ**»[(٢)].

والحذرَ الحذرَ من الغفلة؛ فإنها قائد الضياع، ورُبَّان التسويف؛ ولذا لما أمر الله سبحانه باغتنام الوقت بذِكره؛ نهىٰ عن الغفلة؛ لأنها تَحول بين المرء وبين الخير، فقال ﷻ: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥﴾ [الأعراف]، ورُوي عن علي رضي الله عنه أنه **قال**: (طول الأمل يُنسي الآخرة)[(٣)].

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (إني لأَمْقُتُ الرجلَ فارغًا؛ لا في أمر الدنيا، ولا في أمر الآخرة)[(٤)].

---

(١) العبارة للشيخ بكر أبو زيد في كتابه النفيس: حلية طالب العلم (٢٥٨).

(٢) أخرجه مسلم (ح ٢٩٤٧)، كتاب: الفتن، باب: في بقية من أحاديث الدجال، ومعنىٰ: **(خاصة أحدكم)**، أي: الموت، أو شواغل النفس، و**(أمر العامة)**: القيامة، أو الفتن. انظر: الكاشف (١١/ ٢٤٤٨)، ومنة المنعم، للمباركفوري (٤/ ٣٨٦).

(٣) انظر: حلية الأولياء (١/ ٧٦).

(٤) أخرجه وكيع في الزهد (٦٥٢)، وأحمد في الزهد (١٣١).

وقال جعفر بن محمد بن ثابت البناني رحمه الله: (ذهبت أُلَقِّنُ أبي وهو في الموت، فقلت: يا أبتِ، قل: لا إله إلا الله، فقال: يا بُنَي، خَلِّ عني؛ فإني في وردي السادس أو السابع!)(١).

وكان أبو بكر النهشلي رحمه الله صالحًا، يَثِبُ للصلاة في مرضه ولا يقدِر، فيقال له(٢)، فيقول: (أُبادر طَيَّ الصحيفة!)(٣).

وسُئل عبد الرحمن ابن أبي حاتم الرازي رحمه الله عن اتفاق كثرة السماع له، وسؤالاته لأبيه، **فقال**: (ربما كان يأكل وأقرأ عليه، ويمشي وأقرأ عليه، ويدخل الخلاء وأقرأ عليه، ويدخل البيت في طلب شيء وأقرأ عليه)(٤).

ولا تُثْنِيَنَّك قسوةُ الظروف وشدةُ الحال فتَرْكَن إلىٰ السكون، بل سَلِ الله الإعانة، واجتهد في بلوغ الأرب، واللحوق بالرَّكب؛ فالذهب ينقَّىٰ من كل شائبة إذا أُدخِل الكِير!، و:

.... كُلُّ مَنْ سَارَ عَلَىٰ الدَّرْبِ وَصَلْ(٥)

يوسف عليه السلام دعا إلىٰ توحيد الله وهو في السجن!.

والسرخسي رحمه الله أَلَّف كتابَه الضخمَ: «المبسوط» الواقعَ في (١٥) مجلدًا، وهو في السجن!، **قال في نهاية كتاب العبادات**: (هذا آخر شرح العبادات، بأوضح المعاني

---

(١) انظر: حلية الأولياء (٢/ ٣٢٢).

(٢) أي: يراجَع في فعله هذا، ويُطلَب منه الراحة.

(٣) انظر: السير (٧/ ٣٣٣).

(٤) انظر: السير (١٣/ ٢٥١).

(٥) عجُز بيت لابن الوردي في لامِيَّتِه، البيت: (٢٤)، وصدره: (لا تَقُلْ ذَهَبَتْ أَمْجَادُهُ).

وأوجز العبارات، أملاه المحبوس عن الجُمَع والجماعات، مصلِّيًا علىٰ سيد السادات، محمدٍ المبعوث بالرسالات، وعلىٰ أهله من المؤمنين والمؤمنات)(١)، **وقال في نهاية كتاب الطلاق**: (هذا آخر شرح كتاب الطلاق بالمؤثرة من المعاني الدقاق، أملاه المحصور عن الانطلاق، المبتلىٰ بوَحشة الفِراق، مصليًا علىٰ صاحب البُراق، وآله وصحبه أهل الخير والسِّبَاق، صلاةً تتضاعف وتدوم إلىٰ يوم التلاق، كتبه العبد البريء من النفاق)(٢)، **وقال في آخر كتاب العتاق**: (انتهىٰ شرح كتاب العتاق، من مسائل الخلاف والوفاق، أملاه المستقبِل للمحن بالإعتاق، المحصور في طرف من الآفاق، حامدًا للمهيمن الرزاق، ومرتجيًا إلىٰ لقائه العزيز بالأشواق، ومصليًا علىٰ حبيبِ الخلَّاق، وعلىٰ آله وأصحابه خيرِ الصحب والرفاق)(٣).

وابن الجوزي رحمه الله ختم القراءات العشر علىٰ ابن الباقلاني -وقد شُرِّد وغُرِّب وسُجِن-، وكانت سِنُّه نحوَ الثمانين!، **قال الذهبي** رحمه الله **معلِّقًا**: (فانظر إلىٰ هذه الهمة العالية!)(٤).

وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ختم القرآن وهو في السجن (٨٠) مرةً، فلما بلغ قولَه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ۝٥٥﴾ [القمر] مات!(٥).

وابن القيم رحمه الله أَلَّف: «زاد المعاد» الواقع في (٦) مجلدات، وهو سِفر!، **قال في**

---

(١) (٤/ ١٩٢).

(٢) (٧/ ٥٩).

(٣) (٧/ ٢٤١).

(٤) السير (٢١/ ٣٧٧).

(٥) انظر: العقود الدرية (٤٤٣).

مقدمته: (وهذه كلمات يسيرة لا يستغني عن معرفتها مَن له أدنىٰ همَّة إلىٰ معرفة نبيه ﷺ وسيرته وهَدْيه، اقتضاها الخاطر المكدود علىٰ عُجَره وبُجَره، مع البضاعة المُزجاة التي لا تنفتح لها أبواب السُّدَد، ولا يتنافس فيها المتنافسون، مع تعليقها في حال السَّفر لا الإقامة، والقلبُ بكل وادٍ منه شُعبة، والهمة قد تفرقت شَذَر مَذَر، والكتاب مفقود، ومَن يفتح بابَ العلم؛ مذاكرتُه معدوم غير موجود...)(١).

وألَّف: «مفتاح دار السعادة» الواقع في (٣) مجلدات في سفر كذلك!، **فقال في مقدمته:** (وسميته: «مفتاح دار السعادة، ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة»؛ إذْ كان هذا من بعض النُّزُل والتُّحَف التي فتح الله بها عليَّ حين انقطاعي إليه عند بيته، وإلقائي نفسي ببابه مسكينًا ذليلًا، وتعرُّضي لنفحاته في بيته وحولَه بُكرةً وأصيلًا؛ فما خاب من أنزل به حوائجَه، وعلَّق به آمالَه، وأصبح ببابه مقيمًا، وبحِماه نزيلًا)(٢).

وكذلك كتابَه: «روضة المحبين ونزهة المشتاقين»، حيث **قال في مقدمته:** (والمرغوب إلىٰ مَن يقِف علىٰ هذا الكتاب أن يعذر صاحبَه؛ فإنه علَّقه في حال بُعدِه عن وطنه، وغَيبتِه عن كتبه)(٣).

ولله در القائل:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَزْرَعْ وَأَبْصَرْتَ حَاصِدًا ... نَدِمْتَ عَلَىٰ التَّفْرِيطِ فِي زَمَنِ الْبَذْرِ(٤)

وأسأل الله أن يعفو عنا ويُعيننا، ويستعملنا في طاعته.

(١) زاد المعاد (١/ ٥٢).

(٢) (١/ ١٧٠).

(٣) (٢٣).

(٤) انظر: حفظ العمر، لابن الجوزي (٦٥).

المبحث الثالث

الأدب مع الغير

المطلب الأول

ثناؤه على المتقدمين

من أمارات إخلاص طالب العلم وصدقه: ثناؤه علىٰ الأوائل، والدعاء لهم، والتصريح بفضلهم وعلمهم، وهي مِن بركات العِلم، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر]، والثناء والغِلُّ لا يجتمعان، **قال ابن عبد البر** رحمه الله: (يقال: إن من بركة العلم: أن تُضيفَ الشيء إلىٰ قائله)[1]، **وقال القرطبي** رحمه الله **في مقدمة «تفسيره»**: (وشرْطي في هذا الكتاب: إضافة الأقوال إلىٰ قائليها، والأحاديث إلىٰ مصنِّفيها، فإنه يقال: مِن بركة العلم أن يضاف القولُ إلىٰ قائله)[2]، **وقال النووي** رحمه الله: (ومِن النصيحة: أن تُضاف الفائدةُ -التي تُستغرب- إلىٰ قائلها، فمَن فعل ذلك: بورك له في علمه وحاله...، ولم يزل أهلُ العلم والفضل علىٰ إضافة الفوائد إلىٰ قائلها، نسأل الله تعالىٰ التوفيقَ لذلك دائمًا)[3].

وقد كانت هذه سِمةً في الإمام الشاطبي رحمه الله، فقد قال:

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١١٥).

(٢) تفسير القرطبي (١/ ٨).

(٣) بستان العارفين (١٥).

٢٠. جَـزَىٰ اللهُ بِالْخَيْرَاتِ عَنَّا أَئِمَّةً لَـنَـا نَـقَـلُـوا الـقُـرآنَ عَـذْبًـا وَسَلْـسَـلَا

٢١. فَمِنْهُمْ بُدُورٌ سَبْعَةٌ قَدْ تَوَسَّطَتْ سَمَاءَ الْعُلَىٰ والْـعَـدْلِ زُهْـرًا وَكُمَّلَا

٢٢. لَهَا شُهُبٌ عَنْهَا اسْتَنَارَتْ فَنَوَّرَتْ سَـوَادَ الـدُّجَىٰ حَتَّىٰ تَـفَـرَّقَ وَانْـجَـلَا

فانظر كيف دعا لهم، وأثنىٰ عليهم بعاطر القول، ثم أخذ يعدد القرَّاءَ برواتهم مثنيًا عليهم!.

كما أنه اعترف بفضلهم وسابقتهم، حيث بيَّن أن أصل منظومته: كتابُ «التيسير»، لأبي عمرو الداني ﵀، فقال ﵀:

٦٨. وَفِي يُسْرِهَا التَّيْسِيرُ رُمْتُ اخْتِصَارَهُ فَـأَجْـنَـتْ بِـعَـوْنِ اللهِ مِـنْـهُ مُـؤَمَّـلَا

٦٩. وَأَلْـفَـافُـهَـا زَادَتْ بِنَشْرِ فَـوَائِـدٍ فَـلَـفَّـتْ حَـيَـاءً وَجْـهَـهَـا أَنْ تُفَضَّلَا

وتأملْ -أيضًا- كيف رفع قدرَ أبي عمرو، ودفع توهُّمَ تفضيله عليه لما ذكر أن قصيدته زادت علىٰ ما في كتابه «التيسير»، وأنها استَحْيَت استحياءَ التلميذ من المعلِّم، والمتأخر من المتقدم!.

فالأوائل لهم قدم السَّبق، وسابقة الفضل، جهودهم تُذكَر فتُشكَر، وتُذاع وتُنشر، ورحم الله الإمام الذهبي، **حيث قال** -لما طالَع «صحيحَ الإسماعيلي»، أحد كبار الشافعية-: (طالعتُه وعلَّقتُ منه، وابتهرْتُ بحفظ هذا الإمام، وجزمتُ بأن المتأخرين علىٰ إياسٍ من أن يلحقوا المتقدمين في الحِفظ والمعرفة!)(١)، **وقال ابن القيم** ﵀ -لما عقَّب علىٰ كلام شيخ الإسلام الهروي في منزلة الرجاء-: (والله يشكر لشيخ الإسلام(٢) سعيَه، ويعلي درجتَه، ويجزيه أفضلَ جزائه، ويجمع بيننا وبينه في

(١) انظر: تذكرة الحفاظ (٣/ ١٠٦).

(٢) يعني به: الهروي -صاحب منازل السائرين-.

محل كرامته؛ فلو وجد مريدُه سعةً وفسحةً في ترك الاعتراض عليه واعتراض كلامه لَمَا فعل، كيف وقد نفعه الله بكلامه، وجلس بين يديه مجلس التلميذ من أستاذه، وهو أحد من كان علىٰ يديه فتحه يقظةً ومنامًا؟!)[(١)]، فتأملْ عظيمَ ما حوتْه هذه الأسطرُ من الثناء، والدعاء، والاعتذار علىٰ الاعتراض، والاعتراف بالاغتراف من علمه، فرحمهم الله برحمته الواسعة، **وهو القائل** ﷺ: (للسلف غَوْر ودقَّة فَهم لا يدركها كثير من المتأخرين)[(٢)].

فلا يليق إذنْ إهمالهم، فضلًا عن الحطِّ من قدرهم، أو التنقص منهم، **قال الطحاوي** رحمه الله: (وعلماء السلف من السابقين ومَن بعدهم من التابعين -أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر- لا يُذكَرون إلا بالجَميل، ومَن ذَكَرهم بسوء= فهو علىٰ غير السبيل)[(٣)]، **وقال ابن عساكر** رحمه الله مبينًا خطورة الوقيعة فيهم: (واعلم يا أخي -وفقنا الله وإياك لمرضاته، وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته- أن لحوم العلماء -رحمة الله عليهم- مسمومة، وعادة الله في هَتْك أستار منتقصيهم معلومة؛ لأن الوقيعة فيهم بما هم منه براء= أمره عظيم، والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء= مرتع وخيم، والاختلاق علىٰ من اختاره الله منهم لنعش العلم= خُلق ذميم)[(٤)]، **وقال أيضًا**: (وكل من أطلق لسانه في العلماء بالثَّلْب= بلاه الله عَزَّ وَجَلَّ قبل موته بموت القلب)[(٥)]، **وقال ابن المبارك** رحمه الله: (من استخفَّ بالعلماء= ذهبَت آخرتُه)[(٦)]،

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٨٣).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٤٦٩).

(٣) العقيدة الطحاوية (٨٢).

(٤) تبيين كذب المفتري (٢٩).

(٥) المصدر السابق (٤٢٥).

(٦) السير (٤/ ٤٠٨).

وقال ابن الأذرعي رحمه الله: (الوقيعة في أهل العلم -ولا سيما أكابرهم- من كبائر الذنوب)[١]، **وقال الحسن بن سفيان الشيباني** رحمه الله لمن أثقل عليه: (ما هذا؟! قد احتملْتُك مرتين وأنا ابن تسعين سنة، فاتق الله في المشايخ، فربما استُجيبت فيك دعوة؛ فقال له[٢] ابنُ خزيمة: مَهْ! لا تُؤْذِ الشيخَ)[٣].

وهي من علامات الشر، والعياذ بالله، **قال مالك بن دينار** رحمه الله: (كفىٰ بالمرء شرًّا أن لا يكون صالحًا، وهو يقع في الصالحين)[٤].

بل من أسباب سوء الخاتمة -ولو كان صاحبها إمامًا[٥]-، نسأل الله حسنَها، **قال ابن حجر** رحمه الله في ترجمة القاضي الفقيه الشافعي: محمد بن عبد الله الزبيدي -وكان ممن اشتهر ذكرُه، وبعُد صيتُه-: (أخبرني الجمال المصري محمد بن أبي بكر -بزبيد- أنه شاهده عند وفاته، وقد اندلع لسانُه واسودَّ؛ فكانوا يرون أن ذلك بسبب كثرة وقيعته في الشيخ محيي الدين النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ)[٦].

---

(١) الرد الوافر، لابن ناصر الدين الدمشقي (١٩٧).

(٢) أي: للسائل.

(٣) السير (١٤/ ١٥٩).

(٤) انظر: شعب الإيمان (١٠/ ٢٥٠ - رقم: ٦٣٥٨).

(٥) فلْيحذر طالب العلم من هذا؛ فإنه مزلق خطير، نسأل الله العافية والسلامة.

(٦) الدرر الكامنة، لابن حجر (٥/ ٢٣٤).

المطلب الثاني

الصحبة

ولا يخفىٰ ما لهذا الباب من كبير الأثر علىٰ سلوك الإنسان ومنهجه؛ ولذا جاءت نصوص الوحيين مبيِّنةً عظيمَ أمر الصُّحبة، قال تعالىٰ: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ٦٧﴾[الزخرف]، وقال ﷺ: «**الْمَرْءُ عَلَىٰ دِينِ خَلِيلِهِ؛ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**»[(١)]، وأمر الشارع باعتبار ميزان الإيمان فيه، فقال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾[لقمان: ١٥]، وقال ﷺ: «**لا تَصْحَبْ إلا مُؤْمِنًا، وَلا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إلا تَقِيٌّ**»[(٢)]، وقال: «**وَلا يُحِبُّ رَجُلٌ قَوْمًا إلاَّ حُشِرَ مَعَهُمْ**»[(٣)]؛ فالعاقل لا يرضىٰ لمجالسته إلا أهلَ مجانسته[(٤)]، وهذا الأمر قد استقرَّ حتىٰ عند الأقدمين، قال الشاعر الجاهلي، طَرَفَة بن العَبْد البكري الوائلي:

عنِ المرْءِ لَا تَسألْ وسَلْ عن قَرينه   فكُلُّ قَرينٍ بالمُقَارِنِ يَقْتَدي[(٥)]

قال ابن حبان رحمه الله: (العاقل لا يدنِّس عِرْضَه، ولا يُعوِّد نفسَه أسبابَ الشر

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب: الأدب، باب: من يُؤمر أن يجالس (ح ٤٨٣٣)، والترمذي، كتاب: الزهد (ح ٢٣٧٨)، وحسَّنه الألباني.

(٢) أخرجه أحمد (١٧/ ٤٣٧ - ح ١١٣٣٧)، وأبو داود، كتاب: الأدب (ح ٤٨٣٢)، والترمذي، كتاب: الزهد، باب: ما جاء في صحبة المؤمن (ح ٢٣٩٥)، وحسَّنه الألباني.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٦/ ٢٩٣ - ح ٦٤٥٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/ ٥٨٠) بلفظ مقارب.

(٤) قال الزمخشري: (لا ترض لمجالستك إلا أهلَ مجانستك). انظر: الكَلِم النوابغ (٣٧٢).

(٥) ديوان طَرَفَة بن العَبْد (٣٢).

بلزوم صحبة الأشرار، ولا يُغضي[1] عن صيانة عِرضه، ورياضة نفسه بصحبة الأخيار)[2].

فالصاحب ساحب، والطبع سَرَّاق، والنفوس تتأثر بالمخالطة، ومَن صاحب أهل المعالي علا شأنُه، وارتفع قدرُه، وكان في منأىٰ عن سَفساف الأمور وحضيضها، وإن مصاحبة الأخيار من أهل العلم والفضل مِنْحة من الله للعبد، كما أن الأخرىٰ عقوبة.

وقد ألْمَحَ الشاطبي رحمه الله إلىٰ هذا الباب بقوله -عند ذكره رواة الإمام نافع-:

٢٦. وَقَالُونُ عِيسَىٰ ثُمَّ عُثْمانُ وَرْشُهُمْ   بِصُحْبَتِهِ الْمَجْدَ الرَّفِيعَ تَأَثَّلَا

فأخبر هنا أن قالونَ ووَرْشًا نالَا المجدَ الرفيعَ، وسادَا بصحبة الإمام نافع -رحم الله الجميع-.

وكذلك لما ذكر يحيىٰ اليزيديَّ رحمه الله أخبر أنه نهل العلمَ الكثير حتىٰ ارتوىٰ منه؛ بسبب إفاضة أبي عمرو رحمه الله له بالعلم، فقال رحمه الله:

٣٠. أَفَاضَ عَلَىٰ يَحْيَىٰ الْيَزِيْدِيِّ سَيْبَهُ   فَأَصْبَحَ بِالْعَذْبِ الْفُرَاتِ مُعَلَّلَا

---

(١) أي: يتجاهل ويهمل.

(٢) روضة العقلاء (١٤١).

المطلب الثالث

الحرص على نفع الناس

وصدَّر ﵀ هذه الوصيةَ بأسلوب بديع، يُثير العزائمَ، ويشحذ الهِممَ؛ حيث أثنىٰ علىٰ من وجَّه إليه الخطابَ، ووصفَه بالحرِّ الذي لم يأسره هواه في سجن العبودية المُذِلَّة، وهذا أسلوب جميل يحرك النفوسَ الأبيَّةَ، إلىٰ الأخلاق العليَّة:

الحرص علىٰ نفع الناس وانتشالهم من أوحال الأضرار، فيدلهم علىٰ عيوبهم وأخطائهم؛ لإصلاحهم لا لفضيحتهم، لنفعهم لا لضرهم؛ فالمؤمن مرآة أخيه، قال ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ**»(١)، **والمقصود**: أنه كالمرآة التي ينظر فيها وجهَه، ينبِّهه ويرشده إلىٰ ما يزينه عند مولاه تعالىٰ، وإلىٰ ما يزينه عند عباده، وهذا داخل في النصيحة(٢)، وشبَّه الإمامُ ﵀ ذلك بالكحل للعين؛ ينفعها ولا يضرها، ويزينها ولا يشينها، فقال:

٧٤. أَقُـولُ لِـحُـرٍّ وَالْـمُـرُوءَةُ مَـرْؤُهَـا لِإِخْـوَتِـهِ الْـمِـرْآةُ ذُو الـنُّـورِ مِكْحَلَا

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب: المسلم مرآة أخيه (٩٩ – ح ٢٣٨)، وأبو داود، كتاب: الأدب (٤٩١٨)، وحسَّنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٩٩).

(٢) انظر: سبل السلام، للصنعاني (٤/ ٣١٩).

المطلب الرابع
الوئام والمحبة

قال الشاطبي رحمه الله:

٧٩. .... لَـوْلَا الْـوِئَـامُ وَرُوحُـهُ لَطَاحَ الأَنَـامُ الْكُلُّ فِي الْخُلْفِ وَالْقِلَا

فهي من أسباب إبقاء المودات، ودَيمومة العَلاقات، والقبول عند الخلائق، وهذا الخُلق هو اللائق بالمسلم، وبخاصة: أهل العلم، وبالأخص: أهل القرآن، والوئام قُبَّة تجمع تحتها كلَّ خُلق نبيل، وعلىٰ رأس ذلك: الرحمة، وقد وصف الله خُلُقَ من أنزل عليه القرآنَ، فقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء]، وفي الحديث: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهم الرَّحمنُ**»(١)، وهذا الحديث يسمىٰ عند العلماء: المسلسل بالأولية؛ لأن كل راوٍ يقول لمَن بعده: (وهو أول حديث سمعتُه منه)(٢)؛ وذلك ليبني تعليمَه الناسَ علىٰ الرحمة بهم، وفي القرآن نجد أن الله جمع بين الرحمة والعلم، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧﴾ [غافر]، ونهىٰ الله تعالىٰ عن الغِلظة مع المحتاجين، وهو أمرٌ بالتلطف، فقال: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ١٠﴾ [الضحىٰ]، وروي

(١) أخرجه أبو داود، كتاب: الأدب، باب: في الرحمة (ح ٤٩٤١)، والترمذي، كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في رحمة المسلمين (ح ١٩٢٤)، وصححه الألباني.

(٢) انظر: شرح ثلاثة الأصول، لصالح آل الشيخ (٦٣). والمقصود: أنه يخبر تلميذَه بأنه أول حديث سمعه من شيخه.

عن الحسن رحمه الله أنه قال: (طالب العلم)(١)، وهذا يقتضي: التلطف معهم.

ولا يخفىٰ ما لوصيته هذه من أثر كبير في الاجتماع وعدم الفُرقة؛ ولذا قال ﷺ: «وَلَا تَخْتَلِفُوا؛ فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ»(٢)، وكذلك في اتقاء الشرور، وهذا أمر مستقرٌّ حتىٰ عند الأقدمين، قال الشاعر زُهير ابن أبي سُلمىٰ في معلَّقته:

وَمَـنْ لَا يُصَـانِعْ فِـي أُمُـورٍ كَـثِيرَةٍ ... يُضَرَّسْ بِأَنْيَابٍ وَيُوطَأْ بِمَنْسِمِ(٣)

وفي مشهور الحِكَم عند العرب: (لولا الوئام= هلك الأنام)(٤)، **فتبيَّن بهذا**: أن هذه الوصية تجلب الخير، وتدفع الشر، **قال ابن القيم** رحمه الله: (فليس للقلب أنفعُ من معاملة الناس باللطف؛ فإن مُعامِله بذلك:

- إما أجنبيٌّ: فيكسب مودتَه ومحبتَه.
- وإما صاحبٌ وحبيبٌ: فتستديمُ صحبتَه ومودتَه.
- وإما عدوٌّ ومُبغِض: فتطفئ بلطفك جمرتَه، وتستكفي شرَّه، ويكون احتمالُك لِمَضَضِ لطفك به دون احتمالك لضرر ما ينالك من الغلظة عليه والعنف به)(٥).

(١) انظر: تفسير البغوي (٤/ ٦٣٥).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الصلاة، باب: تسوية الصفوف وإقامتها (ح ٩٧١).

(٣) البيت: (٥٤).

(٤) انظر: أدب الدين والدنيا، للماوردي (٤٥٠)، ومجمع الأمثال، للنيسابوري (٢/ ١٧٦).

(٥) مدارج السالكين (٣/ ٣٤٤).

المطلب الخامس
في النصح للمسلمين

قال الشاطبي رحمه الله:

٩٠. وَقَدْ قِيلَ كُنْ كَالْكَلْبِ يُقْصِيهِ أَهْلُهُ وَمَا يَأْتَلِي فِي نُصْحِهِمْ مُتَبَذِّلَا

من مشهور الأمثال عند العرب: وفاء الكلب[١].

وأراد الناظم هنا: تحريكَ النفوسِ إلىٰ التحلي بالخصال الحميدة، وأنه إذا كان في أخس الحيوانات خصلة حميدة؛ فينبغي أن يُعمَل بها ولا تُهمَل[٢].

وقد صنَّف ابنُ المرزبان كتابًا في ذلك، وهو: «**فضل الكلاب علىٰ كثير ممن لبِس الثياب!**»، **ومما قال فيه:** (واعلم -أعزَّكَ الله[٣]- أن الكلب لِمن يقتنيه أشفقُ من الوالد علىٰ ولده، والأخ الشقيق علىٰ أخيه؛ وذلك أنَّه يَحرس ربَّه[٤]، ويحمي حريمَه شاهدًا وغائبًا، ونائمًا ويقظانًا، لا يقصِّرُ عن ذلك وإن جَفوه، ولا يخذُلهم وإن خذلوه، ورُويَ لنا أنَّ رجلًا قال لبعض الحكماء: أوصِني، قال: اِزهدْ في الدنيا، ولا تُنازِعْ فيها أهلَها، وانصحْ لله تعالىٰ كنصح الكلب لأهله؛ فإنهم يُجِيعونه

(١) انظر: كتاب الحيوان، للجاحظ (٢/ ٣١٧)، ونشوار المحاضرة، للتنوخي (٧/ ٢١٨ - ٢٢٥)، وتنبيه الغافلين، للسمرقندي (٣٥٥)، حيث نقل عن بعضهم: أن من خصال الغازي في الحروب: أن يكون فيه وفاء الكلب.

(٢) انظر: إبراز المعاني (١٣٠)، والعقد النضيد، للسمين الحلبي (١/ ٣٠٤).

(٣) وهذا من كمال أدبه، ورفيع ذوقه؛ أنْ قدَّم بين يدي كلامه بهذه الدعوة المتناسبة مع المذكور!.

(٤) أي: صاحبه.

ويضربونه، ويأبىٰ إلا أن يحوطهم نصحًا)(١)، وذكر جملةً من النقولات والروايات في هذا الباب.

والنصح للمسلمين من كمال الإيمان، وقد بيَّن ﷺ أن عمادَ الدين وقِوامَه مبني علىٰ النصح، ففي حديث تميمٍ الداري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» قلنا: لمن؟ قال: «**للهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ**»(٢)، وكان ﷺ يشترط مَن يبايعُه مِن أصحابه بذلك، فعن جرير رضي الله عنه قال: (بايعتُ رسولَ الله ﷺ علىٰ النصح لكل مسلم)(٣)، ولقد وفَّىٰ جرير رضي الله عنه بهذا، فقد ذكر النووي -نقلًا عن الطبراني- رحمهما الله: أن جريرًا رضي الله عنه أمر مولاه أن يشتري له فرسًا، فاشترىٰ له فرسًا بثلاثمائة درهم، وجاء به وبصاحبه لينقده الثمن؛ فقال جرير لصاحب الفرس: فرسك خير من ثلاثمائة درهم؛ أتبيعه بأربعمائة درهم؟ قال: ذلك إليك يا أبا عبد الله، فقال: فرسك خير من ذلك؛ أتبيعه بخمسمائة درهم؟ ثم لم يزل يزيده مائةً فمائةً، وصاحبه يرضىٰ، وجرير يقول: فرسك خير، إلىٰ أن بلغ ثمانمائة درهم؛ فاشتراه بها، فقيل له في ذلك(٤)، فقال: (إني بايعتُ رسولَ الله ﷺ علىٰ النصح لكل مسلم)، والله أعلم(٥).

---

(١) (٣٥).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان أن الدين النصيحة (ح ١٩٤). وانظر: شرح النووي (٢/ ٢٢٦).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان أن الدين النصيحة، الأثر رقم: (١٩٨).

(٤) سُئل عن ذلك، وكأنه عُوتِب عليه رضي الله عنه، ولا شك أن ما فعله رضي الله عنه هو اللائق بمنزلته!، ثم هذا هو الطريق إلىٰ البركة؛ فقد قال ﷺ -كما في الصحيحين- عن المتبايعَين: (**فإنْ صدَقَا وبيَّنا= بُورك لهما في بيعهما**).

(٥) انظر: شرح النووي (٢/ ٢٢٨).

وقال علي رضي الله عنه: (لا تُعاملْ بالخديعة؛ فإنها خُلق اللئام، وامْحَضْ(١) أخاك النصيحةَ -حسنةً كانت أم قبيحةً-، وساعِدْه علىٰ كل حال، وزُلْ(٢) معه حيث زال)(٣).

وأصل النصح: الخلوص، وهو: إخلاص العمل من الغشِّ(٤)؛ فلا بد من إخلاص النية فيها، ومن ذلك:

- أن يكون همُّه نفعَ المنصوح.
- وأن يبذلها إليه سرًّا ما أمكنه ذلك، إما بالخَلوة به، وإما بكلام عام وهو حاضر -شريطةَ ألا يُفهَم أنه المَعنِيُّ-؛ لأن غايتَه مِن بَذْلها: التقويمُ والإصلاح، لا التشهير والإفصاح، وقد جُبِلت النفوسُ علىٰ حبِّ اللين، والنفور من الغلظة، وهذا هو منهج القرآن؛ وتأملْ في سورة التوبة، حيث كرَّرت: ﴿وَمِنْهُمْ﴾، دون تصريح، وهو المنهج النبوي أيضًا، تقول عائشة رضي الله عنها: (كان النبي ﷺ إذا بلَغه عن الرجل الشيءَ لم يقل: ما بال فلان يقول؟ ولكن يقول: ما بال أقوام يقولون كذا وكذا؟)(٥)، **قال ابن حبان** رحمه الله: (ويجب أن يكون للعاقل نصيحةٌ مبذولةٌ للعامة، مكتومًا من العام والخاص -ما قَدِر عليه(٦)-)(٧).

---

(١) أي: أَخلِص.

(٢) أي: انتقِل.

(٣) انظر: روضة العقلاء (١٠٧ و٢٦٤).

(٤) انظر: معالم السنن، للخطابي (٣/ ٣٠٤)، وفتح القدير (٢/ ٥٥٥).

(٥) أخرجه أبو داود، كتاب: الأدب، باب: في حسن العشرة (ح ٤٧٨٨)، وصححه الألباني.

(٦) أي: يبذلها لكل أحد، وتكون سرًّا قدر المستطاع.

(٧) روضة العقلاء (٢٦٥).

قال ابن حبان رحمه الله: (من وعظ أخاه علانيةً فقد شانه، ومن وعظه سرًّا فقد زانه)(١)، **وقال سفيان** رحمه الله: (قلت لِمِسْعَر: تحب أن يخبرك رجلٌ بعيوبك؟ قال: أمَّا أن يجيء إنسانٌ فيوبِّخني بها فلا(٢)، وأمَّا أن يجيء ناصحٌ فنعَم)(٣).

- وأن يصبر علىٰ تَبِعاتها من الجفاء، والتُّهمة، والرد، **قال ابن حبان** رحمه الله: (النصيحة مُحاطةٌ بالتهمة)(٤).

ولْيعلمْ أن المنصوح ليس أَولىٰ بالنصيحة منه؛ فإن دَبَّ ذلك إليه= انقطعت بركةُ نُصْحِه أو ضَعُف تأثيرها -بحسب ما دخله-، **قال ابن حبان** رحمه الله: (وليس الناصح بأولىٰ بالنصيحة من المنصوح له)(٥).

ويجب علىٰ المنصوح: القبول؛ فإن أبىٰ= كان ذلك جنايةً منه علىٰ نفسه ودينه وخُلُقه، وهو دليل علىٰ ضعفه، وعندها: يكون ضِيقُ الإدراك، وزلَّةُ القدم، وعدمُ السداد، **قال ابن حبان** رحمه الله: (وأكثر ما يُوجَد ترك قبول النصيحة: من المُعجَب برأيه)(٦).

والنصح أمارة علىٰ الصدق، وهو من مُسقطات العتب واللوم عن المتخلف عن الواجبات؛ لأن الناصح لا يتخلف إلا بعذر، ولا يَخْلُفُ إلا بخير -فباطنه كظاهره-، قال تعالىٰ في حق المتخلفين عن غزوة تبوك: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى

(١) المصدر السابق (٢٦٧).

(٢) وهذا منه نفي للأسلوب، لا للقبول؛ فتأملْ.

(٣) انظر: روضة العقلاء (٢٦٧)، وذكر آثارًا جميلةً في تناصح السلف فيما بينهم، رحمهم الله تعالىٰ.

(٤) المصدر السابق (٢٦٦).

(٥) المصدر الأسبق (٢٦٥).

(٦) المصدر الأسبق (٢٦٧).

ﭐلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩١﴾ [التوبة]، **قال ابن الجوزي** رحمه الله: (والحرج: الضِّيق في القعود عن الغزو، بشرط النصح لله ولرسوله ﷺ...، وإنما شُرط النصح؛ لأن مَن تخلَّف بقصد السعي بالفساد فهو مذموم، ومِن النصح لله: حث المسلمين علىٰ الجهاد، والسعي في إصلاح ذات بينهم، وسائر ما يعود باستقامة الدين)(١)، **وقال أبو حيان** رحمه الله: (وشرَط في انتفاء الحرج: النصحَ لله ورسوله، وهو أن تكون نياتُهم وأقوالُهم سرًّا وجهرًا خالصة لله تعالىٰ من الغش، ساعيةً في إيصال الخير للمؤمنين، داعيةً لهم بالنصر والتمكين)(٢).

(١) زاد المسير (٢/ ٢٨٨).

(٢) البحر المحيط (١١/ ٣٩٢).

المبحث الرابع

المحاذير

المطلب الأول

الغِيبة

قال الشاطبي رحمه الله:

٥٤. ... ... وَعَـنْ غِيبَةٍ فَغِبْ تُحَضَّرْ حِظَارَ الْقُدْسِ أَنْقَىٰ مُغَسَّلَا

قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢]، وقال ﷺ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟**»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**»، قيل: أفرأيتَ إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «**إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ**»(١).

والأصل في المسلم: الحُرمة، قال ﷺ: «**كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ؛ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**»(٢)، ولا يخفىٰ ما لخطورة هذا الداء علىٰ صاحبه، بل علىٰ الناس كلهم؛ مِن إيغار الصدور، وإيقاد الضغائن، في حين أن المطلوب من طالب العلم: معالجة ذلك!.

ومَن أشغل نفسَه بالعلم والطاعة= لم يلتفتْ إلىٰ الخَلق، وهذه علامةُ توفيقٍ من الله؛ فإن من علامات الخِذلان: أن يُشغَل المرءُ بغيره، وفي الحديث: «مِنْ

(١) أخرجه مسلم، كتاب: البر والصلة، باب: تحريم الغيبة (ح ٢٥٨٩).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: البر والصلة، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وماله وعرضه (ح ٦٤٨٧).

حُسْنِ إِسْلامِ الْمَرْءِ: تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيهِ»[١]، **قال معروف** رحمه الله: (كلام العبد فيما لا يعنيه= خذلان من الله عز وجل)[٢]، **قال الحسن** رحمه الله: (من علامة إعراض الله عن العبد: أن يجعل شغله فيما لا يَعنيه)[٣]، وإذا اشتغلَتِ النفسُ بما لا يَعْنِيها= وقعَتْ فيما يُعَنِّيها.

ومما ينبغي أن يُفطَن له في هذا المقام: الحذر من تلبيس الشيطان وحبائله؛ فيزيِّن للمتكلم الوقيعةَ في الخَلق بحامل الغَيرة علىٰ الدين، وتقويم الخطأ؛ محتجًّا بصنيع الجهابذة الأتقياء في أبواب الجرح والتعديل، وشتان بين الفريقين، وبين النِّيَّتَين!! فأولئك تكلموا دِيانةً وصيانةً لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ متمنِّين أنْ لو كفاهم غيرُهم هذا الحِمْلَ الثقيل، وهذا قد تكلم تشفِّيًا وانتقامًا؛ فتجده يرتع في أودية الغِيبة الوخيمة، ويدنِّس قلبَه بها، **وعندها:** لا يجد طعمًا في طاعته، ولا بركةً في علمه، وقد مرَّ في مطلب: (ثناؤه علىٰ المتقدمين)[٤] قصة القاضي الفقيه الذي خُتِم له بسوء، وكانوا يرونه بسبب الوقيعة في الحافظ النووي رحمه الله، والله جل جلاله وحده العالم بالنوايا، المطلع علىٰ الخفايا، نسأله العافية والسلامة.

قال أبو شامة رحمه الله: (وإنما اعتنىٰ بذكر الغِيبة مِن بين الأخلاق المذمومة؛ لغلَبتها علىٰ أهل العلم، ومنه قيل: الغِيبة فاكهة القرَّاء، وقال بِشْر بن الحارث: هلك القرَّاء في هاتين الخصلتين: الغِيبة والعُجب)[٥].

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب: الزهد (ح ٢٣١٧)، وابن ماجه، كتاب: الفتن، باب: كف اللسان في الفتنة (ح ٣٩٧٦)، وصححه الألباني.

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب (١/ ٣٥٦).

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) (٣٧).

(٥) إبراز المعاني (١/ ١٢٤).

المطلب الثاني
الذنوب والمعاصي

قال الشاطبي رحمه الله:

٨٢. وَلَوْ أَنَّ عَيْنًا سَاعَدتْ لتَوَكَّفَتْ   سَحَائِبُهَا بِالدَّمْعِ دِيمًا وَهُطَّلَا

٨٣. وَلَكِنَّهَا عَنْ قَسْوَةِ الْقَلْبِ قَحْطُهَا   ....

اعلم أن أشد أنواع العقوبات التي يعاقَب بها العبد: الصرف عن دين الله تعالىٰ، والله عز وجل لا يظلم أحدًا، فمَن أعرض عن الله= أعرض الله عنه، ولا هلك مَن هلك إلا عن إعراض منه وصدود، وقد ذكر الله طرفًا من ذلك، فقال: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ١٢٧﴾ [التوبة]، وقال: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١١٠﴾ [الأنعام].

وإذا أراد الله توفيقك لطاعته= هيَّأ لك الأسباب، وذلَّل لك الصعاب، وحبَّبها إليك، ويسَّرها عليك، وإذا هِنْتَ عليه= جعلك ترتع في أوحال المعاصي، ثم لا يبالي بك في أي وادٍ هلكْتَ، وقد امتن الله علىٰ المؤمنين بهذا، فقال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٨﴾ [الحجرات]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ٤٦﴾ [التوبة]، وقال: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍ﴾ [الحج: ١٨]، **قال الحسن** رحمه الله: (هانوا عليه فعصوه، ولو عزُّوا عليه لَعصمهم)(١).

---

(١) انظر: الداء والدواء، لابن القيم (١٤٤).

وقال ابن القيم رحمه الله: (ولا يزال العبدُ يعاني الطاعة، ويألفها، ويحبها، ويؤْثِرها؛ حتىٰ يرسل الله سبحانه برحمته عليه الملائكةَ تؤزُّه إليها أزًّا، وتحرِّضه عليها، وتزعجه عن فراشه ومجلسه إليها، ولا يزال يألف المعاصي، ويحبُّها، ويؤثرها؛ حتَّىٰ يرسل الله عليه الشياطين فتؤزُّه إليها أزًّا)(١).

ومِن عظيم نِعم الله علىٰ العبد: أن يرزقه رقَّةَ القلب بذكره؛ فتتأثر لذلك الجوارح، وتذعن لخالقها، وتستجيب له، ويكون حاله كما قال الله: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣﴾ [الزمر]، وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢﴾ [الأنفال]، وقد نعت اللهُ أهلَ العلم بالخشوع والبكاء من خشيته، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨٣﴾ [المائدة]، تأملْ كيف ذكر سبحانه أن من صفاتهم: السماعَ والمعرفةَ، وكيف أورث ذلك لهم البكاءَ من خشيته جل جلاله!، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا۩ ١٠٩﴾ [الإسراء]، **قال عبد الأعلىٰ التَّيْميُّ** رحمه الله: (من أُوتيَ من العلم ما لم يُبْكِه= لَخليقٌ أن لا يكون أُوتيَ علمًا ينفعُه؛ لأن الله نعت العلماءَ فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ﴾ [الإسراء: ١٠٧])(٢)، وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[فاطر: ٢٨]، ولقد نال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في ذلك القدحَ المُعَلَّىٰ، وبلغ فيه ذروة الذُّرىٰ، بلا ريْب ولا امترا؛ فقد قال عن نفسه الكريمة: «**أَمَا واللهِ، إِنِّي لأَتْقَاكُمْ للهِ، وَأَخْشَاكُمْ لَهُ**»(٣)، وفي حديث

(١) الداء والدواء (١٤٠).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ١٢٢).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: الصيام، باب: بيان أن القُبلة في الصوم ليست محرمة علىٰ من لم تحرك شهوته (ح ٢٥٨٣).

ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: «**اِقْرَأْ عَلَيَّ**» قلت: آقرأُ عليك وعليك أُنزِل؟ قال: «**فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي**»، فقرأتُ عليه سورة النساء، حتىٰ بلغت: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾، قال: (**أَمْسِكْ**)؛ فإذا عيناه تذرفان[(١)].

والمقصود: أن البكاء منزلة رفيعة، ومرتبة شامخة، لا يُوَفَّق لنيلها إلا أفرادٌ أراد الله كرامتَهم، **ومن أكبر أسباب الظفر بها**: تعظيم الله في القلب، وتنزيه القلب عن أدران المعاصي؛ فعندها تترادف آلاء الله علىٰ ذلك القلب، ويكون محفوفًا بالخير، ومحفوظًا من الشر، **سُئل أبو سليمان الداراني** رحمه الله: (ما أقرب ما يُتقرب به إلىٰ الله عز وجل؟ فبكىٰ، ثم قال: مثلي يُسأل عن هذا؟! أقرب ما يُتقرب به إليه: أن يطَّلع علىٰ قلبك، وأنت لا تريد من الدنيا والآخرة إلا هو!)[(٢)]، **قال ابن رجب** رحمه الله: (القلب إذا قَلَّتْ خطاياه= أسرعَتْ دمعتُه)[(٣)].

فمتىٰ ما فارق العبدُ هذين الأصلين= قسا قلبُه، وجفَّتْ عيناه من دموع الخشية، وقد قلتُ في هذا -وأسأل الله مغفرتَه وفضلَه-:

وَالْقَحْطُ فِي تِلْكَ الْعُيُونِ فَسِرُّهُ الْـ ... ـقَلْبُ الْقَسِيُّ نَتَائِجُ الْعِصْيَانِ

وقد تقرَّر أن العلمَ أعظمُ النِّعم، ومن المعلوم: أن المعاصي تُزِيل النِّعمَ؛ فلا قرار للعلم في قلب العاصي -والله يتوب علىٰ من تاب، ويُرجع فضلَه وهو الكريم

---

(١) أخرجه البخاري، باب: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ (٣/ ٤٤٨ - ح ٤٥٨٢).

(٢) انظر: روضة المحبين، لابن القيم (٥٩٣)، وانظر إلىٰ تواضع هذا الإمام رحمه الله؛ حيث استعظم أن يُسأل عن مثل هذا!!.

(٣) مجموع رسائل ابن رجب (١/ ٢٦٢).

الوهاب-؛ فالعلم نور، قال الشافعي:

شَكَوْتُ إِلَىٰ وَكِيعٍ سُوءَ حِفْظِي ... فَأَرْشَدَنِي إِلَىٰ تَرْكِ الْمَعَاصِي
وَقَالَ اعْلَمْ بِأَنَّ الْعِلْمَ فَضْلٌ ... وَفَضْلُ اللهِ لَا يُؤْتَاهُ عَاصِي[1]

وقال ابن القيم رحمه الله: (العلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تُطفئُ ذلك النور)[2]، وقال ابن رجب رحمه الله: (فليس العلم بكثرة الرواية ولا بكثرة المقال، ولكنه نور يُقذَف في القلب)[3]، وقال رحمه الله: (فمتىٰ كان العلمُ نافعًا وَوَقَرَ في القلب= فقد خشع القلبُ لله، وانكسر له، وذَلَّ هيبةً وإجلالًا، وخشيةً ومحبةً وتعظيمًا)[4]، **وكان الإمام أحمد يقول عن معروف الكَرْخي** رحمهما الله: (معه أصل العلم: خشيةُ الله)[5]، وقد أدرك هذا: الشِّرْبُ الأولُ رحمهم الله، وتعاهدوا علىٰ التواصي به فيما بينهم، رأىٰ مالكٌ الشافعيَّ رحمهما الله، وأعجبه ما رأىٰ من وفور فطنته، وتوقُّد ذكائه، وكمال فهمه؛ **فقال له:** (إني أرىٰ الله قد ألقىٰ علىٰ قلبك نورًا، فلا تُطفئْه بظلمة المعصية)[6].

(١) انظر: الداء والدواء (١٣٢).

(٢) المصدر السابق.

(٣) بيان فضل علم السلف علىٰ الخلف (٦٥).

(٤) المصدر السابق (٧٨).

(٥) المصدر السابق (٨٤).

(٦) انظر: الداء والدواء (١٣٢).

الخاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وبعد:

فأحمد الله تعالىٰ أن يسَّر لي الإتمام، وأسأله الفضلَ والإنعام، وإن أهم ما خرجتُ به من هذا البحث ما يلي:

١. وجوب الاعتناء بكتاب الله ﷻ.

٢. غزارة علم الإمام الشاطبي رحمه الله، وهذا شأن الفتح إذا جاء من الله.

٣. عظيم مكانة هذه القصيدة؛ حيث جمعتْ بين العلم والنصح، مع ما حوتْه من تنوُّعٍ في الأسلوب، ولا يخفىٰ ما في هذا من التشويق ودفع الملالة والسآمة.

٤. علوُّ منزلة السلف، وعظيم ما كانوا عليه في سَيرهم إلىٰ الله ﷻ.

٥. ضرورة الاهتمام بالمقاصد والنيات، والسلوكيات والأخلاقيات؛ فما قيمة العلم بدون ذلك؟!.

والحمد لله رب العالمين

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين

فهرس المصادر والمراجع

١. «**إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع للإمام الشاطبي**»، أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، تحقيق: جمال الدين محمد شرف، ط: الأولىٰ، دار الصحابة للتراث بطنطا، ١٤٢٩هـ.

٢. «**الإتقان في علوم القرآن**»، السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ١٤٢٦هـ.

٣. «**أخلاق أهل القرآن**»، الآجُرِّي، أبو بكر محمد بن الحسين، حققه وخرج أحاديثه: محمد عمرو عبد اللطيف، بإشراف المكتب السلفي لتحقيق التراث، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الثالثة، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

٤. «**الآداب الشرعية والمنح المرعية**»، المقدسي، أبو عبد الله محمد بن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيَّام، مؤسسة الرسالة، ط: الرابعة، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

٥. «**أدب الدين والدنيا**»، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، اعتنىٰ به: اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج، ط: الأولىٰ، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م.

٦. «**أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**»، الشنقيطي، محمد الأمين، دار عالم الفوائد، ط: الأولىٰ، ١٤٢٦هـ.

٧. «**إكمال المعلم بفوائد مسلم**»، اليحصبي البُستي، أبو الفضل، القاضي عياض بن موسىٰ، تحقيق: د. يحيىٰ إسماعِيل، دار الوفاء – مصر، ط: الأولىٰ، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

٨. «**الإمام أبو القاسم الشاطبي؛ دراسة عن قصيدته: حرز الأماني في القراءات، وإشعاعها العلمي، وتعريف بشروحها التي زادت علىٰ مائة شرح**»، د. عبد الهادي عبد الله حميتو، مكتبة أضواء السلف، ط: الأولىٰ، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م.

٩. «**أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)**»، الشيرازي البيضاوي، أبو سعيد ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: الأولىٰ، ١٤١٨هـ.

١٠. «**البحر المحيط**»، الغرناطي الأندلسي، أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي، تحقيق: مجموعة دارسين، الناشر: دار الرسالة العلمية، ط: الأولىٰ، ١٤٣٦هـ.

١١. «**بستان العارفين**»، محيي الدين النووي، أبو زكريا يحيىٰ بن شرف، دار الريان للتراث.

١٢. «**بيان المعاني**»، العاني، عبد القادر بن ملا حويش آل غازي، مطبعة الترقي - دمشق، ط: الأولىٰ، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٥م.

١٣. «**بيان فضل علم السلف علىٰ علم الخلف**»، زين الدين ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد، تحقيق: أحمد فتحي البكيري، دار الأوراق الثقافية، ط: الأولىٰ، ١٤٣٨هـ، ٢٠١٧م.

١٤. «**تبيين كذب المفتري فيما نُسب إلىٰ الأشعري**»، ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الثالثة، ١٤٠٤هـ.

١٥. «**تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة**»، البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد، تحقيق: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، دار النوادر، ط: الأولىٰ، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م.

١٦. «**تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**»، المباركفوري، أبو العُلا محمد بن عبد الرحمن، اعتنىٰ به: يوسف الحاج أحمد، دار الفيحاء، دار السلام، ط: الأولىٰ، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.

١٧. «**تنبيه الغافلين**»، السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد الحنفي، خرَّج أحاديثَه: أحمد شعبان أحمد، مكتبة الصفا، ط: الأولىٰ، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

١٨. «**التنوير شرح الجامع الصغير**»، الأمير الصنعاني، محمد بن إسماعيل، تحقيق: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، دار السلام - الرياض، ط: الأولىٰ، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.

١٩. «**التوضيح لشرح الجامع الصحيح**»، ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق

التراث، الناشر: دار النوادر، دمشق - سوريا، ط: الأولىٰ، ١٤٢٩هـ.

٢٠. «**تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن (تفسير السعدي)**»، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، اعتنىٰ به: سعد الصميل، دار ابن الجوزي تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللُّويحق، ط: الأولىٰ، مؤسسة الرِّسالة، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

٢١. «**التيسير بشرح الجامع الصغير**»، المناوي، زين الدين محمد بن علي بن زين العابدين، مكتبة الإمام الشافعي - الرياض، ط: الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٢. «**جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)**»، الطبري، محمد بن جرير، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب، ط: الأولىٰ، ١٤٢٤هـ.

٢٣. «**جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكَلِم**»، زين الدين ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد، تحقيق: عبده علي كوشك، دار البشائر، ط: الأولىٰ، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م.

٢٤. «**الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)**»، البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، تحقيق: د. ماهر ياسين الفحل، دار ابن الجوزي، ط: الأولىٰ، ١٤٤٠هـ.

٢٥. «**جامع بيان العلم وفضله**»، النمَري، أبو عمر يوسف بن عبد البر، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، ط: السابعة، ١٤٢٧هـ.

٢٦. «**الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)**»، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الرسالة، ط: الأولىٰ، ١٤٣٣هـ.

٢٧. «**الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**»، الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، تحقيق: طارق بن عبد الواحد، دار ابن الجوزي، ط: الأولىٰ، ١٤٣٣هـ.

٢٨. «**الجامع لشعب الإيمان**»، البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، أشرف علىٰ تحقيقه: مختار أحمد الندوي، إصدار: إدارة الشؤون الإسلامية بدولة قطر، ١٤٢٩هـ.

٢٩. «**حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح**»، شمس الدِّين ابن القيم، أبو عبد الله، محمد بن أبي

بكر بن أيوب بن سعد، تحقيق: زائد بن أحمد النشيري، دار عالم الفوائد، ط: الثالثة، ١٤٣٧هـ.

٣٠. «**الحث علىٰ طلب العلم والاجتهاد في جمعه**»، العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن مهران، تحقيق: د. مروان قباني، المكتب الإسلامي - بيروت، ط: الأولىٰ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٣١. «**حفظ العمر**»، ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، ودار الصديق، ط: الأولىٰ، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

٣٢. «**حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**»، الأصبهاني، أبو نُعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٣٣. «**حلية طالب العلم**» (ضمن مجموعة)، أبو زيد، بكر بن عبد الله، دار العاصمة، ط: الأولىٰ، ١٤١٦هـ.

٣٤. «**الحيوان**»، الجاحظ الليثي، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الثانية، ١٤٢٤هـ.

٣٥. «**خَلْق أفعال العباد**»، البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، المحقق: د. عبد الرحمن عميرة، الناشر: دار المعارف السعودية - الرياض.

٣٦. «**الداء والدواء**»، شمس الدِّين ابن القيم، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، دار عالم الفوائد، ط: الثانية، ١٤٣٦هـ.

٣٧. «**الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**»، العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن حجر، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد - الهند، ط: الثانية، ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م.

٣٨. «**الدرة الفريدة في شرح القصيدة**»، الهمذاني، ابن النجيبين، أبو يوسف، حسين بن أبي العز، تحقيق: د. جمال محمد طلبة السيد، مكتبة المعارف، ط: الأولىٰ، ١٤٣٣هـ.

٣٩. «**ديوان أبي إسحاق الإلبيري**»، التُّجيبي الإلبِيري، أبو إسحاق إبراهيم بن مسعود بن سعيد،

تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار قتيبة - دمشق، ط: الثانية، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

٤٠. «**ديوان أبي الحسن علي بن محمد التهامي**»، تحقيق: د. محمد بن عبد الرحمن الربيع، مكتبة المعارف - الرياض، ط: الأولىٰ، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٢م.

٤١. «**ديوان طَرَفَة بن العَبْد**»، البكري الوائلي، أبو عمرو طَرَفَة بن العَبْد بن سفيان بن سعد، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، ط: الثالثة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٤٢. «**ذخيرة العقبىٰ في شرح المجتبىٰ (شرح سنن النسائي)**»، الإتيوبي، علي بن آدم بن موسىٰ، دار آل بروم، ودار ابن الجوزي، ط: الثالثة، ١٤٣٢هـ.

٤٣. «**الرد الوافر**»، الدمشقي، الشهير بابن ناصر الدين، محمد بن عبد الله، تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، ط: الأولىٰ، ١٣٩٣م.

٤٤. «**الرسالة التبوكية**» (ضمن مجموع)، شمس الدِّين ابن القيم، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، تحقيق: محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد، ط: الأولىٰ، ١٤٢٥هـ.

٤٥. «**روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**»، البُستي، أبو حاتم محمد بن حبان، تحقيق: طارق بن عبد الواحد بن علي، دار ابن الجوزي، ط: الأولىٰ، ١٤٣٣هـ.

٤٦. «**روضة المحبين ونزهة المشتاقين**»، شمس الدِّين ابن القيم، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، تحقيق: محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد، ط: الثانية، ١٤٣٦هـ.

٤٧. «**زاد المسير في علم التفسير**»، ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، ١٤٣١هـ.

٤٨. «**زاد المعاد في هدي خير العباد**»، شمس الدِّين ابن القيم، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، دار عالم الفوائد، ط: الأولىٰ، ١٤٣٩هـ، ٢٠١٨م.

٤٩. «**الزهد**»، الشيباني، أحمد بن حنبل، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط: الأولىٰ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٥٠. «**الزهد**»، وكيع بن الجراح، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار – المدينة المنورة، ط: الأولىٰ، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

٥١. «**سبل السلام شرح بلوغ المرام**»، الأمير الصنعاني، محمد بن إسماعيل، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط: الرابعة، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

٥٢. «**سلسلة الأحاديث الصحيحة**»، الألباني، محمد ناصر الدين، ط: الأولىٰ، دار المعارف – الرياض، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

٥٣. «**سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**»، الألباني، محمد ناصر الدين، ط: الأولىٰ، دار المعارف – الرياض، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

٥٤. «**سنن ابن ماجه**»، القزويني، أبو عبد الله محمد بن يزيد، حكم علىٰ أحاديثه: الإمام الألباني، اعتنىٰ به: مشهور حسن سلمان، الناشر: مكتبة المعارف، ط: الأولىٰ.

٥٥. «**سنن أبي داود**»، الأزدي السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق، إعداد وتعليق: عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، ط: الأولىٰ، دار الحديث بحمص، سورية، ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م.

٥٦. «**سنن الترمذي**»، الترمذي، أبو عيسىٰ محمد بن عيسىٰ بن سَوْرة بن موسىٰ بن الضحاك، حكم علىٰ أحاديثه: الإمام الألباني، اعتنىٰ به: مشهور حسن سلمان، الناشر: مكتبة المعارف، ط: الأولىٰ.

٥٧. «**سير أعلام النبلاء**»، الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط: الحادية عشرة، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٥٨. «**شرح الأربعين النووية**»، العثيمين، محمد بن صالح بن محمد، دار الثريا، ط: الثالثة، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

٥٩. «**شرح ثلاثة الأصول**» (ضمن مجموع)، آل الشيخ، صالح بن عبد العزيز، دار الإمام البخاري، الدوحة – قطر، ط: الأولىٰ، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م.

٦٠. «**شرح رياض الصالحين**»، العثيمين، محمد بن صالح بن محمد، دار الوطن للنشر –

الرياض، ط: ١٤٢٦هـ.

٦١. «**شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتَّعليل**»، شمس الدِّين ابن القيم، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، تحقيق: زاهر سالم بلفقيه، ط: الأولىٰ، دار عالم الفوائد، ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م.

٦٢. «**صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**»، البُستي، أبو حاتم محمد بن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: الثانية، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

٦٣. «**صحيح الجامع الصغير وزياداته**»، الألباني، محمد ناصر الدين، أشرف علىٰ طبعه: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط: الثالثة، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٦٤. «**صحيح مسلم بشرح النووي**»، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة - بيروت، ط: الثانية عشر، ١٤٢٧هـ.

٦٥. «**صفة الصفوة**»، ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، ضبطه: عبد الرحمن اللادقي، حياة شيحا اللادقي، دار المعرفة، ط: الثالثة، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٦٦. «**صيد الخاطر**»، ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، تحقيق: عامر علي ياسين، دار ابن خزيمة، الرياض، ط: الثانية، ١٤١٩هـ.

٦٧. «**طبقات الحنابلة**»، ابن أبي يعلىٰ، أبو الحسين محمد بن محمد، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة - بيروت.

٦٨. «**طريق الهجرتين وباب السعادتين**»، شمس الدِّين ابن القيم، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، دار عالم الفوائد، ط: الثانية، ١٤٣٦هـ.

٦٩. «**عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**»، شمس الدِّين ابن القيم، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، تحقيق: إسماعيل غازي مرحبا، دار عالم الفوائد، ط: الثانية، ١٤٣٦هـ.

٧٠. «**العقد النضيد في شرح القصيد**»، السمين الحلبي، أبو العباس، أحمد بن يوسف، تحقيق: د. أيمن رشدي سويد، دار نور المكتبات للنشر والتوزيع، ط: الأولىٰ، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٧١. «**العقود الدرية في ذكر بعض مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية**»، المقدسي، محمد بن أحمد بن عبد الهادي، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، ط: الثانية، ١٤٤٠هـ، ٢٠١٨م.

٧٢. «**العقيدة الطحاوية**»، الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك، شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، ط: الثانية، ١٤١٤هـ.

٧٣. «**العلل المتناهية في الأحاديث الواهية**»، ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، تحقيق: إرشاد الحق الأثري، الناشر: إدارة العلوم الأثرية - فيصل آباد - باكستان، ط: الثانية، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٧٤. «**عنوان الحِكَم**»، البستي، أبو الفتح علي بن محمد بن الحسين، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ط: الأولىٰ، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

٧٥. «**غاية النهاية في طبقات القراء**»، الدمشقي، محمد بن محمد بن محمد بن علي بن الجزري، تحقيق: جمال الدين شرف، و: مجدي فتحي السيد، دار الصحابة، ط: الأولىٰ ١٤٢٩هـ.

٧٦. «**فتح القدير الجامع بين فنَّي الرواية والدراية من علم التفسير**»، الشوكاني، محمد بن علي، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء - المنصورة، دار ابن حزم - بيروت، ط: الثالثة، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

٧٧. «**فضل الكلاب علىٰ كثير ممن لبس الثياب**»، ابن المرزبان، أبو بكر محمد بن خلف، تحقيق: ركس سميث، ومحمد عبد الحليم، الناشر: الجمل، ط: الأولىٰ، ٢٠٠٣م.

٧٨. «**فيض القدير شرح الجامع الصغير**»، المناوي، زين الدين محمد بن علي بن زين العابدين، الناشر: المكتبة التجارية الكبرىٰ - مصر، ط: الأولىٰ.

٧٩. «**قوت المغتذي علىٰ جامع الترمذي**»، جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، إعداد: ناصر بن محمد بن حامد الغريبي، إشراف: أ.د. سعدي الهاشمي، رسالة الدكتوراة - جامعة أم القرىٰ، مكة المكرمة - كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، ١٤٢٤هـ.

٨٠. «**الكاشف عن حقائق السنن (شرح الطِّيبي علىٰ مشكاة المصابيح)**»، الطِّيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفىٰ الباز - مكة المكرمة - الرياض، ط: الأولىٰ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٨١. «**الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (نونية ابن القيم)**»، شمس الدِّين ابن القيم، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، تحقيق وضبط: علي حسن عبد الحميد الأثري، دار ابن الجوزي، ط: الثانية، ١٤٣١هـ.

٨٢. «**الكبائر**»، الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قايماز، تحقيق: مشهور حسن سلمان، مكتبة الفرقان، ط: الثانية، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

٨٣. «**الكَلِم النوابغ**» (مع شرحه: النعم السوابغ)، الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، تحقيق: د. حمزة البكري، دار اللباب، ط: الأولىٰ، ١٤٣٩هـ، ٢٠١٨م.

٨٤. «**لامية ابن الوردي**» (مع شرحها: فتح الرحيم الرحمن)، البكري، أبو حفص عمر بن المظفر ابن أبي الفوارس بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، عُني به: بُو جمعة عبد القادر مكري، دار المنهاج، لبنان - بيروت، ط: الثانية، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.

٨٥. «**لفتة الكبد إلىٰ نصيحة الولد**»، ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، تحقيق: أشرف بن عبد المقصود، مكتبة الإمام البخاري، ط: الأولىٰ، ١٤١٢هـ.

٨٦. «**متن الشاطبية**»، المسمىٰ: «حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع»، الشاطبي الرعيني الأندلسي، القاسم بن فيره بن خلف، ضبطه وصححه وراجعه: محمد تميم الزعبي، ط: الرابعة، مكتبة دار الهدىٰ بالمدينة المنورة، ١٤٢٥هـ.

٨٧. «**مجمع الأمثال**»، الميداني النيسابوري، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت - لبنان.

٨٨. «**مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي**»، زين الدين ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد، تحقيق: أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر.

٨٩. «**محاسن التأويل**»، الحلاق القاسمي، جمال الدين محمد بن محمد سعيد بن قاسم،

تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولىٰ - ١٤١٨هـ.

٩٠. «**مدارج السالكين في منازل السائرين**»، شمس الدِّين ابن القيم، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، دار عالم الفوائد، ط: الأولىٰ، ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م.

٩١. «**مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**»، المباركفوري، أبو الحسن عبيد الله بن محمد، تحقيق: محمد سليمان محمد أمين، مدار القبس، ط: الأولىٰ، ١٤٣٨هـ، ٢٠١٧م.

٩٢. «**مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**»، الهروي القاري، أبو الحسن نور الدين علي بن سلطان محمد الملا، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط: الأولىٰ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٩٣. «**مسند الإمام أحمد بن حنبل**»، الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد، المحقق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث - القاهرة، ط: الأولىٰ، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

٩٤. «**المصنَّف في الأحاديث والآثار**»، العبسي، أبو بكر ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي، تحقيق: أ.د. ناصر بن سعد الشثري، دار كنوز إشبيليا، ط: الأولىٰ، ١٤٣٦هـ.

٩٥. «**مطالع الأنوار علىٰ صحاح الآثار**»، الوهراني، أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن قرقول، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - دولة قطر، ط: الأولىٰ، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م.

٩٦. «**معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)**»، البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرين، دار طيبة بالرياض، ط: الأولىٰ، الإصدار الثاني، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٩٧. «**معالم السنن (شرح سنن أبي داود)**»، الخطابي، أبو سليمان حَمْد بن محمد، تحقيق: سعد ابن نجدت عمر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر، ١٤٣٧هـ، ٢٠١٦م.

٩٨. «**المعجم الأوسط**»، اللخمي الشامي، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة.

٩٩. «**مفتاح دار السعادة، ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة**»، شمس الدِّين ابن القيم، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، تحقيق: عامر علي ياسين، دار ابن خزيمة، ط: الأولىٰ، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

١٠٠. «**مِنَّة المُنعم في شرح صحيح مسلم**»، المباركفوري، صفي الرحمن، دار السلام - الرياض، ط: الأولىٰ، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

١٠١. «**المنظومة الميمية في الوصايا والآداب العلمية**»، الحكَمي، حافظ بن أحمد بن علي، ط: الأولىٰ، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

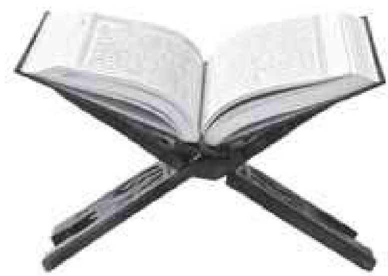
١٠٢. «**المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**»، محيي الدين النووي، أبو زكريا يحيىٰ بن شرف، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة - بيروت، ط: الثانية عشر، ١٤٢٧هـ.

١٠٣. «**نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة**»، التنوخي البصري، أبو علي المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم، ١٣٩١هـ.

مجلة تدبر

فهرس الموضوعات





ثانيًا: مُسْتَخْلَصَاتُ الرّسَائِل والمَشَارِيع العِلْمِيّة

مجلة تدبر

مجلة تدبر



تقرير عن رسالة علمية بعنوان :

تدبُّر القرآن الكريم عند الإمام ابن القيِّم رحمه الله

دراسةٌ تأصيليّة



للباحث : عبدالعزيز بن حسين الوثلان

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في القرآن وعلومه

- العنوان: تدبُّر القرآن الكريم عند الإمام ابن القيِّم رحمه الله [دراسة تأصيليَّة]
- الباحث: عبدالعزيز بن حسين الوثلان
- المشرف: د/ شريف بن علي أبو بكر حسن آدم
- الدرجة: الماجستير.
- الجهة المانحة: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.
- سنة الإجازة: ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٧م.
- التقدير: ممتاز.
- الوصف المادي: تقع الرسالة في مجلد واحد ٢٧٤ صفحة.

تعريف الرسالة

الحمد لله المتفرِّد بكمال الصفات، المنزَّهِ عن العيوب والنقائص والآفات، له الملك وله الحمد وله الفضل ومنه الأعطيات، سبحانه أجاد بالفضل والنعم، وتعالىٰ ذو القدرة والكرم، له الحمد علىٰ نعمٍ أتمَّها، وعافيةٍ أسبغها، وخيراتٍ أودعها، فله الحمد علىٰ ذلك كله حمدًا لا يحصيه العدد، ولا يبلغه الأمد، كما ينبغي له أن يحمد، تبارك ربنا ذو الجلال والإكرام.

ثمَّ الصلاة علىٰ من أرسله ربُّه رحمةً للعالمين، وحجةً علىٰ الخلق أجمعين، ودليلًا هاديًا إلىٰ الصراط المستبين، مَن تعبَّد لربه عبادةَ الشاكرين الأتقياء، وحنَّ علىٰ المسكين واليتامىٰ والضعفاء، وبلغ ذروة الجود وغاية البذل والعطاء، نبي الله الهادي البشير، والسراج المنير، صلىٰ الله وسلم وبارك عليه وعلىٰ آله وصحبه ومن اهتدىٰ بهداه واستن بسنَّته إلىٰ يوم الدين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [سورة يونس:٥٧].

فالحمد لله الذي أكرمنا بالقرآن، وجعله نورًا للناس وتِبيانًا، فالسعيد كل السعادة من تمسك به ووعاه، والشقي كل الشقاوة من أعرض عنه ونحَّاه، فاللهم اجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصتك.. أمَّا بعد:

(فآياتُ القرآن تحيي القلوبَ كما تحيىٰ الأرضُ بالماء، وتُحرق خبثَها وشبهاتِها وشهواتها وسخائمها كما تحرق النارُ ما يلقىٰ فيها، وتميِّزُ زَبَدها من زُبْدِها كما تُميِّزُ

النار الخبَثَ من الذهب والفضة والنحاس ونحوه منه)(١).

والمُعظمُ لكتاب ربه، الطالبُ لخيره وهديه، الراغبُ في لؤلؤه ودرِّه، عليه أنْ يَلِجَ إلىٰ القرآن من الباب الذي دعا إليه الوهَّاب ﷻ فقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [سورة ص:٢٩].

فجعل الحكمةَ من إنزاله تدبُّره، ووفَّق الصالحين إلىٰ حسن تأمُّله، **(فتبارك من أحيا قلوب من شاء من عباده بفهم كلامه)**(٢).

والله يــرزقُ مَــنْ يـشـاءُ الـفِـقـهَ في ... آيـاتِـه رزقًــا بــلا حُــســبـان(٣)

وقد هيأ المولىٰ ﷺ لكتابه العظيم أئمة نجباء، وأعلامًا أجلاء، أخذوا الكتاب بحقه، وتلوه حق تلاوته، فنهلوا من مَعينه العذب الزلال، وحققوا لطالب الهدىٰ الآمال، فمن تأمَّل كتبهم وجد الفَهم العميق، والعلمَ الراسخ، فاستنار بنورهم، وسار علىٰ نهجهم، واقتفىٰ أثرهم، فأدرك الخير العظيم، والنفع العميم.

ومن هؤلاء الأئمة الأعلام الذين خدموا كتاب الله، وأفنوا أعمارهم في تدبُّره: الإمام ابن القيِّم رحمه الله.

وَهـو الـذَّي قـدْ أبْهَـرَ الساعِينَ في ... إدراكِ كُنْــه تـدبُّــر القــرآنِ

فأجـادَ فـي إيضاحــه وجـلائِه ... ومضـىٰ إلـىٰ التأصيل والـتبيـانِ

فـجَــزىٰ الإلـه بِفَضْلِه وبمنِّــه ... خـيـرًا إمــامَ العِـلـم والبُرهــان

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١٦٦).

(٢) بدائع الفوائد (١/ ٢٤٦).

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (٤٣٥٥)، (ص:٢٣٠).

وإنَّ الناظر في تراثه يجد الفهم العميق، والعلم النافع، والبصيرة النافذة، وأمة الإسلام علىٰ ذلك شاهدة، ولا تزال تستنشق من أريجه العَبق كلَّ خيرٍ وفضيله، فلقد أسهم رحمه الله في جانب تدبُّر القرآن الكريم إسهامًا عظيمًا، وأصَّل ونظَّر له وطبَّق.

ومِن هنا فيطيب للباحث أن يكون بحثه الذي يتقدم به إلىٰ أساتذته الأفاضل في قسم القرآن الكريم وعلومه بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لنيل درجة الماجستير: «**تدبر القرآن الكريم عند الإمام ابن القيِّم رحمه الله**»، راجيًا من الله تعالىٰ التوفيق، ومستلهمًا منه السداد، إنَّه سبحانه خير مسؤول.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- تعلقه بأعظم مقصود من إنزال القرآن الكريم، ألا وهو التدبر.

٢- كثرة الآيات والأحاديث والآثار التي تحث علىٰ التدبر، مما جعل الباحث يسعىٰ للوقوف مع هذا المعنىٰ العظيم، أملًا في الإفادة منه.

٣- جلالة قدر الإمام ابن القيِّم رحمه الله والمنزلة التي يحظىٰ بها، والقبول الذي يتمتع به، الأمر الذي يجعل لهذا الموضوع قدرَه وقيمته.

٤- تميُّز هذا الإمام الجليل في هذا الجانب، والتراث العظيم الذي خلَّفه في ما يتعلق بتدبُّر القرآن الكريم، مما رغَّب الباحث في تقريب هذا الأمر، وترتيبه والإفادة منه.

٥- رغبة الباحث في الاطلاع علىٰ كتب ابن القيِّم رحمه الله، وما في ذلك من العلم الجمِّ، والنفع العظيم، وهو أمر يستلزمه هذا البحث المبارك.

٦- حاجة الأمة إلىٰ الاستهداء بهدي القرآن الكريم، والتأدب بآدابه، وامتثال أوامره، ولعل التدبر أقرب وأعظم الطرق الموصلة لهذا المقصود.

٧- أنَّ الباحث لم يقف -حسب اطلاعه- علىٰ بحث تناول موضوع التدبر عند الإمام ابن القيِّم ﵀ علىٰ وجه الخصوص.

أهداف البحث:

١- تحرير مفهوم تدبُّر القرآن الكريم عند ابن القيِّم ﵀.

٢- السعي إلىٰ إدراك تفاصيل ما جاء عنه في هذا الباب.

٣- إثراء موضوع تدبر القرآن الكريم بدراسة علمية مهمة، وذلك لاتصالها بشخصية عالمة عاملة تميَّزت فيه.

٤- جمع وترتيب الدرر العظيمة التي خلفها هذا الإمام ﵀ مما تفرق في كتبه حول تدبر القرآن الكريم بجوانبه المختلفة.

٥- بيان منهج ابن القيِّم ﵀ في تدبر القرآن الكريم، وسَبْر معالم هذا المنهج تقريبًا للطالبين وزادًا للراغبين.

٦- الربط بين التأصيل والتطبيق في تدبر القرآن الكريم، بما عُرف عن ابن القيِّم ﵀ من براعة في التأصيل ودقة في التطبيق، وذلك لاستجلاء مراده وإبرازه.

خطة البحث:

يتكون البحث من:

- **المقدمة:** وتشتمل على:
- موضوع البحث.
- أهمية الموضوع وأسباب اختياره.
- أهداف الموضوع.
- الدراسات السابقة.
- خطة البحث.
- منهج البحث.
- **التمهيد:** وفيه مطلبان:
- التدبر: مفهومه واستعمالاته.
- ترجمة للإمام ابن القيِّم رحمه الله.
- **الفصل الأول: مفهوم التدبر ومنزلته عند ابن القيم:** وفيه ثلاثة مباحث:
- المبحث الأول: مفهوم التدبر عند ابن القيم.
- المبحث الثاني: منزلة التدبر عند ابن القيِّم: وفيه أربعة مطالب:
  - المطلب الأول: الأمر بالتدبر وبيان أنه المقصود من إنزال القرآن.
  - المطلب الثاني: أن التدبر باب للعلم بالله.
  - المطلب الثالث: أن هجر التدبر من أنواع هجر القرآن.

- المطلب الرابع: الإعراض عن تدبر القرآن من أسباب ضلال الفرق.

- ❑ المبحث الثالث: حكم التدبر وأحوال الناس فيه: وفيه مطلبان:
  - المطلب الأول: حكم التدبر.
  - المطلب الثاني: أحوال الناس فيه.

- ❑ **الفصل الثاني: شروط التدبر وضوابطه عند ابن القيِّم:** وفيه مبحثان:

- ❑ المبحث الأول: شروط التدبر: وفيه ثلاثة مطالب:
  - المطلب الأول: صحة النظر إلىٰ القرآن.
  - المطلب الثاني: الإيمان بالله.
  - المطلب الثالث: صلاح القلب.

- ❑ المبحث الثاني: ضوابط التدبر: وفيه مطلبان:
  - المطلب الأول: ألا يخالف التفاسير المأثورة عن الصحابة والتابعين.
  - المطلب الثاني: أن يوافق طرق الاستدلال الصحيحة فلا يحرَّف كَلِمُهُ عن مواضعه.

- ❑ **الفصل الثالث: وسائل التدبر وموانعه عند ابن القيِّم:** وفيه مبحثان:

- ❑ المبحث الأول: وسائل التدبر: وخمسة مطالب:
  - المطلب الأول: الاستعاذة.
  - المطلب الثاني: سماع القرآن.
  - المطلب الثالث: ترديد الآية.

- المطلب الرابع: تذكر الآخرة.
- المطلب الخامس: تذكر أن الضلال والشقاء والمعيشة الضنك في ترك التدبر.

❑ المبحث الثاني: موانع التدبر: وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: سماع ما يضاد القرآن.
- المطلب الثاني: تهويل أمر التدبر أو إرخاصه على النفوس.
- المطلب الثالث: غياب القلب في الأماني والشهوات والخيالات.

❑ **الفصل الرابع: أساليب التدبر عند ابن القيم:** وفيه مبحثان:

❑ المبحث الأول: أساليب التدبر الجزئي: وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: التدبر بالنظر إلى مفردة.
- المطلب الثاني: التدبر بالنظر إلى جملة.
- المطلب الثالث: التدبر بالنظر إلى مجموعة جمل.

❑ المبحث الثاني: أساليب التدبر الكلي: وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: التدبر بالنظر إلى سورة.
- المطلب الثاني: التدبر بالنظر إلى مجموع القرآن.

❑ **الفصل الخامس: ثمرات التدبر عند ابن القيم:** وفيه مبحثان:

❑ المبحث الأول: الثمرات العلميَّة: وفيه سبعة مطالب:

- المطلب الأول: بيان عظمة القرآن وإعجازه.

- المطلب الثاني: زيادة العلم.
- المطلب الثالث: تمييز الحق من الباطل ومعرفة الصحيح من الأقوال.
- المطلب الرابع: استخراج الأصول والقواعد الشرعية.
- المطلب الخامس: ظهور الحكمة من التشريع.
- المطلب السادس: التعرف علىٰ عادات القرآن وسنن الله في الأرض.
- المطلب السابع: الاستنباط من القرآن.

❑ المبحث الثاني: الثمرات العمليَّة: وفيه عشرة مطالب:

- المطلب الأول: تعظيم الله ومحبته وخشيته.
- المطلب الثاني: حصول اليقين في القلب والوقوف علىٰ صدق أخبار القرآن.
- المطلب الثالث: إدراك حلاوة القرآن وبركته ومنفعته.
- المطلب الرابع: زيادة الإيمان وحياة القلب وصلاحه.
- المطلب الخامس: أنه من الأسباب الجالبة لمحبة الله.
- المطلب السادس: سعادة المرء وفلاحه.
- المطلب السابع: صحة البصيرة.
- المطلب الثامن: العمل بالنص المتدبَّر.
- المطلب التاسع: البعد عن المعاصي.
- المطلب العاشر: تنزيل الآيات علىٰ الواقع.

❑ **الخاتمة:**

- أهم النتائج.

- أهم التوصيات.

الفهارس:

- فهرس الآيات.
- فهرس الأحاديث.
- فهرس الآثار.
- فهرس الأعلام.
- فهرس المراجع.
- فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

سلك الباحث المنهج الاستقرائي، متبعًا الخطوات التالية:

١- قراءة كتب ابن القيم رحمه الله واستخراج ما يتعلق منها بالتدبر.

٢- ضم النظير إلىٰ نظيره من النقول المتعلقة بالتدبر حسب جهة تعلقها من وجهة نظر الباحث.

٣- توضيح النقول عن الإمام من خلال التوطئة والربط.

٤- بيان منهج ابن القيِّم رحمه الله في تدبر القرآن الكريم من خلال فصول البحث بما لا يستدعي تكرار الإشارة له في عناوين الفصول والمباحث والمطالب.

٥- اختيار أحد النقول أو الأوضح في بيان المقصود عند التكرار، مستغنيًا به عن غيره، ما لم تكن هنالك حاجةٌ لإيراد أكثر من نص.

٦- مراعاة أصول وقواعد كتابة البحث العلمي:

- عزو الآيات إلىٰ مواطنها بذكر اسم السورة ورقم الآية.

- توثيق القراءات من كتب القراءات المعتمدة.

- تخريج الأحاديث والآثار بعزوها إلىٰ مصادرها، ونقل حكم أحد العلماء عليها إن لم تكن في «الصحيحين» أو أحدهما.

- عزو الأبيات الشِّعرية لأصحابها من دواوينهم أو مصادر الشعر المعتمدة.

- التعريف بغير المشهور من الأعلام.

❑ مصادر الرسالة ومراجعها:

١. اجتماع الجيوش الإسلامية علىٰ غزو المعطلة والجهمية.

٢. أحكام أهل الذمة.

٣. إعلام الموقعين عن رب العالمين.

٤. إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان.

٥. إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان.

٦. الأمثال في القرآن الكريم.

٧. بدائع الفوائد.

٨. التبيان في أقسام القرآن.

٩. تحفة المودود بأحكام المولود.

١٠. تهذيب مختصر سنن أبي داود.

١١. جِلاء الأفهام في الصلاة والسلام علىٰ خير الأنام.

١٢. حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح.

١٣. حكم تارك الصلاة.

١٤. الداء والدواء.

١٥. الرسالة التبوكية.

١٦. روضة المحبين ونزهة المشتاقين.

١٧. الروح.

١٨. زاد المعاد في هدي خير العباد.

١٩. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل.

٢٠. الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة.

٢١. طريق الهجرتين وباب السعادتين.

٢٢. الطرق الحكمية في السياسة الشرعية.

٢٣. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين.

٢٤. الفروسية.

٢٥. الفوائد.

٢٦. الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية.

٢٧. الكلام علىٰ مسألة السماع.

٢٨. الكلم الطيب والعمل الصالح.

٢٩. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين.

٣٠. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة.

٣١. المنار المنيف في الصحيح والضعيف.

٣٢. هداية الحيارىٰ في أجوبة اليهود والنصارىٰ.

❑ أبرز الصعوبات والعوائق:

١- سعة المراجع التي تناولتها الرسالة ، مما استدعىٰ إمضاء وقتٍ طويلٍ في قرائتها والإفادة منها.

٢- قلة المصادر التي أفردت موضوع التدبر بالتأليف، وانعدامها عند المتقدمين، بخلاف ما عليه علوم الشريعة الأخرىٰ، مما استلزم الوقوف علىٰ كثيرٍ من المراجع للمِّ شتات ما تفرق فيها حول التدبر.

- أبرز نتائج الرسالة:

- وقد انتهت الرسالة بجملة من النتائج، استخلص الباحث أهمها:

١- أنَّ مفهوم التدبر عند ابن القيِّم أنَّه عمليَّةٌ فكريةٌ عقليةٌ قلبيَّة ينتج عنها أثرٌ علميٌ أو عملي.

٢- أنَّ التدبُّرَ والتفكُّر والتذكُّر والتأمُّل والاعتبارَ والاستبصار ألفاظٌ متقاربةٌ تجتمع في شيءٍ وتفترق في آخر.

٣- اهتمام ابن القيِّم البالغ بتدبر القرآن الكريم؛ وهو أمرٌ يتجلىٰ من خلال النظر إلىٰ كثرة ما كتب فيه.

٤- تميُّز ابن القيِّم في جانب التأصيل والتطبيق لتدبر القرآن الكريم علىٰ حدٍّ

سواء، في صورة تُبهر العقول وتدعو إلىٰ الاقتفاء.

٥- اهتمام أئمة التفسير وعلماء القرآن بموضوع التدبر؛ كونه المقصود الأعظم من إنزال القرآن الكريم.

٦- عظم شأن وعلو قدر التدبُّر عند ابن القيم؛ الأمر الذي يتضح من خلال كثرة دعوته إلىٰ التدبر بلفظه أو بالألفاظ المقاربة له.

٧- أنّ التدبُّر مأمورٌ به شرعًا علىٰ قدر الوسع والاستطاعة، وحسب اطلاع الباحث فإنَّ ابن القيِّم حثَّ عليه مرارًا ولم يصرِّح بوجوبه، وبعض العلماء أوجبه.

٨- أنَّ الناس في تدبُّر القرآن متفاوتون علىٰ درجاتٍ متباينةٍ، ومذاهبَ متفرِّقة: فمنهم المعرِض، ومنهم المُقصِّر، ومنهم الموفَّق.

٩- أنَّ التدبر الصحيح الكامل ممتنعٌ علىٰ من لم تتحقق فيه شروطه؛ كالإيمان الله والالتزام بالدين، وصلاح القلب، وصحَّة النظر إلىٰ القرآن.

١٠- حاجة التدبُّر إلىٰ ضوابط تضبطه حتَّىٰ يكون في الاتجاه الصحيح النافع وفق ما أراد الله، ومنها عدم مخالفة التفاسير المأثورة، وموافقة طرق الاستدلال الصحيحة.

١١- الحاجة إلىٰ الأخذ بالوسائل التي تُعين علىٰ تدبُّر القرآن الكريم؛ كآداب التلاوة، والاستماع إلىٰ القرآن، وترديد الآية، وتذكُّر الآخرة، وتذكُّر أنَّ المعيشة الضنك في ترك التدبر.

١٢- الحاجة إلىٰ اجتناب الموانع التي تحول دون التدبر؛ كسماع ما يضاد القرآن، أو تهويل أمر التدبر أو التقليل من شأنه، أو غياب القلب في

الأماني والشهوات والخيالات.

١٣- أنَّ الاطلاع علىٰ موروث الأئمة -كابن القيِّم- في أساليبهم في تدبُّر القرآن الكريم أمرٌ يُنمِّي المَلَكَةَ ويُعين علىٰ اقتفاء الأثر والانتفاع بالقرآن.

١٤- كثرة الثمرات المترتِّبة علىٰ تدبُّر القرآن الكريم، مما يدعو إلىٰ الاقبال عليه.

١٥- تميُّز وبراعة أسلوب ابن القيِّم مع قوَّة فكره وعلمه؛ الأمر الذي جعل لمؤلفاته قبولًا واسعًا.

- أهم التوصيات:

- من أبرز التوصيات التي أوصىٰ بها الباحث ما يلي:

١- الاهتمام بموروث ابن القيِّم في ما جاء عنه في علوم القرآن أو غيرها، ودراستها دراسةً مستقلة.

٢- جمع ودراسة ما جاء في التدبر عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان.

٣- جمع ودراسة ما جاء في التدبر عند أئمة التفسير وعلماء القرآن وغيرهم؛ كلٌّ علىٰ حِدة.

٤- التوعية بالتفريق بين التدبر كعملٍ قلبي عقلي، وبين الاستنباط من القرآن والقول فيه، فالأوَّل يتم وفق شروطه وضوابطه لكل أحد، والثاني لا يقتحمه كلُّ أحد.

٥- التركيز علىٰ العناية بالجانب النظري التأصيلي للتدبُّر كالعناية بتطبيقاته وأمثلته؛ كونه الدليل والسبيل إليه.

٦- إقرار مناهج لتعليم تدبُّر القرآن الكريم في مراحل التعليم، علىٰ غرار تعليم التلاوة والحفظ، كونه أهمَّ مقصود من إنزال القرآن الكريم.

هذا وأسأل الله جلت قدرته أن يوفِّقنا لصالح القصد وحسن العمل، وأن يغفر ما حصل في هذه الدراسة من زلل، وأن ينفعنا بهدي كتابه العزيز، وأن يغفر للإمام القيِّم ابنِ القيِّم، ويجزيه خير الجزاء وأوفره، ولوالدينا وأهلنا ومشايخنا وجميع المسلمين، إنه سبحانه خير مسؤول، وأقرب مأمول، وصلىٰ الله وسلَّم وبارك علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه ومَن تبعهم بإحسان ما تعاقب الليل والنهار.

الباحث

مجلة تدبر

مجلة تدبر



تقرير عن مجلة تدبر (خمس سنوات)

(١٤٣٨ : ١٤٤٢)(٢٠١٦ : ٢٠٢١)



إعداد إدارة تحرير المجلة

مجلة تدبر

تقرير عن مجلة تدبُّر (خمس سنوات)
(١٤٣٨ : ١٤٤٢)(٢٠١٦ : ٢٠٢١)

تاريخهـا : صدرت المجلة بتاريخ: محرم ١٤٣٨هـ
وهي مجلة دورية علمية محكَّمة، تعنى بتحكيم ونشر البحوث والدراسات العلمية المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم، وتصدر مرتين في السنة.

التخصص : متخصصة في مجالات تدبر القرآن خاصة، والدراسات القرآنية عامة.

التبعيـة: مصرحة من وزارة الإعلام بالمملكة العربية السعودية برقم ٣٧٥.

الرؤيـة: أن تكون المجلة خيار الباحثين الأول لنشر بحوثهم في تدبر القرآن الكريم.

الرسالـة: أن تكون وعاءً علميًا محكَّمًا للباحثين لنشر أعمالهم العلمية في تدبر القرآن الكريم وما اتصل به وفق معايير مهنية عالمية للنشر.

الأهـداف:
- تشجيع البحث العلمي المتصل بتدبر القرآن الكريم.
- نشر البحوث العلمية والدراسات المتصلة بتدبر القرآن الكريم.
- فتح آفاق جديدة للبحث العلمي المتخصص في مجالات تدبر القرآن.
- تحقيق التواصل العلمي بين المعنيين بالدراسات القرآنية من خلال تبادل الخبرات.

مجالات النشر في المجلة

أولاً البحوث والدراسات في مجالات تدبر القرآن الكريم وتشمل:

- التأصيل العلمي في تدبر القرآن الكريم.
- تعليم تدبر القرآن الكريم.
- الاستنباط من القرآن الكريم.
- المقاصد القرآنية.
- المناسبات القرآنية.
- الإعجاز القرآني.
- البلاغة القرآنية.
- الموضوعات القرآنية.

ثانيًا تقارير الملتقيات والمؤتمرات المتصلة بتدبر القرآن الكريم.

ثالثًا ملخصات الرسائل العلمية المتميزة في المجالات المتصلة بتدبر القرآن الكريم.

رابعًا ما تطرحه هيئة التحرير من قضايا تستكتب فيها المتخصصين في المجالات المتصلة بتدبر القرآن الكريم.

أعضاء هيئة التحرير

الهيئة الاستشارية

احصائيات وإنجازات

للمجلة هيئة تحريرية واستشارية من أساتذة الجامعات المحلية والدولية المتخصصين في مجال القرآن الكريم وعلومه.

١- تَمَّ تدشينُ العدد الأول والثاني من مجلة تدبر في شعبان ١٤٣٨هجري؛ برعايةٍ كريمة من فضيلة الشيخ المُقرئ الدكتور/ فيصل بن جميل غزاوي؛ إمام وخطيب الحَرَم المَكِّي الشريف، وعميد كلية الدَّعْوة وأصول الدِّين بجامعة أُمِّ القُرىٰ، (وعضو هيئتها الاستشارية).

٢- عَقَدَتْ هيئةُ التحرير تسع اجتماعاتٍ دورية لمناقشة الأمور العِلمية والإدارية للمجلة، بلغ عدد التَّوصياتِ فيها ١٠٠ توصية، وعقدت إدارةُ التحرير ١١٠ اجتماعًا.

٣- عددُ الزَّائرين للموقع: ١٣٠ ألف زائرٍ. وعددُ التَّحميلات: ١٠٠ ألف تَحميل.

٤- تَمَّ إقامةُ ورشة عمل- في شعبان ١٤٣٨ هـ- من أجل تطوير المجلة علميًّا وإداريًّا في المدينة المُنَوَّرة، وحضر الورشةَ نُخبةٌ مُمَيَّزة من المُتخصصين في الدِّراسات القرآنية.

٥- عددُ النُّسَخ المَطبوعة من المجلة: ٢٠ ألف نسخة من الأعداد العشرة.

٦- شَارَكت المجلةُ في المعارض الدولية والمحلية بواقع ٢٥ مشاركة في كلا من: (معرض الرياض الدولي للكتاب، وجدة، والمدينة المنورة، والقصيم، ومعرض القاهرة الدولي، ومعرض المغرب، والشارقة، والأردن، والجزائر، والسودان، وعمان، والكويت).

٧- بلغ عددُ البحوث الواردة للمجلة علىٰ مدار السنوات الخمس الماضية: ١٧٥ بحثًا علميًّا؛ المقبول منها ٨٥ بحثًا، و ٩٠ بحثٍ تَمَّ الاعتذارُ لها؛ لعدم اجتيازها التحكيم أو خروجها عن مجالات النَّشر بالمجلة.

٨- **عددُ الباحثين:** ١٧٥ باحثًا من ١٥ دولة في العالم.

عدد المحكمين: ١١٠ محكما من ١٣ دولة في العالم.

٩- بلغ عددُ الفوائد المنشورة: ٧٠٠ فائدة مُنتقاة من أبحاث المجلة.

١٠- قد تَلَقَّيْنَا- بحمد لله- العديدَ من الردود الطَّيِّبة عبر البريد الإلكتروني، ومواقع التواصل الاجتماعي، الخطابات الرسمية، والرسائل الشخصية، عن المجلة وفريق العمل المُشرف عليها.

١١- حَقَّقَت المجلةُ- بفضل الله- انتشارًا واسعًا ومقبولًا لدىٰ الجامعات، الباحثين، ومواقع التواصل الاجتماعي.

بلغ عددُ مُتابِعي المجلة على المَنَصَّات؛ كالتالي:

- **تويتر:** ٧٥٠٠ متابعٍ.
- **حساب الفيس بوك:** ٥٠٠٠ صديق، ٥٠٠٠ متابع.
- **التيلجرام:** ٦٠٠ متابع.
- **الانستغرام:** ١٠٠٠ متابع.

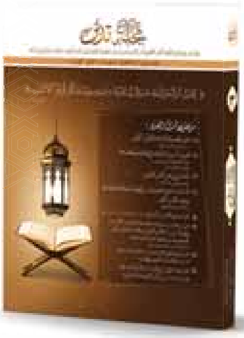
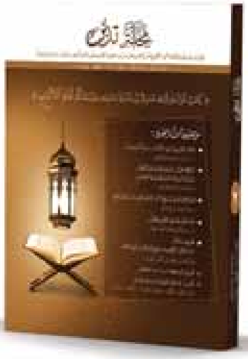
١٢- بلغ عددُ المَنشورات علىٰ جميع المنصات ٣٠٠٠ منشور، وعدد المشاهدين لمنشورات المجلة تجاوز ٣ مليون مُشاهد.

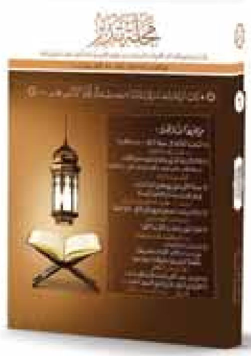
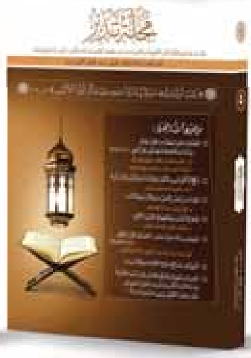
١٣- شارَكَت المجلةُ في مؤتمر معامل التأثير العربية لعام ١٤٤٠هـ بجمهورية مصر العربية.

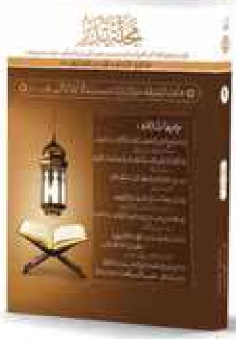
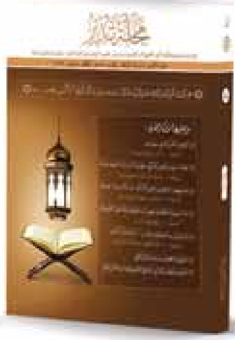
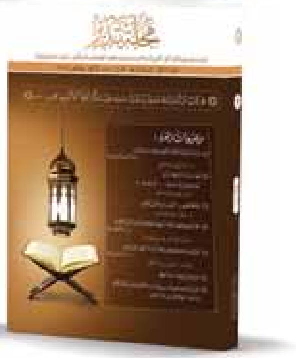
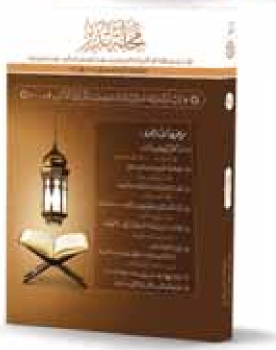
- حصلت المجلة علىٰ معامل التأثير العربي من عام ٢٠١٧ إلىٰ ٢٠٢٠م.
- للمجلة رقم ردمد في موقع issn. برقم: (1658 - 7642)
- ورقم الإيداع لدىٰ مكتبة الملك فهد الوطنية: 5883/1438 بتأريخ: ٢٤/٦/١٤٣٨هـ

- وصل للمجلة (١٧٠) بحثا، قبل للتحكيم منها (٨٥)، وأجاز المحكمون (٥٠) بحثًا منها للنشر، وتم نشر منها (٤٣) بحثا.
- ومجموع ما تم رده (٢٩) بحثًا مزوداً بالملاحظات التي ترتقي به وتفيد الباحث.
- ووصل للمجلة من التقارير ووصف البرامج (٣٣) نشر منها (٣٠).
- صدر منها عشرة أعداد منتظمة بفضل الله تعالىٰ.
- العدد الإجمالي لدول الباحثين سواء من اجتازت أبحاثهم أم لم تجتاز: (١٥) دولة.
- عدد دول الباحثين المنشورة أبحاثهم: ١١ دولة شارك منها ٤٣ باحثًا: من: (**السعودية، مصر، ماليزيا، اليمن، الهند، المغرب، الجزائر، سوريا، فلسطين، سلطنة عمان، تركيا**).
- حصلت المجلة علىٰ معامل ارسيف لعام ٢٠٢٠.
- كما أن المجلة معتمدة في نظام الترقيات لدىٰ العدد من جامعات محلية منها: (**الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وجامعة القصيم، ونجران، والملك سعود، والطائف**)، وجامعات دولية منها: (**جامعة الأزهر بمصر، وجامعة المدينة العالمية بماليزيا، وسلطنة عمان، وجامعات مغربية، وجزائرية، وهندية، وفلسطينية، ويمنية**).
- وأعداد المجلة مفهرسة ومرفوعة علىٰ منصة دار المنظومة، وكذلك معامل أرسيف.
- وللمجلة موقع إلكتروني مرفوع عليه جميع أعداد المجلة بصيغة الكترونية:

https://www.tadabburmag.sa /

وسائل التواصل



الموقع الإلكتروني:

www.tadabburmag.sa

البريد الإلكتروني :

info@tadabburmag.sa

رقم الجوال والواتس آب :

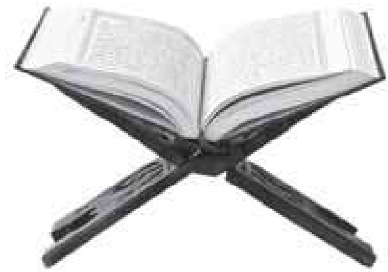
00966503072333

حسابات المجلة على مواقع التواصل الاجتماعي

@tadabburmag

مجلة تدبر





ثالثًا:

تقارير المؤتمرات العلمية

مجلة تدبر

مجلة تدبر

تقرير عن ملتقى التفسير الأول بدولة الكويت «مثاني» التابع لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية



إعداد: إدارة الملتقى

المنعقد من يوم الأحد:

٥ جمُادى الأولى ١٤٤٢هـ، الموافق ٢٠/ ١٢/ ٢٠٢٠م

وحتى يوم الخميس:

٩ جمادى الأولى ١٤٤٢هـ، الموافق ٢٤/ ١٢/ ٢٠٢٠م

◆ **تنظيم وإعداد إدارة التويجه الفني العام- قطاع شؤون القرآن والدراسات الإسلامية بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت**

المقدمة

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وبعد:

فقد أقامت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ملتقى التفسير الأول «مثاني»، الذي نهض بالتحضير والإعداد له إدارة التوجيه الفني العام، قطاع شؤون القرآن والدراسات الإسلامية- تحت رعاية وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (م. فريد عمادي).

وقد حفَل الملتقى بالثراء علمًا ومعرفة، ومحاضرة وحضورًا، ولله الحمد؛ فقد ضمَّ نُخبة من العلماء والدعاة تفننوا في تقديم المحتوى النافع الذي نالت بركته الحاضرين؛ لأن فلكه الذي يدور فيه أشرف العلوم وأعظمها: علم التفسير وعلوم القرآن.

وقد أُقيم الملتقى في ليالٍ متتابعات عبر منصة Zoom في الفترة الزمنية:

المنعقد من يوم الأحد:

٥ جمادى الأولى ١٤٤٢هـ، الموافق ٢٠/ ١٢/ ٢٠٢٠م

وحتى يوم الخميس:

٩ جمادى الأولى ١٤٤٢هـ، الموافق ٢٤/ ١٢/ ٢٠٢٠م

وقد كان الحضور حافلًا وسارعَ إلى التسجيل ما يقارب ثلاثة آلاف مشترك من جميع أنحاء العالم:

من دول الخليج ومصر والعراق والمغرب وفلسطين والسودان وتركيا والنرويج والسويد وفرنسا وإيطاليا وبريطانيا والهند وروسيا وأمريكا وغيرهم كثير.

الدول المشاركة



السعودية
الهند
الاردن
الإمارات العربية المتحدة
الجزائر
الجمهورية التونسية
السودان
السويد
الصومال
العراق
الفلبين
المانيا
كردستان العراق

المملكة المغربية
النرويج
النيجر
اليمن
إندونيسيا
أمريكا
تركيا
لبنان
مالي
ماليزيا
مصر
هولندا
فنلندا

ايطاليا
باكستان
بريطانيا(مانشستر)
تشاد
جمهورية مصر العربية
دولة الكويت
دولة قطر
دولة الامارات العربية المتحده
روسيا
سلطنة عمان
سوريا
فرنسا
فلبين
فلسطين

مثاني
@KWT_AWQAF

◆ جلسات الملتقى:

١- محاضرة خاصة بالنساء بعنوان: (الأمثال في القرآن الكريم) للأستاذة: لولوة عيسىٰ المطيري.

موجِّهَة التفسير وعلوم القرآن في وزارة الأوقاف.

من أهداف: الجلسة:

استقراء الأمثال القرآنية وكيف صِيغت من طبائع النفوس البشرية الراسخة، ومن المظاهر الكونية، والمقاصد العظيمة التي سِيقَت لأجلها، وأهمها معرفة الله وتوحيده، وأن القرآن باقٍ إلىٰ ما شاء الله.

٢- محاضرة بعنوان:

(محاولات تصنيف موضوعات علوم القرآن).

والتي ألقاها:

أ.د. عبد الرحمن بن معاضة الشهري.

أستاذ الدراسات القرآنية بجامعة الملك سعود.

وكانت محاضرة حافلة حاشدة، ذَكَر فيها الدكتور تفاوت ترتيب الموضوعات في كتب علوم القرآن قديمًا وحديثًا، والفوارق بين مناهج المصنِّفين في علوم القرآن، فما يقدِّمه الزَّركشي، يؤخِّره السيوطي، وما يؤخره السيوطي، يقدِّمه البلقيني، وهكذا.

وتطرَّق إلىٰ ترتيب بعض المعاصرين، فاستعرض المُحاضِر تلك الترتيبات للموضوعات مع الاجتهاد في بيان علل الترتيب.

وقد قدَّم اللقاء وعقَّب عليه فضيلة الشيخ: د. مطلق الجاسر.

٣- محاضرة بعنوان:

(التصنيف العلمي لمضامين كتب التفسير وأثره على الملُتقى).

والتي ألقاها:

أ.د. مساعد بن سليمان الطيار.

أستاذ الدراسات القرآنية بجامعة الملك سعود.

والتي أجاب فيها عن:

- هل كان للعلوم تصنيف في عهد الصحابة والتابعين وأتباعهم؟.
- ما طبيعة علم التفسير وماهيته؟.
- كيف دخلت العلوم الأخرىٰ إلىٰ كتب التفسير؟.
- كيف نُصنِّف ما تضمَّنته كتب التفسير من معلومات؟.
- ما نتائج التصنيف العلمي لمضامين كتب التفسير؟.

وقد قدَّم اللقاء وعقَّب عليه فضيلة الشيخ:

د. عثمان الخميس.

٤ - محاضرة بعنوان:

(قواعد في أعمال القلوب على ضوء القرآن الكريم).

للدكتور: عقيل بن سالم الشمري.

عضو هيئة التدريس بجامعة المجمعة.

وكان قوام المحاضرة محاولة للإجابة عن سؤالات كبرىٰ؛ مثل:

- لمَ كان كلام الصحابة في أعمال القلوب أكثر من كلامهم في فقه الأحكام؟.
- هل الواقع المعاصر ووسائل التواصل تؤثر علىٰ أعمال القلوب؟.

وغيرها من المحاور المهمة.

وقدَّم اللقاء وعقَّب عليه فضيلة الشيخ:

د. عثمان الخميس.

٤- محاضرة بعنوان:

(لمحات في مصنَّفات إعجاز القرآن الكريم).

لفضيلة الدكتور: مطلق جاسر الجاسر.

العميد المساعد في كلية الشريعة- جامعة الكويت.

حيث نوَّع في الطرح الشيِّق موضِّحًا الكنوز المُتْرَعَة بالحُجَّة والبيان في مصنَّفات إعجاز القرآن، هذا وقد استعرض بعض المصنَّفات التي نصَح بها الحضور في إعجاز القرآن.

وعقَّب علىٰ اللقاء: د. مشعل الحداري.

مجموع من حضر هذه المحاضرات قرابة أربعة آلاف وثمانين مشترك ومشتركة.

هذا وقد قُمنا بتوثيق جميع المحاضرات علىٰ قناة ملتقىٰ مثاني في اليوتيوب، وأفردنا له حسابًا بتويتر؛ جمع استخلاص فوائد المحاضرات عبر وسم الملتقىٰ.


ملخص الملتقى
1
ما يقارب 3000
مشترك من جميع أنحاء العالم
2
ساعات التحدث:
6 ساعات على مدار الملتقى
3
عدد الحضور:
800 / 1000 مشترك
4
عدد المتحدثين:
9
5
الشهادات:
اصدار ما يقارب 2000 شهادة للحضور
6
إجمالي حضور جميع المحاضرات:
ما يقارب 4080
مثاني
@KWT_AWQAF

وكان علىٰ هامش الملتقىٰ:

١- أقيمت مسابقة لمشتركي مثاني باستخلاص فوائد المحاضرات علىٰ وسم #ملتقىٰ_مثاني للفوز بموسوعة التفسير المأثور، وكان التنافس كبير بين المتسابقين.

وكانت الموسوعة من نصيب:

مشتركة من كردستان.

ومشترك من المملكة العربية السعودية.

حيث كان هناك تعاون مع إدارة الإفتاء في وزارة الأوقاف بتقديم هدايا من كتب الإدارة لمشتركي مثاني.

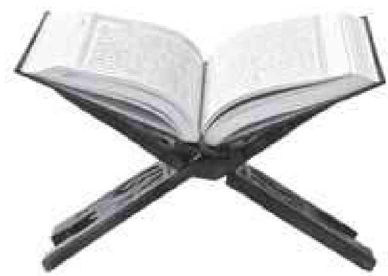
٢- إصدار ما يقارب ٢٠٠٠ شهادة للحضور علىٰ مدار الملتقىٰ.

هذا وبفضل الله وحده حظي الملتقىٰ قبولًا وأصداء مبهجة داخل وخارج الكويت من أهل النُّخَب العلمية، مما جعل هناك مطالبات في إقامة ملتقىٰ ثانٍ، وهو ما نعقد الآمال ونعد له بحول الله وعونه.

مجلة تدبر

مجلة تدبر





ملف تعريفي عن المجلة
باللغة الإنجليزية

مجلة تدبر

Refereed Scientific Biannual Journal specialized in the Arbitration and Publication of the Researches and Studies related to the Areas of Meditating on the Holy Qur'an

Issue No. (10) Year 5 / Rajab 1442 AH, corresponding to February 2021



Tadabbur Magazine

400 P, 17×24 cm

ISBN: 5883/ 1438

Date: 24/6/1438

ISSN : 7642- 1658

مجلة تدبر

Price: (25) Saudi Riyals or equivalent in local currency

The magazine is authorized by the Ministry of Information , Saudi Arabia: 375

Correspondence and Subscriptions

All correspondence and subscriptions should be addressed to the Editor-in-Chief

Prof. Muhammad ibn Abd al-Azeez al-Awaji

Kingdom of Saudi Arabia
PO Box 7119
Medina 41462

info@tadabburmag.sa

+966 50 30 72 333

@tadabburmag

http://www.tadabburmag.sa

All contributions express their authors' views

Tadabbur Magazine

A reviewed academic periodical dedicated to the review and publication of research and academic studies in the field of promoting the understanding of the Qur’an. It is published twice a year.

The magazine is licensed by the Ministry of Culture and Information, Saudi Arabia.

- **Mission**: To be researchers’ first choice for the publication of their research and studies in the field of understanding the Qur’an.
- **Vision:** The magazine will provide an academically reviewed facility for researchers to publish their academic studies in the in-depth understanding of the Qur’an and related areas, observing professional publishing international standards.
- **Aims:**

- Encourage academic studies leading to in-depth understanding of the Qur’an.
- Publish academic research and studies in the field of understanding the Qur’an.
- Ensure inter-communication between academics dedicated to Qur'anic studies and promote exchange of experience.
- Open up new areas of academic studies in the field of in-depth understanding of the Qur’an.

One: Research and studies in the field of in-depth understanding of the Qur'an.

1. The formulation of academic principles applicable to the understanding of the Qur'an.
2. Qur'anic themes.
3. Objectives of the Qur'an.
4. Revelational Circumstances of the Qur'an
5. The inimitability of the Qur'an.
6. The superior excellence of the Qur'an style.
7. Teaching methods of in-depth understanding the Qur'an.
8. Deduction from the Qur'an.

Two: Reports of academic meeting and conferences related to the in-depth understanding of the Qur'an.

Three: Summaries of theses of distinction focused on the in-depth study of the Qur'an.

Four: Issues raised by the Editorial Board so as to request essays by specialists in the understanding of the Qur'an.

Consultative Committee

Rules and Conditions for Publication in the Tadabbur Magazine

Firstly: Nature of the Material published:

The magazine aims to provide researchers in all countries worldwide with an opportunity to publish their scientific outputs in the fields related to pondering over the Holy Qur'an, on condition that these outputs are based on originality, novelty, the ethics of scientific research, and scientific methodology.

The Magazine publishes materials that have not been published in the Arabic language before and and accepts the articles under any of the following categories:

- Authentic researches
- Abstracts of projects and distinct scientific papers
- Reports on scientific forums and conferences

Secondly: Scientific Procedures for submitting Researches:

1- The researches shall be in the fields of the Magazine.

2- An introduction shall be written to contain the subject of the research, its limits, objectives, methodology, procedures, and the research plan

3- Previous studies, if any, shall be referred to, and the researcher's scientific addition shall be submitted.

4- The research shall be divided into sections (subjects) according to the research plan, so that they seem to be interrelated and coherent.

5- The research shall be written and formulated in an elaborate scientific manner, free from any linguistic and grammatical errors, with special emphasis on scientific honesty and accuracy in documentation.

6- A conclusion shall be written to contain a comprehensive summary of the research as well as the main findings and recommendations thereof.

Thirdly: Technical Procedures for submitting Researches:

- The number of the research pages shall not be more than 50 pages, with an A4 size, including both the Arabic and English abstracts, and the references, and not be less than 25 pages.
- The Page margins shall be within 2 cm from the top, bottom, right, and left thereof, and line spacing shall be single.
- The size of the traditional Arabic font used for the Arabic language shall be 16 while it shall be 12 for both the marginal annotations and the abstract, and 11 for tables and figures.
- The Times New Roman font shall be used for the English language with a size of 12 and a size of 10 for the footnotes, the abstract, tables and figures.
- The Quranic verses shall be written according to the Electronic Muṣḥaf of King Fahd Complex for the Printing of the Holy Qur’an, with a font size of 14, in plain color (non-boldfaced).

- The footnotes of each page shall be placed separately; the footnote numbering for each page shall be separate, and the footnotes shall be set automatically, not manually.

- The Research data shall be written in both Arabic and English languages and contain the research title, the researcher's name and other personal details, the contact information, and the titles of any scientific papers.

- The number of the abstract words shall not exceed 250 words, and the abstract shall include the following elements: the subject of the research, its objectives, and its methodology, with careful attention to its editing.

- Each abstract (both the Arabic and English ones) shall be followed by the key words expressing accurately the subject of the research, and the primary issues addressed, with a number no more than 6 words.

- The research shall be free from any linguistic, grammatical and spelling errors.

- Writing the footnote shall include (the title of the book, the name of the author, the part and page), in accordance with the scientific method applied in documenting Islamic studies and the Arabic language.

  An Example: Tongue of the Arabs, by Ibn Manẓūr (2/233)

As for the Quranic verses, they shall be referred to in the text only, along with the name of the chapter, followed by a colon (or two dots :), and then the verse number, for example [Women: 55].

Fourthly: How to document References:

The researcher shall document the references at the end of the research as follows:

- If the reference is a book, it shall be documented as follows: the title of the book, the author's last name (his nickname), then the first name and other names, the editor's name, if any, the edition, the publishing city, the publisher's name, and the year of publication.

  An Example: "Al Jāmi'e Aṣṣaḥīḥ" (Authentic Comprehensive Book)", At-Tirmidhī, Abu Issa, Muhammad bin Īssa, edited by Ahmed Mohamed Shaker et al. Ed. 2, Beirut, the Arab Heritage Revival House, 2004.

- If the reference is an unpublished scientific paper, it shall be documented as follows: the title of the paper, the last name of the researcher (the family name), then the first name and other names, the type of the thesis (a Master's or PhD thesis), then the place, the name of the college, the name of the university, and the year.

  An Example: "Ya'aqūb bin Shaybah As-Sadousi: His Impact and Approach to Discrediting and Endorsement", Al-Muṭairi, Ali bin Abdullah, Master's Thesis, Saudi Arabia, the College of Education, King Saud University, 1418 AH.

- If the reference is an article drawn from a periodical, it shall be documented as follows: the title of the article, the author's last name (the family name), then the first name and other names, the name of the periodical, the place, the volume number (issue number), the year of publication, and the page (s).

An Example: "Imam Affān bin Muslim Aṣ-Ṣaffār and His Approach to Receiving, Performing and Criticizing," Al-Muṭairi, Ali bin Abdullah, Qassim University Journal, Sharia Sciences, Qassim, volumes 3 and 1, 1431 AH, pages 35-85.

This is in addition to mentioning some abbreviations if they are not shown in the reference details, namely:

- The phrase "without the publisher's name" shall be abbreviated to n. p.
- The phrase "without edition number" shall be shortened to n. edt.
- The phrase "without date of publication" shall be abbreviated to n. d.

- References should be alphabetised.

Fifthly: Explaining the Path of the Research presented to the Magazine:

1- Sending the research to the Magazine website or e-mail shall be an assurance from the researcher that his piece of research has not been published before, that it is not or will not be submitted to any entity for publication until the Magazine has completed its arbitration proceedings.

2- The Editorial Board of the Magazine has the right to the preliminary examination of the research and to determining whether it is eligible for arbitration or rejecting it.

3- Informing the researcher of the summary of the arbitrators' reports, in order for him to modify his research according to it and to demonstrate his view regarding their claims that he does not accept, and the Board shall settle the dispute between them.

4- In case that the research is approved for publication, a message shall be sent to the researcher telling him that the research is accepted for publication, and if the research is not accepted for publication, a message should be sent offering the researcher an apology for that.

5- The researcher- after publishing his work in the Magazine - may publish it again six months after its publication.

6- In case the researcher sends his piece of research via the website or e-mail of the Magazine, this shall mean that he accepts the conditions for publication, and the Editorial Board is entitled to prioritize the researches to be published.

7- The opinions expressed in the researches published shall point to the viewpoints of the researchers only and shall not necessarily indicate the perspectives of the Magazine.

Table of Contents

TADABBUR MAGAZINE

Refereed Scientific Biannual Journal specialized in the Arbitration and Publication of the Researches and Studies related to the Areas of Meditating on the Holy Qur'an

Issue No. (10) Year 5 / Rajab 1442 AH, corresponding to February 2021

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩]

TADABBUR MAGAZINE Index:



1658-7642

25 SR